الصحافة في زمن الحرب

تقديم حميد دباشي

تحرير عواد جمعة
و خالد رمضان

إشراف
ديانا لاربا

معهد
الجزيرة للإعلام

الصحافة في زمن الحرب

تحرير
عوّاد جمعة وخالد رمضان

إشراف
ديانا لارِيا

معهد
الجزيرة للإعلام

الصحافة في زمن الحرب

الطبعة الأولى ٢٠١٨
معهد الجزيرة للإعلام

رقم الإيداع في دار الكتب القطرية: ٢٠١٧/٦٢٢
الرقم الدولي (ردمك):٣-٨-٤٠١١-٩٩٢٧-٩٧٨

تمت الطباعة في قطر

المحررون: **عوّاد جمعة وخالد رمضان**

إشراف: **ديانا لاريا**

تحرير النسخة الإنجليزية: **أدريان فينيغان ودوريان باتيكا وستيني هوكسبرو**

تحرير النسخة العربية: **محمد زيدان**

ترجمة: **لميا الساحلي وتالا نجيم**

بحث: **ستيني هوكسبرو**

صورة الغلاف: شبكة الجزيرة الإعلامية. لقطة من الفيلم الوثائقي «المسافة صفر»، حلقة «بين المقاتلين في سوريا». تظهر في الصورة مراسلة الجزيرة سلام هنداوي في نفق شمال سوريا يستخدمه المقاتلون السوريون للتنقّل تحت الأرض ومحاربة النظام السوري.

تصميم الكتاب: **أحمد فتّاح**

جميع الحقوق محفوظة @ معهد الجزيرة للإعلام ٢٠١٨

فهرس المحتوى

المساهمون 6

رسالة من معهد الجزيرة للإعلام 11

كلمة المحررين
بقلم عوّاد جمعة وخالد رمضان 13

تقديم
"قريب وشخصي"
بقلم حميد دباشي 19

القسم الأول
صحافة الحرب: دروس مستفادة ونصائح عملية

الفصل الأول
صراع داخل صراع: التغطية الإعلامية والرقابة في اليمن
مقابلة مع بشراحيل هشام بشراحيل 26

الفصل الثاني
رغم الحواجز والمخاطر: تجربة منسقة صحافية في غزة
بقلم أميرة أحمد حرودة 51

الفصل الثالث
دروس من مراسلة حربية
مقابلة مع زينة خضر 60

الفصل الرابع
الحرب على عتبتكم: عن الصحافة والمناصرة
بقلم زينة إرحيم 86

الفصل الخامس
التغطية الإخبارية في ظل الاحتلال في فلسطين
مقابلة مع تامر المسحال 99

الفصل السادس
تجارب صحافي محلي مستقل في اليمن
معتصم الهتاري
113

القسم الثاني
من الخنادق الرقمية: التحوّل في تغطية الحرب

الفصل السابع
الصحافيون الرقميون: التحقيق المفتوح المصادر والتحقق من الأخبار في النزاعات
بقلم كريستيان تريبرت وهادي الخطيب
125

الفصل الثامن
قصص الحرب على صفحات الإعلام الاجتماعي: أخلاقيات الاستخدام والتفاعل مع الجمهور
بقلم صخر الماخذي
150

الفصل التاسع
أكثر من شهود: صحافة المواطن خلال الثورة المصرية
بقلم خالد فهيم
158

القسم الثالث
نحو صحافة أفضل وأكثر أماناً

الفصل العاشر
حماية الصحافيين بموجب قانون حقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي
بقلم أبو عباس
172

الفصل الحادي عشر
كيف يتفادى الصحافي خطاب الكراهية والتحريض على العنف
بقلم إبراهيم صابر
188

الفصل الثاني عشر
النزاهة المهنية أهم ضامن لحماية الصحفيين
بقلم بيتر غريستي
207

الفصل الثالث عشر
الإدارة السليمة في المؤسسات الإعلامية
بقلم أيدن وايت
217

المساهمون

أبو عباس

مسؤول الشؤون القضائية في بعثة الأمم المتحدة المتكاملة المتعددة الأبعاد لتحقيق الاستقرار في مالي (مينوسما) منذ آذار/مارس 2017. شغل قبل ذلك موقع مسؤول حقوق الإنسان لدى مكتب مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان في مكتب تونس بين 2012 و2017. عمل أيضاً كموظف مساعد للشؤون القضائية في بعثة الاتحاد الأفريقي والأمم المتحدة في دارفور (يوناميد) وكمسؤول قانوني مساعد في غرف المحكمة الجنائية الدولية لرواندا. وقبل الانضمام إلى الأمم المتحدة في كانون الثاني/يناير 2009، حصل على زمالة ما بعد الدكتوراه في المركز الإيرلندي لحقوق الإنسان في الجامعة الوطنية الإيرلندية في غالواي كما عمل ككاتب قضائي لدى المحكمة الجنائية الدولية.

@UNHumanRights

معتصم الهتاري

صحافي ومصوّر تلفزيوني بدأ العمل مع قناة "الجزيرة" الإخبارية بدوام حر قبل سبع سنوات. انضم لاحقاً إلى مجموعة حقوقية تناصر حماية الصحافيين في اليمن. يعمل معتصم أيضاً كصحافي حر مع مؤسسات إعلامية دولية مثل "بي بي سي" العالمية. وهو حالياً دليل إعلامي إخباري حر مع "الجزيرة" الإنجليزية.

@muatasmmansor

هادي الخطيب

يجمع ويتحقق ويحقق ويحفظ بيانات ينتجها مواطنون كأدلة على انتهاكات لحقوق الإنسان. هو جزء من مشروع "الأرشيف السوري" وهي مبادرة تهدف إلى فضح الانتهاكات التي ارتكبتها جميع أطراف النزاع السوري وتسليط الضوء عليها. يعمل أيضاً مع "بيلينغكات Bellingcat" كمسؤول مشروع يعنى بالتحقيقات المفتوحة المصادر في الشرق الأوسط وشمال افريقيا.

@hadi_alkhatib

صخر الماخذي

محرر الشرق الأوسط والقائم بأعمال المنتج التنفيذي في "الجزيرة بلس". هو صحافي تلفزيوني متخصص بالملف السوري وحائز على جوائز. فاز بجائزة آنا لينذ المتوسطية للصحافة 2012 – 2013 في برلين عن فقرة "فهم سوريا" Understanding Syria في برنامج جيريمي فاين على إذاعة "بي بي سي" الثانية. وهو ساهم أيضاً في تلفزيون وراديو "بي بي سي" و"سكاي نيوز" والقناة الرابعة البريطانية ويكتب لصحيفتي "ذا ناشونال" و"الغارديان".

@syrianews

تامر المسحال

مخرج أفلام فلسطيني وصحافي تلفزيوني يتمتع بخبرة طويلة في تغطية مناطق الحروب. غطّى النزاع الفلسطيني الإسرائيلي لصالح "الجزيرة" على نطاق واسع. وعمل أيضاً مع "بي بي سي". استقر المسحال معظم حياته، في غزة حيث غطّى الحروب والتوغلات الإسرائيلية العديدة وحالة الحصار المفروضة على القطاع. وبالإضافة إلى ذلك، غطّى المسحال الحروب في ليبيا وسوريا. وهو يعيش اليوم في الدوحة حيث يكرّس وقته للأفلام الوثائقية الاستقصائية.

@TamerMisshal

بشراحيل بشراحيل

نائب رئيس تحرير "الأيام" إحدى أكبر الصحف اليمنية ومقرّها عدن. كانت إحدى أوائل تغطياته كصحافي متدرّب في الحرب اليوغسلافية. يواجه بشراحيل معاناة الحرب المستمرة في اليمن عبر ما تتعرض له صحيفة الأيام من هجمات متكررة وقمع من قبل السلطات، فضلاً عما يتعرض له من تضييق وتهديد يمس سلامته الشخصية وسلامة عائلته.

حميد دباشي

أستاذ كرسي هاكوب كفوركيان للدراسات الإيرانية والأدب المقارن في جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك، وهو الكرسي الأقدم والأرفع مستوى في مجاله. هو ناقد ثقافي دولي مرموق ومؤلف حاصل على جوائز. ترجمت كتبه ومقالاته إلى لغات عديدة بينها اليابانية والألمانية والفرنسية والاسبانية والإيطالية والروسية والعربية والدنماركية والكورية والفارسية والبرتغالية والبولندية والتركية والأوردو والكتالونية.

@HamidDabashi

زينة إرحيم

صحافية سورية مدرجة على قائمة مجلة "أرابيان بيزنس" لأكثر مئة امرأة عربية تأثيراً في العام 2016 وعلى قائمة "الأبطال المجهولون" من "رويترز تومسون". حازت على جائزة مؤشر الرقابة وحرية التعبير في العام 2016 إضافة إلى جوائز أخرى. وبصفتها منسقة المشروع السورية في معهد صحافة السلم والحرب، درّبت 100 مواطن صحافي ثلثهم من النساء. وأخرجت أيضاً السلسلة الوثائقية "نساء سوريا الثائرات".

@ZainaErhaim

خالد فهيم

صحافي مصري ومؤسس شريك لشبكة "رصد" الإخبارية حيث يعمل حالياً مديراً للمحتوى. درس إدارة الأعمال وبدأ دراسة الصحافة في أكاديمية "دويتشه فيله" و"الجزيرة". درّب خالد صحافيين مواطنين في مصر عامي 2012 و2013. وهو يعيش حالياً في المهجر.

@KhaledFahem

بيتر غريستي

عمل في "بي بي سي" ورويترز و"سي إن إن" و"دبليو تي إن". غطّى ولادة طالبان والحرب في أفغانستان بعد 11 سبتمبر. وهو مراسل "الجزيرة" في أفريقيا منذ العام 2005. فاز في العام 2011 بجائزة "بيبودي" عن فيلمه الوثائقي "الصومال: أرض الفوضى". اعتقل غريستي واثنان من زملائه في "الجزيرة" في مصر في كانون الأول/ديسمبر 2013 بتهمة تدّعي بثهم أخباراً بشكل غير قانوني وتعريضهم الأمن القومي المصري للخطر. ولم يطلق سراح غريستي إلا بعد 400 يوم من السجن.

@PeterGreste

أميرة أحمد حرودة

أول سيدة من قطاع غزة في فلسطين، تعمل كمرشدة إعلامية محلية، حيث تقود منذ أكثر من عقد من الزمن الصحافيين إلى قصص فريدة عن بلادها وشعبها. وتهدف من خلال عملها أن تظهر للعالم ما يحدث في مجتمعها وأن تقوّض الصورة التي غالباً ما يرسمها الإعلام الغربي عن فلسطين. وهي تؤمن بالنضال اليومي لتأمين حصول النساء والفتيات في غزة على إمكانية وصول متساوية إلى التعليم والوظائف.

ستيني هوكسبرو

باحثة وكاتبة سيناريو ومحررة تركز على استخدام الإعلام الجديد فيما يتعلق بالتطورات المجتمعية. وقد أنتجت العديد من الأفلام الوثائقية لصالح قنوات تلفزة وطنية ودولية. وهي مساهمة منتظمة لمجلات ثقافية ومؤلفة كتاب "إنديزاين" InDesign الذي نشرته "ليبريس" Libris في العام 2008. وهوكسبرو هي المؤسسة المشاركة لـ"دوكولوجيا" Doculogia للإنتاج الإعلامي النقدي (www.doculogia.com) وهو معهد متعدد الوسائط متخصص في إنتاج محتوى للويب والأفلام الوثائقية. درست في جامعة روسكيلد والكلية الدنماركية للإعلام والصحافة.

عوّاد جمعة

مخرج أفلام وثائقية ومحرر في قناة الجزيرة الإنجليزية. باحث وكاتب ومنتج ومخرج ثمانية أفلام وثائقية حول الشرق الأوسط وأوروبا حيث يركز على مواضيع مثل "الحرب على الإرهاب" وفلسطين والعنصرية وتطرّف أقصى اليمين وكراهية المسلمين. تشمل خبرته مناطق نزاعات مثل العراق وسوريا وليبيا ولبنان والأراضي الفلسطينية المحتلة. حاصل على تدريب في أخلاقيات الصحافة والعمل في مناطق الحروب من المركز النرويجي لحقوق الإنسان.

@awadaje

زينة خضر

مراسلة صحافية حاصلة على جوائز، تستقر حالياً في الدوحة. تعمل مع الجزيرة الإنجليزية منذ انطلاق المحطة في العام 2006 وتغطّي الحروب في سوريا والعراق فضلاً عن انتفاضات الربيع العربي. رشّحت تغطيتها للانتفاضة في طرابلس في مهرجان مونت كارلو للتلفزيون والأفلام وجوائز "إيمي" وفازت بجائزة مهرجان سكاي للنساء في التلفزيون والأفلام. ولزينة أيضاً تجربة في تغطية أفغانستان وباكستان.

@ZeinakhodrAljaz

ديانا لاريا ماكسيسي

باحثة في العلاقات الدولية ومتخصصة في الإعلام والأمن وحقوق الإنسان. وهي محررة المحتوى ومديرة مشروع في معهد الجزيرة للإعلام حيث تقوم بتطوير وتنسيق مبادرات تترجم تجربة "الجزيرة" إلى معرفة يمكن نقلها ومشاركتها. شغلت العديد من المواقع في رئاسة الجمهورية المكسيكية من التحليل السياسي وتطوير المحتوى إلى استراتيجيات التواصل. وتتابع ديانا حالياً دراسة الماجستير في العلاقات الدولية والحروب المعاصرة في كينجز كوليج في لندن.

@dimaccise

خالد رمضان

محاضر ومخرج أفلام وكاتب. وهو مدير مساحة أبحاث الفن الإعلامي Media Art Research Space في أنطاليا ومقيّم مشارك لبرنامج الأستاذية 2017 في جامعة "ألتو". وهو كاتب للعديد من الأفلام ومؤلف كتاب Peripheral Insider الصادر عن دار النشر التابعة لجامعة كوبنهاغن في العام 2007. عمل مستشاراً مسؤولاً لدى وزارات ثقافة دانماركية وإسبانية ومالديفية. يساهم بشكل منتظم في مجلات دولية حول مواضيع مثل جماليات الإعلام وما بعد أفلام الجرائم وسينماتوغرافيا الواقع. هو عضو في الاتحاد الدولي للنقاد الفنيين وشريك مؤسس لـ"دوكولوجيا" (www.doculogia.com). تلقى دراسته في جامعة أدنبرة وجامعة كوبنهاغن وكلية كوبنهاغن للأفلام والأكاديمية الملكية الدانماركية للفن.

إبراهيم صابر

منتج أخبار فلسطيني في "رويترز" ومحاضر في صناعة الأفلام في جامعة فرجينيا كومنولث في قطر. يعمل لصالح العديد من وسائل الإعلام من بينها قناة الجزيرة الإخبارية في فلسطين و"أسوشييتد برس" والتلفزيون النرويجي. غطّى حروب أفغانستان والعراق وفلسطين. في العام 2014، نشر كتابه "من قلب الخطر" وهو دليل للحفاظ على سلامة الصحافيين في مناطق الخطر. يعمل حالياً على كتابه الثاني الذي يتناول خطاب الكراهية.

@ISDeek

كريستيان تريبرت

محلل ومصور صحافي حائز على العديد من الجوائز من بينها جائزة الابتكار في مسابقة الصحافة الأوروبية 2017 عن موضوعه "الانقلاب التركي بعيون مدبّريه". وهو مساهم في "بيلينغكات" و"إروورز Airwars " ويدرّب صحافيين وعاملين في مجال حقوق الإنسان على التحقق الإخباري والتحقيق المفتوح المصدر. يجري كريستيان أبحاثاً ميدانية ويراسل من مناطق نزاع بينها العراق وسوريا وأوكرانيا.

@trbrtc

أيدن وايت

مدير شبكة الصحافة الأخلاقية ومؤسس معهد السلامة الإخبارية. وهو أيضاً الأمين العام السابق للاتحاد الدولي للصحافيين.

@aidanpwhite

رسالة من معهد الجزيرة للإعلام

لطالما كانت الحرب والنزاع جزأين لا يتجزّآن من التاريخ الإنساني. ونحن كصحافيين، من واجبنا توثيق قصص الحرب وإخبارها للناس. لا شكّ أنها ليست بالمهمّة السهلة. فالحرب يحيطها الدمار والمعاناة الإنسانية، والمعلومات تفيض عن الحاجة لا سيّما اليوم في ظل وجود الإعلام الاجتماعي ووسائل الاتّصال؛ وفي خضمّ ذلك تخرج روايات وقصص مختلفة ومتضاربة فيما يتعرّض الإعلام والصحافيون للاستهداف المنتظم.

يُكتب الكثير عن الحرب والصحافة ويثار الكثير من النقاش حولهما. ولكن «معهد الجزيرة للإعلام» يهدف من خلال هذا الكتاب إلى تقديم وجهة نظر أخرى للقراء: نظرة إلى كواليس الممارسات الصحافية في زمن الحرب كما يرويها صحافيون أصحاب وجهات نظر وخبرات متنوّعة من مختلف أنحاء العالم العربي.

يفتح الكتاب نافذة إلى عمل صحافيين عرب ومحررين ومرشدين صحافيين محليين شهدوا أو يشهدون الحرب والنزاع في المنطقة ليس بشكل مباشر وحسب، بل من منظور فريد تماماً نظراً إلى أن مدينتهم أو حيّهم هو الذي يشهد العنف ويتعرض للدمار. ولا يجد هؤلاء الصحفيون بدّاً من أداء مهمتهم وتغطية ما يحدث في محيطهم من وقائع وأحداث.

تضمّ صفحات هذا الكتاب روايات هؤلاء الصحافيين حول المنطقة بالتوازي مع نقاشات أخلاقية ونصائح عملية من تجاربهم وتجارب خبراء إعلاميين آخرين، وذلك بهدف إطلاع زملائنا الصحافيين والإعلاميين على هذه المعرفة القيّمة والحفاظ على الدروس التي استقوها، لتكون في متناول الأجيال المقبلة.

تتيح لنا الصحافة المسؤولة الإصغاء إلى معاناة الناس في زمن الحرب وما يليها وذلك عبر تسليط الضوء على ما تنوي القوى المتنازعة

إخفاءه لتغيير الوقائع. لذلك من مصلحتنا الترويج لصحافة ذات جودة عالية عبر تسهيل الوصول إلى المعرفة والمساعدة في بناء إمكانيات تغطية الأخبار من ساحة المعركة بشكل آمن وأخلاقي ومن وجهة نظر تضع في صلبها الإنسان.

ونأمل بصدق أن تجدوا في هذا الكتاب الفائدة المنتظرة وأن تتذكروا في المرة المقبلة التي تنوون فيها العمل في الميدان أو المساهمة في تغطية إخبارية، أن تطبّقوا على الأقل نصيحة واحدة من النصائح التي يشتمل عليها هذا الكتاب، فهذا أعظم ما نطمح إليه وهو الدافع الذي انطلقنا منه لإنجاز هذا الكتاب.

كلمة المحررَين

عوّاد جمعة وخالد رمضان

لطالما كان نقل أخبار الحرب والنزاعات مغامرة دونها مخاطر جمّة لا سيما في منطقة مثل الشرق الأوسط. إذ لا تزال هذه المنطقة ساحة لتغييرات هائلة أدت إلى زعزعة الوضع الاجتماعي والسياسي والإنساني، وذلك فيما شهدته المنطقة من نزاعات مسلحة وانتفاضات شعبية ضد ديكتاتوريات محصّنة.

لذلك فإن إخبار قصص الناس من سوريا واليمن ومصر وليبيا وغيرها من مناطق النزاع يرتبط باعتبارات عديدة، من بينها أن عدداً كبيراً من المراسلين المهنيين والمواطنين الصحافيين والناشطين الإعلاميين يجدون أنفسهم مندفعين أكثر فأكثر إلى عمق الخطوط الأمامية المتغيرة باستمرار.

لا يمرّ يوم في الشرق الأوسط من دون أن يتعرّض صحافي للملاحقة أو الرقابة أو المضايقة أو الخطف أو السجن أو القتل.

وتعتبر قلّة المؤسسات الإعلامية العريقة في العالم العربي وعدم توفر التدريب المناسب، سببين يزيدان من المخاطر التي قد يتعرض لها العديد من الصحافيين المستقلين والمواطنين الصحافيين. لذلك يهدف هذا الكتاب إلى المساهمة في النقاش حول تغطية الحروب في المنطقة وخارجها. وتغوص فصوله في تجارب خاضها عدد من المراسلين في محاولة للإجابة على سؤال: كيف نقدم تغطية إعلامية مهنية دون التعرض للخطر؟

من خلال نقل هذه المعرفة المتراكمة والمستمدة من تغطيات إخبارية على مدى العقود القليلة الماضية، يأمل هؤلاء المراسلون المهنيون

والمواطنون الصحافيون والناشطون الإعلاميون في أن يشكّل عملهم رصيداً للمراسلين الحربيين الطموحين وأولئك الراغبين في ممارسة العمل الميداني.

ويقدّم تعدد الأصوات في الكتاب، بدءاً من المراسلين الحربيين الحاصلين على جوائز هامة مثل اللبنانية زينة خضر وصولاً إلى زينة إرحيم الناشطة الإعلامية السورية، مجموعة متنوعة من التجارب الإعلامية المهنية خلال الحروب في سوريا وليبيا والعراق ولبنان.

تعمل زينة خضر في الجزيرة الإنجليزية منذ انطلاق القناة في العام 2006. ومع انطلاق ثورات الربيع العربي، قامت بشكل أساسي بتغطية الانتفاضات في العالم العربي. قبل ذلك، ساهمت في تغطية الأحداث في أفغانستان وباكستان. وقد رشّحت تغطيتها للثورة في طرابلس وسقوط نظام معمر القذافي في مهرجان مونت كارلو للتلفزيون والأفلام وجوائز «إيمي».

أما زينة إرحيم فتقدم شهادة مؤثرة تروي فيها كيف رفع الناس هواتفهم المحمولة وبثوا للعالم بشكل حيّ بدايات الأحداث في سوريا. ولهذا الشكل الجديد من صحافة المشاركة ثمنه أيضاً، بحسب ما تقول. إلاّ أنه سلط الضوء على وجهات نظر جديدة.

من ناحية أخرى، لم يكن سهلاً علينا نحن المحررين أن نلتقط ونوثّق هذه القصص عبر منح صوت لمراسلين وسط الحروب. واعتبر المشاركون هذه العملية امتيازاً أو حتى ترفاً لا يستطيعون تحمّله. وسأل كثيرون: «متى سيتسنّى لي الوقت والطاقة لأخبر قصتي؟ فها أنا منشغل بالبقاء على قيد الحياة ومواجهة المخاطر اليومية». أميرة أحمد حرودة هي أول امرأة تعمل كمرشدة ومنسقة إعلامية محلية في غزة. وبالكاد تمكنت من تسليم مساهمتها في الكتاب في الوقت المطلوب لأن الانقطاع المستمر للكهرباء وظروف أسرتها في القطاع المحاصر جعلت ذلك شبه مستحيل.

ولدينا من اليمن بشراحيل هشام بشراحيل الذي كان يختبئ ويتجنب لفت الأنظار إليه خلال فترة إجرائنا المقابلة معه. يتحدّر بشراحيل من واحدة من العائلات المرموقة في مجال الصحافة المطبوعة في اليمن. ويروي في المقابلة كيف عاش أطفاله خطر التعرض للخطف. وتجربته القاسية هي رواية درامية عن إدارته صحيفة في وقت تعيش بلاده حالة حرب. وقد واجهنا العديد من الصعوبات لترتيب المقابلة معه وذلك نظراً إلى عدم استقراره في مكان واحد. ولم ننجح في الحصول لكم على قصته سوى بمساعدة تطبيقي «فايبر» و»واتساب» عبر اتصال ضعيف جداً بالإنترنت.

لم يختلف الأمر كثيراً حين حاولنا التحدث إلى المرشد المحلي والصحافي معتصم الهتاري. ففي وقت المقابلة، كان الهتاري يعيش في صنعاء خوفاً من الغارات والمسلحين الذين يجوبون الطرقات. ويقول إنه في كل مرة يحمل الكاميرا يشعر أنها قد تكون المرة الأخيرة. وكل قصة يرصدها هي مواجهة قريبة جداً مع الموت. وكصحافي مستقل في العالم العربي، يتحدث الهتاري عن مشقّة التعرّض للاعتقال والتحقيق بشكل مستمر على يد المجموعات المسلحة التي تسيطر على صنعاء اليوم وعن كيفية الصمود رغم كل ذلك.

في الواقع لم يتمكن بعض مساهمينا من الكتابة بأنفسهم والمساهمة في هذا الكتاب، وذلك بسبب الأوضاع شديدة الخطورة التي يعملون فيها. وبدلاً من ذلك، أجرينا مقابلات مطوّلة معهم عبر الهاتف أو بشكل شخصي لتوثيق مسيرتهم. وقمنا بتحرير وتكثيف هذه المقابلات حرصاً على أن تكون على قدر كامل من الوضوح.

واجهنا تحدياً آخر تمثل في العثور على الأصوات المناسبة وتغطية عمق منطقتنا. فحالة الاستقطاب المستفحلة في المنطقة جعلت ذلك مهمة شاقة للغاية. فتقديم نظرة شاملة عن المنطقة بأكملها يتطلب مجلّدات عديدة وسنوات من البحث والتحقيق. لذلك، ستجدون دولاً أساسية في شمال إفريقيا غائبة حالياً عن هذا الكتاب. كذلك، لم نستطع تغطية

العديد من المواضيع نظراً إلى أننا مقيّدون بالوقت. ومن المواضيع التي ننوي معالجتها في كتب لاحقة، المعضلة الأخلاقية لإجراء مقابلات مع أشخاص قيد الاعتقال.

رغم ذلك، نرى في هذا الكتاب خطوة أولى مهمة باتجاه تقديم منصة للصحافيين والعاملين في المجال الإعلامي تكون من صلب المنطقة وشديدة الارتباط بها. تكمن قوة الكتاب في المحتوى المتنوّع والأصيل المستمد من النسيج الغني للناس. وهو أقرب ما لدينا إلى النقل الصادق لتجارب ومعارف خبراء في المنطقة. وهو يحيي الإنسانية المدفونة تحت الرّكام الذي تسببه الغارات الجوية، ويغوص في قصص تتشكّل تحت القصف المدفعي، ويرتّب الفوضى التي تحدثها السيارات المفخخة.

حين تتصفحون الكتاب ستلاحظون فرادة كل تجربة حتى لو تناولت الحرب أو النزاع ذاته. والسبب ليس أننا نصغي إلى أشخاص من خلفيات مختلفة فحسب بل أيضاً لأن لمحتوى كل تجربة خصوصياته وتحدياته المختلفة. أما الزمن الذي يغطّيه المساهمون في الكتاب والصحافيون الذين قابلناهم، فيبدأ من ثورات العام 2010 في الشارع العربي حتى يومنا هذا.

ولا يمكن أن تغفل الصحافة البصمة الإنسانية للصحافيين الذين يخبرون القصص. ومن الواضح بالنسبة إلينا أنه ليس ثمة مقاربة واحدة أو وجهة نظر واحدة تجاه التغطية الحيادية للحرب والنزاع. ولا توجد صيغة واحدة تناسب الجميع لتعريف تغطية الحرب والنزاع.

يتذكّر المصري خالد فهيم من منفاه في تركيا كيف انطلقت الثورة في مصر. ويروي كيف بدأ مسيرته مع مواطنيه لتغطية الانتخابات البرلمانية المثيرة للجدل في العام 2010، ويحكي بعدها كيف وجدوا أنفسهم يغطّون ثورة كاملة وينشئون مؤسستهم التي تتمتع بحضور كبير على فيسبوك.

ومن فلسطين، يحدثكم الصحافيان أميرة حرودة وتامر المسحال عن أن كل نوع من الحروب يتطلب مهارات مختلفة. فتغطية الاحتلال مثلاً تختلف عن تغطية الحرب الأهلية. فلكل حرب ونزاع خصوصيات ومخاطر على السلامة ومتطلبات لوجستية فضلاً عن المتطلبات العاطفية التي يفرضها كل نزاع.

يوضح مراسل الجزيرة السابق بيتر غريستي أهمية حفاظ الصحفي على نزاهته في كافة الظروف. فقد أمضى غريستي أربعمئة يوم في بعض من أخطر السجون المصرية بعد أن اتّهم زوراً بتشويه سمعة مصر. عمل غريستي، الذي أطلق سراحه، مع مؤسسات إعلامية تحظى باحترام كبير في العالم. بدأ مسيرته في البوسنة وجنوب أفريقيا. وكان مراسل "بي بي سي" في أفغانستان في العام 1995 حيث وثق ولادة طالبان. وقد فاز أيضاً بجائزة "بيبودي" Peabody عن فيلمه الوثائقي حول الصومال بعنوان "Somalia: Land of Anarchy" في العام 2011.

أطلق العصر الرقمي مرحلة جديدة للعاملين في الحقل الإعلامي. وفي هذا السياق يأخذنا الصحافيان الرقميان كريستيان تريبرت وهادي الخطيب في رحلة إلى هذا العالم الجديد. فخوض غمار هذا المجال يتطلب ابتكاراً وجهداً تعاونياً. لذلك نرى الجماهير تشارك بشكل نشط في هذه العملية. ولكن نتيجة لتدفق المعلومات بسرعة كبيرة وبشكل غير منظم، أصبح من الأصعب العثور على الحقيقة بين كومة متزايدة من الأخبار الزائفة.

أما أيدن وايت من شبكة الصحافة الأخلاقية (Ethical Journalism Network) فيقدم عرضاً موجزاً عن القيم الأساسية التي تشكّل الدعائم الأساسية للصحافة وفي مقدمتها الدقة والموضوعية والمصداقية. ويستعرض إبراهيم صابر المصور الفلسطيني والمنتج الذي يعمل لصالح رويترز المخاطر الناجمة عن خطاب الكراهية في الشرق الأوسط وكيف يمكن تفاديها. ويقدم لنا أبو عباس المسؤول الأممي رفيع المستوى في مجال حقوق الإنسان، تعريفاً بحقوق الصحافيين ومسؤولياتهم القانونية.

جميع هذه المساهمات تحثّنا على الالتزام بأفضل الممارسات وتضمن لنا العمل في بيئة أكثر أماناً ضمن المنطقة المتقلّبة. كما يشرح الكتاب الثمن الشخصي الذي ندفعه لمجرد كوننا شهوداً على المعاناة الإنسانية ويقدّم استراتيجيات للتعامل مع مثل هذه الصدمة.

إن الهدف من هذا الكتاب هو إتاحة الفرصة للقارئ للاستفادة هذه التجارب والتعلم من هذه الخبرات، بما يساعد على تطوير المهارات واستراتيجيات التعامل مع مختلف الظروف في العمل الصحفي. لا شك أن إخبار العالم القصص المخبأة في كل حرب ونزاع مهمة بالغة الأهمية إلّا أنه من الضروري أداء ذلك انطلاقاً من أرضية أخلاقية صلبة ودون الاستهتار بجانب السلامة والأمن. وهذه هي الخطوة الأولى نحو المحافظة على إنسانيتنا.

تقديم

قريب وشخصي

بقلم حميد دباشي

تشهد الصحافة تغييراً جذرياً. أتذكّر بشكل واضح حين اندلعت الثورة الإيرانية بين عامي 1977 و1979 كنت طالباً متخرجاً من جامعة بنسلفانيا. وكان الاستماع إلى التغطيات الإخبارية المحلية أو قراءة "نيويورك تايمز" و"واشنطن بوست" أو مشاهدة الشبكات التلفزيونية الرئيسية "إي بي سي" و"سي بي أس" و"إن بي أس"، تمريناً على التعذيب الذهني. فعقلي وقلبي كانا في طهران بينما جسدي عالق في بنسلفانيا. وأخيراً قدت سيارتي من حرم الجامعة إلى مجمّع تسوّق كبير في ضاحية "كينغ أوف براشا" حيث قيل لي إنّ هناك متجر بضائع قديمة الطراز لـ "راديو شاك" يبيع أجهزة راديو بموجات قصيرة. وبالفعل اشتريت واحداً وحاولت التقاط أثير راديو طهران ومتابعة أخبار الأحداث المتقلبة هناك.

أما اليوم وبعد مرور أربعين عاماً، أستيقظ باكراً جداً وعلى الطاولة الملاصقة لسريري جهازي الآيفون، حيث أبدأ قراءة الأخبار بالفارسية في إيران أو بالعربية في العالمين العربي والإسلامي في الوقت الذي يكون فيه أصدقائي وعائلتي وزملائي في تلك الدول عالقين في زحمة الصباح متوجّهين إلى أعمالهم. وقبل أن أخلد إلى النوم في نيويورك أتابع الأخبار التي سيقرأها أصدقائي في العالم العربي في الصباح التالي. باختصار، في نيويورك أنا سابق لعناوينهم. لست مدمناً على الأخبار ولكنّي بمجرّد أن أتصفّح صفحة الأخبار على الآيفون أشعر أنني أضع يدي على نبض أخبار العالم. وقد حصل هذا التحوّل الدراماتيكي الذي يرتكز على التغيرات التكنولوجية المذهلة، خلال حياة واحدة أي منذ أن كنت في أوائل عقدي الثاني مع بدء الثورة الإيرانية في منتصف سبعينيات القرن الماضي إلى أن دخلت عقدي السادس عندما هزّت الثورات العربية العالم.

ويعبّر تركيز هذا الكتاب حول الصحافة في مناطق تشهد أطول فترة نزاع وحرب في العالمين العربي والإسلامي، عن حال الصحافة اليوم على مستوى العالم. ففي عصر "الأخبار الكاذبة" و"الحقائق البديلة" و"ما بعد الحقيقة" لا يزال السؤال المطروح هو كيف نعرف ما الذي نعرفه فعلاً عن العالم؟ والزاوية الخاصة التي يتخذها الكتاب من خلال كونه "من العالم العربي وعن العالم العربي" تمنحه خصوصية سياسية ومعرفية فريدة. فستقرأون في صفحاته كيف تتلاقى أطر العمل النظرية والمفاهيمية مع أمثلة وتجارب من الواقع وهو إنجاز سيشغل أجيالاً مقبلة من الصحافيين والأكاديميين.

أثناء دجلها المسهب كالمعتاد، تفوّهت كيليان كونواي، مستشارة دونالد ترامب، تلك العبارة الغريبة "حقائق بديلة" التي أثارت عجب وفضول أولئك الذين يألفون فكرة "اللغة الجديدة" الأورويلية، إذ تبين فعلاً أن لهذه الأخبار وجوداً حقيقياً بل وصار لها اسم قائم ومتداول، ألا وهو "الحقائق البديلة". شكّلت تغطية "نيويورك تايمز" لمرحلة البروباغندا في الحرب على العراق خلال رئاسة جورج بوش، لا سيما تغطية جوديث ميلر التي اتسمت بالتدليس والكذب حول وجود أسلحة دمار شامل بحوزة نظام صدام حسين، مثالاً على الحقائق البديلة والأخبار الكاذبة. ونحن لم نكن نعرف تلك المصطلحات حين كانت "نيويورك تايمز" تمارس مفاهيمها رغم الثمن الباهظ لذلك والذي تمثّل في المساعدة والتحريض على تدمير بلد بأكمله.

فمن يقول الحقيقة؟ ما هي الحقيقة؟ ما أهمية ذلك أساساً؟ يشهد العالمان العربي والإسلامي تغييرات مزلزلة. ولم تعد وسائل الإعلام التي تسيطر عليها الأنظمة هي المصدر الرئيسي والوحيد للمعلومات حول العالم. غير أن هذه الحقيقة لا تمنع التعامي المقصود الذي تفرضه المصلحة الشخصية على ما يختار الناس تصديقه. في المقابل غيّر الإعلام الاجتماعي وجه قطاع صناعة الأخبار. وإن كان الافتراض بأن اندلاع الربيع العربي كان ثورة فيسبوكية، ولا يزال مبالغة تكنولوجية، فإن حقيقة حصول تعبئة اجتماعية على شبكات الإنترنت لا تزال اليوم صحيحة أكثر من قبل.

في الواقع، لدى جزء منّا ممن نشأوا في ظل أحد أشكال الديكتاتوريات نزعة صحية إلى الشك في الأخبار بشكل عام، وفي أي إعلام إخباري. ولكن لا يعني ذلك أننا بطبيعتنا شكاكون أو أننا أسرى لعقلية مؤامراتية، وإنما لدينا نظرة خاصة إلى الحقيقة وذلك لأننا نشأنا ونحن ننظر إلى الحقائق من زوايا متعددة.

هل العرب قادرون على نقل شؤونهم الخاصة بشكل دقيق؟ هل يمكن للمسلمين أن يكونوا مصادر موثوقة للمعلومات الموضوعية عن حياتهم اليومية والتغييرات التاريخية؟ لا تتسم الأخبار الخارجة من العالم العربي اليوم بـ "الموضوعية" لأن من ينقلها هي جهات تستثمر أخلاقياً وسياسياً في نتائج ما تنقل. ففي كتابه "معذبو الأرض" (1961) يرى فانون أن "ابن البلد يعتبر الموضوعية موجّهة دائماً ضدّه". أضف إلى ذلك كلماته القيّمة الأخرى: "حين يسمع المواطن ابن البلد حديثاً عن الثقافة الغربية فإنه يشهر سكينه، أو يتأكد، على الأقل، أنها في متناول يده". ونحن في العالم العربي والإسلامي نغيّر طريقة تعاملنا مع الأخبار. نحن لا نقدّم حقائق بديلة بل نعيش حقائق بديلة يشوّهها حكّامنا منذ الظروف الاستعمارية لولادة أممنا حتى الظروف التي تلت الاستعمار والتي أخرجت لنا طغاة ورثوا تلك الأمم.

ما جمعه محررا هذا الكتاب، عواد جمعة وخالد رمضان، هو مزيج من وجهات النظر الحساسة حول الظروف الشديدة التقلّب للإعلام والتغطيات الإخبارية. فمخاوفهم بشأن القانون الإنساني الدولي وحقوق الإنسان وحرية التعبير، تعكس الظروف الشاقة التي يعيشون فيها مع مخاوفهم اليوم. فالصحافيون يواجهون الهجمات والاتهامات والاعتقالات حين لا تتوافق تغطياتهم مع سياسات الدولة التي يعيشون فيها، فيما حرية التعبير غائبة عن معظم العالم العربي. بينما نرى أن إسرائيل تستهدف "الجزيرة" بشكل خاص لأنها تعارض سيطرتها الاستعمارية على فلسطين. لذلك فإن ما نقرأه هنا ملحّ لأن لدى هؤلاء الروّاد الذين يشاركوننا تجاربهم على صفحات هذا الكتاب شيئاً بالغ الأهمية يقولونه للعالم.

وبنظرة سريعة على عناوين المقالات وما تحتويه، نكتشف المخاوف والانشغالات الكبرى التي تضيء على ظروف الصحافة في العالمين العربي والإسلامي. ويبقى العنصر الأهم في جميع المقالات، هو سلامة الصحافيين. ففي "حماية الصحافيين بموجب قانون حقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي" يلفت أبو عباس النظر إلى مخاطر الصحافة كمهنة. ويعبّر بيتر غريستي عن مخاوف مشابهة في "النزاهة المهنية أهم ضامن لحماية الصحفيين".

بعد ذلك تأتي مسألة مسؤوليات الصحافيين في ظل الظروف الصعبة. ففي " كيف يتفادى الصحافي خطاب الكراهية والتحريض على العنف" يقودنا إبراهيم صابر إلى مسألة شائكة تتمثل في كيفية التمييز بين حرية الصحافة وحرية التعبير. ورغم أنها ليست بالمهمة السهلة إلاّ أن تناولها يدلّ بشكل واضح على البيئة المتقلّبة التي تثار فيها المسألة.

يجمع الكتاب بين دفتيه آراء عدد من الصحافيين المحنّكين الذين خبروا العمل الصحفي في مناطق الحروب. فالانشغال بنضال الصحافيين لتحقيق الدقة في تغطياتهم الإخبارية غير بعيد عن وابل النيران والقصف، واضح في مقالة "التغطية الإخبارية في ظل الاحتلال في فلسطين" حيث يختبر تامر المسحال حدود التغطية في مثل هذه الظروف. وتأتي مسألة الجندر في الصحافة واضحة في مقالة "رغم الحواجز والمخاطر: تجربة عمل نسائية في غزة" بقلم أميرة أحمد حرودة، كما في "الحرب على عتبتكم: عن الصحافة والمناصرة" بقلم زينة إرحيم.

ويعرّج كريستيان تريبرت وهادي الخطيب على مسألة التكنولوجيا الحديثة في "الصحافيون الرقميون: التحقيق المفتوح المصادر والتحقق من الأخبار في النزاعات". ونرى المخاوف نفسها في "قصص الحرب على صفحات الإعلام الاجتماعي: أخلاقيات الاستخدام والتفاعل مع الجمهور" بقلم صخر الماخذي، كما في مقالة خالد فهيم "أكثر من شهود: صحافة المواطن خلال الثورة المصرية". هذا الكتاب باختصار يقدم أحدث ما مرّ به الصحفيون من خبرات وتجارب ميدانية، وقد أخذوا على عاتقهم

في هذا الكتاب أن يتناولوا بالبحث والتحليل جانباً من الأسس المهنية والقواعد الأخلاقية التي لا يمكن لأي صحفي الاستغناء عنها وتحقيق التميز بدونها.

إن الخلل الأكثر تدميراً للتغطية الأوروبية والأميركية للأحداث في العالمين العربي والإسلامي هو بالتأكيد أحاديتها اللغوية المزمنة والمرضية. فعجز الأوروبيين والأميركيين عن التواصل بالعربية أو بأي لغة أخرى محكية في المنطقة ليس مجرّد مسألة لغوية، بل يترجم إلى نظرة ملتوية إلى الزمان والمكان والثقافة والظروف. فتخيّل صحافياً مصرياً أو إيرانياً أو تركياً يحاول الكتابة بشكل مقنع عن بريطانيا أو الولايات المتحدة من دون أن يعرف الإنجليزية أو عن فرنسا من دون أن يتكلّم الفرنسية... إلخ.

فحتى فترة قصيرة جداً لم يكن لدى معظم وسائل الإعلام الأميركية البريطانية مراسلون أجانب في هذه الدول قادرون حتى على إجراء محادثة يومية واحدة بالعربية أو بالفارسية أو بالتركية أو بالأوردو، وتبقى الحال كذلك حتى يومنا هذا. وبالطبع لا يكمن حل هذه المعضلة في انتهاج سياسة نقيضة مشابهة تصر على توظيف محليين فقط، لأن هذه سياسة مزعجة وغير حيادية. فلا غنى عن دمج التفكير الجلي مع حميمية ضرورية تجاه لغات وثقافات المنطقة، لفهم دينامية منطقة ناشئة مثيرة للقلق. فلا تزال هناك فجوة كولونيالية تفصل بعنف بين طريقة ممارسة الصحافة من قبل أنصار المحورية الأوروبية والهندو أوروبيين.

ليس هنالك في الإعلام العالمي مركز ولا أطراف بالشكل الذي كانت عليه الحال فيما مضى. ولحسن الحظ في هذا العالم اللامركزي الذي نعيش فيه، يقع كل مصدر خبر على بعد نقرة واحدة من الآخر. ولا تحصل السجالات والمحادثات في الولايات المتحدة أو أوروبا ـ لأنه يتم سحبها ودفعها بشكل حاسم نحو تداعياتها العالمية ـ وبذلك تحصل في كل مكان وأي مكان. ومن شبكات قديمة الطراز مثل "إيه بي سي" و"إن بي سي" و"سي بي أس" إلى فضائيات مثل "فوكس نيوز" و"سي إن إن"، مروراً بصحف مطبوعة تابعة لشركات مثل "نيويورك تايمز" و"واشنطن

بوست" ومعاقل الليبرالية البرجوازية مثل "نيويوركر" والتمهيد الليبرالي للاستيلاء الصهيوني على فلسطين في "هآرتس"... نتأرجح باتجاه وسائل إعلام تتحكم فيها الدولة مثل "بي بي سي" ونظيراتها في العالم العربي والإسلامي. فـ "بي بي سي" هي امتداد للمعلومات الاستخباراتية الضرورية لخدمة السياسة الخارجية البريطانية وبالتالي للنزعة الكونية الأوروبية المتأخرة التي لا يمكن لأي موظف أفريقي أو جنوب آسيوي في "بي بي سي" التكتم عنها. ينتقدون "الجزيرة" لأنها صمتت عن العائلة القطرية الحاكمة ويغفلون تملّقهم للعائلة البريطانية الحاكمة. فأنا لم أقرأ يوماً كلمة واحدة على "الجزيرة" فيها تزلّف للعائلة الحاكمة في قطر كما يتزلف مراسلو "بي بي سي" الملكيون للعائلة الحاكمة هناك بلا خجل. ولكن هذا لا يعني أن التفكير بشكل نقدي أكثر ليس مطلوباً في أي وسيلة إعلامية بما في ذلك "الجزيرة"، بل ربما "الجزيرة" بشكل خاص. ببساطة أردت أن أقول إنه بعد وقت طويل من وفاة فانون لم نعد نحتاج الوصول إلى مِديتنا حين يتحدث الأوروبيون أو الأميركيون عن الموضوعية، إذ يمكننا أن نغيّر القناة أو نختار موقعاً إلكترونياً آخر.

نيويورك
سبتمبر 2017

القسم الأول

صحافة الحرب: دروس مستفادة ونصائح عملية

الفصل الأول

صراع داخل صراع: التغطية الإعلامية والرقابة في اليمن

مقابلة مع باشراحيل باشراحيل، نائب رئيس تحرير صحيفة "الأيام"

تشكّل الصراعات والنزاعات الداخلية والخارجية جزءاً كبيراً من تاريخ اليمن. فهذا البلد تتنازعه الحروب الأهلية وحركات التمرّد التي أدت إلى أَسْرِ عشرات من الصحافيين منذ العام 2010 في عمليات انتقام مباشرة بسبب عملهم[1]. ومنذ العام 2015، تضاعف الخطر على حياة الصحافيين والمدنيين بفعل الغارات الجوية وقتال الشوارع. ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد إذ يواجه العاملون في القطاع الإعلامي في المناطق التي يسيطر عليها المتمردون خطر الخطف والرقابة أيضاً. فسلطة القانون غائبة منذ عقود، والسلطات تملي على الناس جميع تفاصيل حياتهم اليومية، في أي مكان وجدوا وأي زمان.

في المقابلة التالية التي أجراها المحرر عواد جمعة نغوص مع الصحافي باشراحيل باشراحيل، في بعض من هذه الصراعات التي يخوضها بصفته نائب رئيس تحرير صحيفة "الأيام" وهي أكبر الصحف الوطنية اليمنية[2]. وسيتم التحدث لاحقاً عن تجربته في سياق خبرته في العمل تحت المناخ السياسي اليمني الهش. ونظراً إلى الصعوبات التي تفرضها الحرب المستمرة في البلاد، كان من المستحيل على باشراحيل أن يكتب بنفسه عن تجربته. فهو يعيش في حالة خوف دائمة على حياته وحياة عائلته، لذلك ينتقل بشكل مستمر لتفادي الساعين إلى إسكات صوت

[1] لجنة حماية الصحافيين. «اليمن»، CPJ.org https://cpj.org/killed/mideast/yemen (تمّ الاطلاع على الرابط في ٢٣ حزيران/يونيو ٢٠١٧).

[2] الموقع الإلكتروني لصحيفة «الأيام»: http://al-ayyam.info (تمّ الاطلاع على الرابط في ٢٣ حزيران/يونيو ٢٠١٧).

الإعلام المستقل [3]. عمل مراسلاً صحافياً لأول مرة خلال الحرب في يوغسلافيا السابقة حين كان متدرباً في صحيفة غربية كبرى. ويروي لي ضاحكاً: "قررت الصحيفة إرسالي إلى هناك لأنّه كان بالإمكان الاستغناء عنّي". غير أن باشراحيل يتحدّر من عائلة تتمتع بتاريخ عريق في إدارة الصحف في اليمن.

الصحافة: تقليد قديم في العائلة[4]

عواد جمعة: هشام باشراحيل هو والدك. وكان المؤسس ورئيس التحرير السابق لصحيفة "الأيام" التي تعد إحدى أهم مصادر الأخبار المستقلة في اليمن. وقد رحل في 16 حزيران/يونيو 2012. حزن عليه الناس داخل اليمن وخارجه. العديد من البيانات التي نعته تحدثت أيضاً عن قلبه الكبير والتزامه بصحافة حرة ومفتوحة. كان من المعلّقين الذين يحظون باحترام كبير من القراء. وكانت له مكانة عالية لدى القرّاء وفي أروقة السلطة ولدى الصحافيين في اليمن. وحتى الذين لا يتفقون مع آرائه، كانوا يقدّرونه ويقدّرون عمله. يقول كثيرون إن قصة حياة عائلتك غير منفصلة عن قصة "الأيام" والصحافة في اليمن بشكل عام. هل يمكنك أن تخبرنا قصة "الأيام" وعلاقة عائلتك بها؟

باشراحيل: نحاول طيلة عقود إدارة صحيفة يومية مستقلة. أسست عائلتي الصحيفة في العام 1958 خلال الحكم البريطاني لعدن. حينها كان في عدن حركة نشيطة تدعم حرية التعبير. غير أن إدارة صحيفة لطالما شكّل تحدّيًا في هذا البلد. بعد الاستقلال في العام 1967، أغلقت جميع الصحف الحرة أو المعارضة بمرسوم حكومي. وحين حكم الاشتراكيون

[3] في العام ٢٠٠٩، صادر مسؤولون أمنيون جميع نسخ الصحيفة من أكشاك الجرائد في العاصمة صنعاء ومدن أخرى وفقاً لمنظمات حقوق الإنسان:
https://www.amnesty.org.uk/press-releases/yemen-fears-safety-imprisoned-newspaper-editor-and-his-two-sons

[4] ولد هشام في ١٩ حزيران/يونيو ١٩٤٤ في بلدة التهاوي مسقط رأس الصحافي المخضرم محمد علي عمر باشراحيل الذي عمل حينها لصالح شركة البرق واللاسلكي البريطانية وترأس أيضاً «نادي الإصلاح العربي». كان محمد باشراحيل يملك أيضاً صحيفة «الرقيب» ويرأس تحريرها وتحرير الأسبوعية الإنجليزية «ذا ريكوردر» The Recorder. كما أن عمّه، محمد علي لقمان، كان أيضاً رئيس تحرير «القلم العدني» وعمّه عبد الرحمن جرجره كان أيضاً رئيس تحرير جريدة «اليقظة» ولاحقاً أسبوعية «النهضة». في العام ١٩٦٠، أصبحت عمّته ماهية نجيب ناشرة ورئيسة تحرير مجلة «فتاة شمسان» الشهرية وهي واحدة من أولى المجلات النسائية في شبه الجزيرة العربية.

الشطر الجنوبي، أغلقت "الأيام" أيضاً. حينها انتقل أبي بنا إلى صنعاء حيث أدار شركة لتجارة الورق قبل أن يسافر لاحقاً إلى كندا. توحّد الشطران الشمالي والجنوبي لليمن في 22 أيار/مايو 1990[5]. تمت المصادقة على قانون الصحافة في أيلول/سبتمبر ثم أعيد افتتاح الصحيفة مجدداً في تشرين الثاني/نوفمبر العام 1990. ولكنّ حين توحّد اليمن، لم يدرك النظام اليمني تماماً ما الذي كان يفعله بمجرّد موافقته في اتفاقية الوحدة، على نظام ديمقراطي يتضمّن حرية التعبير في البلاد. وقال العديد من الصحافيين حينها إن النظام لم يكن يفهم نطاق حرية التعبير أو عمقها، فسريعاً ما تحوّلت حرية التعبير إلى إزعاج واضح للسلطات التي باتت تتعرض للمحاسبة على يد الصحافيين وهو أمر لم يعجبها بالطبع.

في مطلع العام 1998، بدأ النظام حملة قمع منظّمة ضد الصحافيين. وفي العام 2005، بدأ مكتب النيابة العامة للاستجواب، بالاستهداف الواضح للصحافيين والتحريض على العنف ضدهم. استدعى ذلك منّا جميعاً أن نكون يقظين أكثر من أي وقت مضى أثناء عملنا كإعلام مستقل.

وكان على الإعلاميين دائماً الامتثال إلى قانون الصحافة بحذافيره في مناطق عملهم. فالحكومة سواء في اليمن أو غيرها ستستغل كل فرصة متاحة لاستغلال القانون ضدك إذا كنت صحافياً ناقداً أو مستقلاً.

لذلك أشجع زملائي الصحافيين على أن يتنبّهوا دائماً إلى قانون الصحافة الوطني. فعليهم ألاّ يعطوا السلطات أي ذريعة لاستخدام النظام القضائي ضدهم. معظم القوانين في العالم العربي تمنح حيّزاً لحرية الرأي. فإذا استخدمت القانون بشكل صحيح، سوف تقترب خطوة نحو حماية نفسك. وهذا ينطبق على صحيفة "الأيام" في اليمن. فهنا، 74% من القضايا التي رفعتها الحكومة ضد الصحافة كانت ضد صحافيين ومحررين

[5] جدول زمني مختصر لتاريخ اليمن:
http://www.abc.net.au/news/2015-04-15/yemen-a-century-of-conflict/6381720

يعملـون لصالـح "الأيـام"، غيـر أن الحكومـة لـم تربـح أي قضيـة ضدّنـا. فنحـن ببسـاطة لـم نمنحهـا أي ذريعـة قانونيـة أو نرتكـب أي خطـأ قـد تسـتخدمه ضدّنـا. فقـد عملنـا فـي إطـار القانـون وعرفنـا حقوقنـا. وحيـن فشـل كلّ ذلـك، بـدأت الحكومـة تسـتخدم العنـف ضـد الصحيفـة حيـث أغلقتهـا بالقـوة وليـس عـن طريـق المحاكـم. حصـل ذلـك لأول مـرة فـي العـام 2009، ومجـدداً فـي العـام 2015 بسـبب الحـرب الأهليـة.

تصاعد الاحتجاجات على اثر الاعتقالات وسط انتشار
المؤتمر: عناصر شريرة نهبت وخربت ومست عيش مواطنين
الاشتراكي: ندعو إلى تنظيم الفعاليات الرافضة لسياسات البنك
الأيام
AL-AYYAM
يومية ● سياسية ● مستقلة ● جامعة
الأربعاء 2 ابريل 2008م ، الموافق 25 ربيع الأول 1429هـ
العدد 5366 السنة 27

صورة للصفحة الأولى لصحيفة الأيام من العام 2008.

الرقابة وحرية التعبير في اليمن

عـواد جمعـة: إذا عدنـا خطـوة إلـى الـوراء، مـاذا عـن الصحافييـن الذيـن يجعلـون نظامـاً أو حكومـة أو سـلطة، خاصـة فـي بيئـات معاديـة، حساسـة تجـاه أي انتقـاد مـن الصحافييـن؟ مـا الـذي يصيبهـم بالارتيـاب مـن عملنـا، بنـاء علـى تجربتـك؟

باشراحيل: في اليمن، لطالما كانت الصحف التقليدية ملتزمة بالخط الحكومي. والحكّام يعتبرون حرية التعبير نوعاً من التمرّد على حكمهم. وهذه من أكبر المشاكل التي نواجهها في اليمن اليوم. فحرية التعبير لا ينظر إليها على أنها حق. الجمهور لديه الحق في التعبير عن رأيه وفي انتقاد الممارسات الخاطئة للذراع التنفيذية للحكم. هذه المشكلة التي نواجهها في اليمن. لا يفهم السياسيون نطاق حرية التعبير والدور الحساس الذي تلعبه الصحافة في مراقبة أداء الحكومات.

عواد جمعة: إذاً بشكل عام لا ينظر إلى الصحافة في العالم العربي على أنها حق بل على أنها تهديد؟

باشراحيل: لنأخذ على سبيل المثال الرئيس علي عبد الله صالح. اعتبر الرئيس علي عبد الله صالح هذا الحق بمثابة امتياز منحه للجمهور. هذا كان رأيه في حرية التعبير. وأصبح ذلك واضحاً بالنسبة لنا نحن الصحافيين في منتصف تسعينيات القرن الماضي حين قال "منحتكم حرية التعبير". غير أن حرية التعبير لا تمنح، لأنها حق، حق أساسي من حقوق الإنسان. والجميع لديهم الحق في التعبير عن أنفسهم.

وثمة عقبة أخرى نواجهها ألا وهي غياب التفكير النقدي لدى الجمهور. فنحن في جميع أنحاء الشرق الأوسط، يتم إعدادنا لكيلا نفكر بطريقة نقدية. وهناك قلّة بيننا في المنطقة تنتقد عمل حكوماتها. فثمة نوع من التقليد بألاّ ننتقد حكّامنا. غير أن الأمر يتغيّر ببطء الآن. فمع ظهور الربيع العربي، تفجّر التفكير النقدي في أنحاء المنطقة على يد شباب تعرّفوا على أشكال جديدة من الإعلام.

ومهّد ظهور الفضائيات في تسعينيات القرن الماضي ولاحقاً الإعلام الاجتماعي، الطريق لحصول ذلك. لقد قادت هذه التغييرات إلى تحوّل في طريقة تفكير الجمهور وحكمه على أداء الحكومات.

عواد جمعة: أنت تشير إلى غياب التفكير النقدي في اليمن. ما سبب ذلك؟

باشراحيل: أنا أؤمن بأن الديمقراطية أمر نتعلّمه تدريجياً. نحن لم نكن نعيش في مجتمع ديمقراطي باستثناء بعض المناطق القليلة من بينها عدن. فعدن كانت تتمتّع بحرية التعبير منذ أربعينيات القرن الماضي. والناس هناك كانوا معتادين على انتقاد أداء الحكومة مما أوجد أصواتاً مستقلة في الإعلام يدعمها الناس. غير أن مناطق أخرى في اليمن لم تكن قد اختبرت ذلك. وقد رأينا مثلاً كيف أصبح الناس يخشون التعبير عن انتقادهم للفساد. غير أن ذلك تغيّر تدريجياً على مرّ السنين. فهي مسألة مرتبطة بالتربية وبالبيئة التي نعيش فيها وبالتقاليد المحلية؛ كلها تلعب دوراً في قدرة الشعب على التفكير النقدي. فمن الأصعب أن يزدهر التفكير النقدي في المجتمعات القبلية. فهي دائماً ترفض انتقاد الزعماء بسبب هرميتها الداخلية المشددة.

عواد جمعة: يأخذني هذا إلى سؤال آخر: المنظور الشخصي مقابل المهني. في حالتك هذه وحالات صحافيين آخرين، غالباً ما يتحوّل الشخصي إلى عام. فالحدود غير واضحة. ولكن اسمح لي أن أعود لأسألك عن مسألة الديمقراطية. أرغب أن آخذ لبنان كمثال على بلد يحظى منذ عقود بالإشادة على أنه منارة الحرية في العالم العربي فيما يخصّ حرية الصحافة. ورغم الاختلافات في السياق والتاريخ (بينه وبين اليمن)، هل صحيح أنه بمجرّد أن يتمتع بلد ما بنوع من حرية التعبير، سيمارس مواطنوه تلقائياً التفكير النقدي؟ أعتقد أنّنا يجب أن نختلف هنا أليس كذلك؟ فمهما كان نطاق حرية الصحافة كبيراً في لبنان، إلاّ أن قدرة المواطنين على التشكيك في الوضع القائم لا تأتي بشكل طبيعي وتلقائي لأنهم منحوا الحرية للقيام بذلك. هل تتفق مع ذلك؟

باشراحيل: لست مخطئاً. ثمة عناصر عدة مطلوبة لضمان حرية التعبير وتعزيزها. فأنت تحتاج إلى حماية قانونية صلبة ونظام قضائي يحافظ على سلطة القانون ولا ينصاع لضغط الحكومات. ولكن بشكل عام القضاء والدساتير في منطقتنا مبهمة ولا تذهب بعيداً في ضمان حرية التعبير. وهذه هي الحال في اليمن حيث يسجن الصحافيون بشكل روتيني ويتعرّضون للتعذيب والمضايقات. ولكن حرية التعبير ليست مجرّد قانون

مكتوب بل هي تقليد وأسلوب تربية وعلى القضاء أن يحمي هذا الحق. إنه أمر يجب أن تكافح من أجله؛ لا أحد يمنحك هذه الحقوق، بل عليك أن تجهد في كسبها وتدفع ثمنها دماً ودمعاً.

عواد جمعة: قلت في البداية إن على الصحافي أن يحرص على الإلمام بالقانون والبيئة في المنطقة التي يعمل فيها. قد يبدو ذلك بالنسبة للكثير من الصحافيين مهمة شاقة. فالقوانين معقدة وكثيفة كما أنه من المكلف جداً خوض معارك قضائية من أي نوع مع الحكومة، ليس في اليمن فحسب بل في أي مكان في العالم أيضاً. كيف تتصرّف حيال ذلك؟ ما هي الخطوات الملموسة التي يمكن أن يتخذها المرء ليتآلف مع هذه القوانين؟

باشراحيل: نصائح أساسية تساعدك على حماية نفسك:

- دافع عن حقوق الناس.
- اطّلع جيداً على قوانين البلد لا سيما القوانين المتعلقة بحرية التعبير.
- تنبه إلى القوانين المتعلقة بالتشهير ومكافحة الإرهاب، فالحكومات قد تستخدمها ضدك.
- احرص أن يكون بحوزتك أوراق الاعتماد الصحافية الصحيحة.
- تقدّم دائماً بطلب للحصول على إذن عند الضرورة حتى لو رفض طلبك.
- احتفظ بنسخة عن جميع مراسلاتك في مكان آمن.
- احرص على أن يتحقق الفريق القانوني للناشر من عملك. وإن كنت صحافياً مستقلاً، أدرج ذلك في إطار تفاهماتك مع الجهات الناشرة.
- إذا كان لديك الكثير من المعلومات التي تؤثر سلباً على القوى السياسية والاقتصادية في منطقة ما، قيِّم التداعيات القضائية التي قد تعقب نشرها.
- خذ بعين الاعتبار العواقب البعيدة عن القانون التي يمكن أن يجرّها إليك أحد الأطراف التي تضررت من المادة المنشورة.
- فكر بكتابة القصة في أجزاء ونشر المعلومات بالتدريج.
- أسس شبكة مع صحافيين يشاطرونك طريقة التفكير.
- انضم إلى نقابة أو اتحاد صحافيين محليين.

باشراحيل: علّمتنا تجربتنا في اليمن في بداية تسعينيات القرن الماضي أنه يجب أن يكون لدينا فريق قانوني يتحقق من كل شيء نكتبه قبل أن يذهب إلى الطباعة. فمن دون ذلك سيكون من السهل جداً على الحكومة أن تغلق (صحيفتنا) إن انتهكنا قانون الصحافة. الأمر حصل أكثر من مرة مع صحف أخرى. استخدمنا نظاماً مشابهاً للذي يعمل بموجبه الصحافيون في مجلة "نيويوركر" في نيويورك و"تايمز" في لندن. فقد جمعتنا صداقة وثيقة مع المؤسستين، وعلاقة جيدة مع العديد من الصحافيين فيهما. استعرنا بعض أساليبهم. في البداية تتعلّم من غيرك ومن ثم تطوّر نظامك الخاص الذي يناسب بيئتك الفريدة.

ثمن الصحافة: التضحيات الشخصية

عواد جمعة: أرغب في الخوض في مسألة الشخصي مقابل العام. خلال المعارك التي خاضتها "الأيام" في الماضي، كنت أنت وعائلتك في خطر. كيف يتعامل المرء مع هذا النوع من الضغط وما يحمله من تحديات؟

باشراحيل: قبل أن أجيب على هذا السؤال، اسمح لي أن أضيف عنصراً إلى المعادلة: الاستقلالية المالية، فهي تعدّ إحدى المشاكل الكبرى للصحف. فالمعضلة هنا في اليمن أن العديد من الصحف لا تملك نظاماً مالياً فعالاً، هذا إذا امتلكت واحداً في الأساس. فتمويل الصحيفة عنصر أساسي في استمرارها ونزاهتها. فاستقلالية "الأيام" كانت متوقفة على ذلك. وقد أجرينا العديد من ورش العمل للصحف حول هذه المسألة، كان الهدف منها شرح أهمية الاستقلالية وكيفية تحقيقها على الصعيد المالي. فلا يمكن أن تصنّف مستقلاً، كصحيفة أو كمؤسسة إعلامية، إن لم تكن مستقلاً مالياً.

والآن بالعودة إلى سؤالك حول التضحيات. الأمر شاق في الواقع، فأنت تدفع ثمناً باهظاً. كصحافي في اليمن، تواجه ضغطاً عاطفياً هائلاً، ليس أنت وحدك بل عائلتك أيضاً. فعائلتي مثلاً، كانت تعيش تقريباً في ظل إقامة جبرية من العام 2008 حتى 2012.

نتيجة لذلك، اضطررت إلى تعليم أولادي في المنزل. وقد كان التهديد باختطافهم موجوداً. كما أن الهجمات على الأملاك كانت أمراً شائعاً. ففي العام 2010، شنت الحكومة هجوماً غير مسبوق على منزلنا. كنّا نعيش تحت التهديد الدائم، ففي العام نفسه شنت الحكومة أيضاً حملة عسكرية على صحيفتنا استخدمت فيها المدافع والقنابل الصاروخية (آر بي جي)، والأسلحة الثقيلة ضدّ مجمّعنا. وحاصرت القوات الحكومية مطبعتنا ولم تسمح بإدخال أو إخراج أي شيء. صادروا شحنات الصحيفة المطبوعة في ميناء عدن من دون أي تبرير أو غطاء قانوني. كان ذلك بمثابة عملية عسكرية حقيقية. في الخلاصة، هذا مستوى العنف الذي كان علينا التعامل معه.

عواد جمعة: هذا خطير جداً. معظم الصحافيين معتادون دخول المعتقلات والخروج منها ولكنّ هذا شيء مختلف تماماً. ما هي إجراءات الحماية التي اتخذتموها؟

باشراحيل: عملت معنا فرق قانونية، ووقف الجمهور إلى جانبنا. هذه أمور أساسية لأي صحافي. الطريقة الوحيدة التي يمكنك حماية نفسك بها هي أن تضمن الحصول على حماية من الجمهور. وهذا يأتي نتيجة دفاعك عن مصالحهم. لقد حظينا بدعم شعبي واسع في اليمن. جميعهم تكتّلوا حولنا وهو ما قلّص شدّة حملة القمع الحكومية ضدّنا.

يافطة مؤيدة لحرية التعبير تظهر فيها صورة رئيس تحرير صحيفة الأيام هشام باشراحيل.

الصحافة كخدمة عامة

باشراحيل: أحد الأدوار الرئيسية للإعلام المستقل هو مراقبة أداء الحكومة وكتابة التقارير حوله والمساهمة جوهرياً في ضمان محاسبتها. في الخلاصة، يجب أن يحمي الإعلام مصالح الناس ويبرز ما الذي يجري في المجتمع وفي السلطة التنفيذية والقضاء والسلطات التشريعية. إذا قمت بما في وسعك لتغطية هذه المجالات بصدق ومن دون انحياز، ستبني علاقة جيدة مع الجمهور. ستحظى بالاحترام وبالحماية حين تحتاجها.

عواد جمعة: هذه نقطة حساسة لأننا غالباً ما ننظر إليها من منظار آخر، فالعديد من الصحافيين في العالم العربي أو على الأقل الذين ما زال لديهم تأثير، مقربون من الحكومة.

باشراحيل: نعم ولكنّ الصحافيين المقربين من الحكومة لا يحظون باحترام الجمهور. صحيح أنهم معروفون جداً ولكنّنا نسمّيهم "حاشية الحكم". وفي المقابل، أعتقد أن لدينا صحافيين مستقلين ممتازين، يحظون باحترام المجتمع ولا ينتقدون لأنهم ببساطة يحبون الانتقاد، وإنما لأنهم يريدون أن تتم الأمور بشكل صحيح، لا من أجل الشهرة بل سعياً لتحل القيم الخيّرة بدل الخاطئة في المجتمع. هذه خدمة عامة. وأعتقد أنّ هذا ما يجب أن تكون عليه الصحافة.

عواد جمعة: جميل كيف عبّرت عن ذلك. أنت تبني خطابك على الفضائل والواجبات والمسؤوليات المدنية. كيف يمكن تطبيق ذلك في اليمن وفي الشرق الأوسط بشكل عام؟

باشراحيل: ستعثر دائماً على صحافيين ناجحين يقومون بالصواب في كل بلد في العالم العربي. وللأسف ستجدهم أيضاً يتعرضون للقمع من جانب حكوماتهم. ولكن لا يجب أن يحبط ذلك عزيمتهم، بل يجب مواصلة الدفع باتجاه تحقيق درجة أعلى من الحرية لا سيما في ظل ما يحصل الآن في العالم العربي. نحن على شفير تغيير كبير في البنى الاجتماعية والحكومية. ومن المتوقع أن نرى إصلاحات سريعة وعميقة نتيجة ما يجري في العالم العربي وجهود الصحافيين الذين ينادون بتوحيد كلمة الحق.

تغطية الحروب الأهلية

عواد جمعة: مقارنة بفترة ما قبل الربيع العربي وما قبل الثورات، حدد أمراً أو أمرين شهدتَ تغييره/هما الجذري بشكل خاص فيما يتعلّق بدور الصحافيين والبيئة التي يعملون فيها؟

باشراحيل: حسناً، قبل الثورات العربية، كان لدينا أنظمة مستبدّة، بشكل أساسيّ. حتى في اليمن التي تفاخرت بالديمقراطية والحرية؛ كان لدينا طاغية. غير أن الربيع العربي جعلنا نتبنّى أسلوباً في تغطية ما يجري

في الشارع كأننا نغطي حرباً أهلية. التغيير الذي حصل هو أننا انتقلنا من تغطية الإصلاح والفساد اللذين يعتبران موضوعين عاديين لمجتمع مستقر، إلى تغطية الحرب. غير أن الحرب ستنتهي دائماً وعندها سنبدأ التركيز من جديد على أداء الحكومة. بالطبع، خلال هذه الحرب يدفع الصحافيون ثمناً باهظاً. على سبيل المثال في اليمن أغلقت جميع الصحف. وصحيفتي كادت تدمّر بالكامل في العام 2015 ونحن نعيد بناءها ببطء. هذا ثمن ملموس تدفعه بسبب الحرب الأهلية. غير أنها مرحلة مؤقتة أو وضع مؤقت ولن تصبح حالة دائمة.

عواد جمعة: قلت شيئاً مهماً جداً أرغب في التوقف عنده لأنه أساسي لهذا الكتاب. فقد فرّقت بين الصحافة في ظل ظروف طبيعية وهي بالنسبة إليك تركّز بشكل خاص على محاسبة سلطات الدولة وبين ما تصفه "تغطية حربية". هل يمكنك أن تشرح الفرق في الديناميكيات في ما خصّ التغطية الإعلامية؟

باشراحيل: خلال الانقلاب في اليمن، في العام 2015، وبدء الحرب، لم يكن من حكومة لننتقدها. لم يكن من سلطة تنفيذية ولا قضائية ولا تشريعية لننتقدها. فالنظام برمّته كان في حالة فوضى عارمة. ومعظم أعضاء الحكومة كانوا إما مختبئين أو اضطروا للفرار خارج البلاد. ولم يكن الناس مهتمين سوى بمتابعة سير المعارك التي يخوضها الجيش. فقد أرادوا مثلاً أن يعرفوا مواقع مختلف القوى المتحاربة: إلى أي مدى تقدّمت وكيف سيؤثر ذلك عليهم؟ هذا ما شغل بال الناس حينها. لذلك فأنت تجبر على هذا النوع من التغطية بفعل الديناميكيات من حولك، من دون أن يكون لك الخيار. وهذا النوع من التغطيات كان خطيراً دائماً وإلى أقصى الحدود. وفي حالتي، كان أول شيء فعله المتمرّدون حين سيطروا على المنطقة التي أسكن فيها، هو طرق بابنا. طبعاً لم نكن في المنزل ولكنّهم كانوا يبحثون عنّا. فقد كان البحث عن الصحافيين أولوية بالنسبة إليهم حيث اعتقلوا وعاقبوا الكثيرين. وحتى الآن، ما زال العديد منهم معتقلين في صنعاء بسبب مهنتهم. كنّا بالفعل الضحايا الأوائل لأن الصحافيين كانوا دائماً الأضعف والأسهل للاستهداف. وفي كل مجتمع،

وفي كل دولة، الصحافيون هم أول من يستهدف عند اندلاع الحروب.

عواد جمعة: غالباً ما يكون ثمة لاعبون عدة في أي نزاع، فكيف يبقى المرء "متوازناً" إذا صح التعبير؟

باشراحيل: وجدت من المفيد أن أكتب عن الإشكالات على الأرض حين تحصل. فأنت تغطي فقط ما يجري في تلك اللحظة من دون إضافة تحليل. في الحرب وأثناء تغطيتها، لن يكون طرفا المعادلة متوفّرين أمامك. وككائن بشري، إذا تعرضت بلدتك للغزو، لا يمكنك أن تنفصل عاطفياً بالكامل. لذلك أجد من المفيد أن أكتب عمّا يجري على الأرض بأقصى درجة ممكنة من الصدق.

عواد جمعة: انطلاقاً من كوني غطيت حروباً أيضاً، صحيح أنت ترى نصف المعادلة لأنك دائماً وراء خط دفاعي ما. ولكن حتى في ذلك الجزء تواجه الكثير من التحديات. هل يمكن أن تخبرنا عن بعض هذه التحديات في حالتك؟

باشراحيل: نعم، عند تغطية الحرب الأهلية (في اليمن) واجتياح الحوثيين/قوات صالح لعدن، أصعب ما شاهدته كان جثث الأطفال في المستشفيات. الجثث على الطرقات، المنازل المدمّرة ـ هذه كانت أنواع الصور التي لا تفارق بالي والتي تركت لديّ أثراً عاطفياً هائلاً. فأنت تفكّر فيها بشكل دائم وليس سهلاً أبداً التعامل معها. في عدن، في نيسان/أبريل وأيار/مايو 2015، لم يكن لدينا كهرباء وكان علينا أن نخرج ونخاطر للحصول على الماء والطعام لأطفالنا. كما تطوّعنا في المستشفيات محاولين مساعدة الناس. كان صعباً جداً رؤية الموت والدمار من حولنا، صعب جداً.

عواد جمعة: أثناء العمل وراء خطوط الدفاع، ثمة تحديان. الأول هو كيف ينظر إليك الطرف الآخر في ظل عدم قدرتك على الوصول إلى المنطقة التي تخضع لسيطرته. والثاني هو توقعات الجيش الذي تعمل

من وراء خطوطه الدفاعية. فهو يتوقع أن تهلل له. كيف تتعامل مع هذه التحديات؟

باشراحيل: (يقول ضاحكاً) أعجبني كيف وصفت الأمر. بالعودة إلى اليمن، إن كنت فقط تكتب عن أحداث واقعية على الأرض مع استمرار الحرب، وإن فعلت ذلك فقط فأنت تسدي خدمة عظيمة للجمهور. عليك التركيز على ما يجري من وجهة نظر إنسانية ومن وجهة نظر الناس الذين يعيشون في تلك المنطقة. فالواجب الأول للصحافي ليس تجاه الفصائل المتحاربة. فأنت لا تحاول أن تكون مع طرف دون آخر، بل عليك أن تكون دائماً في صف الناس الذين يقفون على الحياد وفي صف المدنيين.

عواد جمعة: ولكن حين تقول لك المجموعة المتمردة أو القوة المنتشرة على الأرض التي تعمل فيها، مثلاً "لماذا لا تسمّي الناس الذين يقتلون على أرضنا شهداء؟" أو "لا تنشر عدد الضحايا اليوم، لأنه مرتفع جداً". وأنا شخصياً واجهت الموقفين أثناء تغطيتي في العراق وراء خطوط دفاع القوات الكردية. كيف تواجه هذين الموقفين؟

مقاتل من الموالين للحكومة يجلس في مؤخرة شاحنة عسكرية خلال اشتباكات مع الحوثيين في مدينة تعز، اليمن. حزيران/يونيو 2017، رويترز، أنيس مهيوب.

باشراحيل: كصحافي، أنت دائماً محاور مميز تتمتع بمهارات الإقناع في الحديث مع الناس. يمكنك دائماً أن تقنعهم (متمردون أو قوات حكومية) بالفائدة الكبيرة لما تقوم به حتى من وجهة نظرهم. مثلاً، ساعدني هذا كثيراً في العام 2015 حين أبلغت مقاتلي المقاومة (في اليمن) أن عليّ أن أكتب تقريراً عمّا يجري على الأرض غير أنهم رفضوا بحجّة أن ذلك سيكشف عملياتهم وهو أقصى ما يخيفهم. غير أنّي استطعت إقناعهم بأن العالم سيأتي لمساعدتهم إذا كشفنا عمّا يجري على الأرض.

ولكن للأسف، حين تلاحقك إحدى هذه الفصائل، سيكون الوقت قد حان للاختباء. لا يمكنك أن تتخذ موقفاً صدامياً أو موقفاً قانونياً في فترة الحرب. فلا يوجد قوانين تحميك، ولا شيء يمكن أن يوقفهم عن إطلاق النار عليك فوراً لإسكاتك.

عواد جمعة: هل يمكنك أن تخبرنا عن موقف ما حصل معك مؤخراً أو موقف بارز واجهته؟

باشراحيل: ثمة نقطة في كريتر (مديرية في عدن، اليمن) حيث كان المقاومون يقاتلون قرب المصرف المركزي. كنت وراء خطوط دفاعهم محاولاً إجراء تغطية إخبارية. كانوا حينها يحاولون ثنيي عن القيام بذلك إلاّ أنني أخبرتهم أنه إن لم تنشر قصتهم لن يعرف أحد أنهم خاضوا قتالاً هنا. واستغرقت المفاوضات بيننا حوالي الساعتين قبل أن يسمحوا لي بإجراء التغطية. التقطت صوراً للمنطقة وكانت تغطية جيدة في النهاية حين تم بثّها.

عواد جمعة: الحقيقة أن هناك ثلاثة أو أربعة أطراف رئيسية يتقاتلون في اليمن. وجميعهم يتعارضون بشدة. وأنا لا أستطيع أن أجد مثالاً ملموساً على كيفية النجاح في عدم إغضاب أي منهم في أي تقرير نكتبه.

باشراحيل: ثمة مثال آخر هو مؤتمر الحوار الوطني[6]. فقد اعتمدنا مقاربة واقعية جداً في تغطية هذا النوع من الأحداث بدلاً من التحليل أو السياق. فقد كنا نغطّي فقط ما يجري في البرلمان، بحيث كنا نعرض مواقف كل حزب أو طرف من المسألة ونصف السجالات بين البرلمانيين خلال المداولات. يمكنك القول إنها كانت تغطية وصفية يجريها شخص يجلس على شرفة المجلس يصغي لما يجري في أروقته.

في هذه الأجواء، عملنا كباقي وكالات الأنباء الأخرى. فقد كانت سياسة صحيفتنا تقوم على عدم نشر رأي من أي نوع كان عند تغطية الأخبار. فالرأي لكتّاب العمود في الصحف. وإذا أردت نشر رأيك، ليس عليك إلاّ أن تكتب عموداً.

عواد جمعة: بالعودة إلى نقطتك حول تغطية الحوار الوطني، أي مقاربة اعتمدتم؟

شاركت في مؤتمر الحوار الوطني. كانت تجربة انطبعت بتضارب الآراء. فمعظمنا نحن الجنوبيون إن لم يكن جميعنا، كنا ضد الحوار الوطني لأنه يفرض التحدث والتفاوض مع الشمال. وكانت صحيفتنا ترزح تحت ضغط هائل من الجمهور نتيجة تغطيتنا الإخبارية المستقيمة والمباشرة. فنحن لم نكن نهلل للجنوب بل ننشر الحقائق. بعض الناس في الجنوب نظروا إلينا على أننا خونة. وفي تلك الفترة نظمت تظاهرات في عدن وجميع أنحاء الجنوب ضد الحوار الوطني في حين التزم الشماليون الصمت حياله ولم يدافعوا عنّا بسبب مشاركتنا. حين نشرنا وقائع الحوار الوطني وقرأ الناس الوثائق التي عرضناها خلاله، أدركوا الحاجة إلى التحدث إلى الطرف الآخر. اليمن مجتمع منقسم جداً وكل شيء في الجنوب يقاس بناء على الانقسام في الشمال. غير أن الناس بدأوا يدركون أن لا ضير في الحوار أبداً. المصداقية التي اكتسبناها

[6] مؤتمر الحوار الوطني شكّل عملية الحوار الانتقالية التي جرت في فندق «موفنبيك» في صنعاء، اليمن من ١٨ آذار/مارس ٢٠١٣ حتى ١٤ كانون الثاني/يناير ٢٠١٤، كجزء من جهود المصالحة لحل الأزمة اليمنية. وقد تم الاتفاق على شروط المصالحة من دون النجاح في تنفيذها ما قاد إلى نجاح الحوثيين والقوات الموالية للرئيس المخلوع علي عبد الله صالح في الانتقال إلى صنعاء وتنفيذ انقلاب على الرئيس عبد ربه هادي منصور وحكومته.

من تغطية الحوار الوطني عززت ثقتنا في التعبير عن وجهات نظرنا. وشكّلت تغطية الحدث لحظة مفصلية في مسيرتي كصحافي. ولكن للأسف انتهى الحوار بشكل كارثي كما نعلم جميعاً ووقع اليمن في الفوضى.

مؤيدون لحركة الجنوب يتظاهرون ضد قرارات أصدرها الرئيس عبد ربه منصور هادي قضت بعزل مسؤولين رفيعي المستوى مقربين من الإمارات العربية المتحدة، من بينهم محافظ عدن عيدروس الزبيدي. اليمن أيار/مايو 2017. رويترز/فواز سلمان/صورة ملف

سلامتك أولوية

عواد جمعة: لنعد إلى العام 2015، حين وقع الانقلاب. هل غادرت أو بحثت عن مكان للاختباء لأنك تلقّيت تحذيرات بأن المتمردين يبحثون عنك؟

باشراحيل: نعم. حين جاؤوا يبحثون عنّا في العام 2015، كنت في منزل جاري (يقول ضاحكاً) لأننا علمنا أنهم قادمون للبحث عنّي. كنت مختبئاً. وكنا نستطيع رؤيتهم من النوافذ حين اقتربوا. ولكن لاحقاً بلغت الأمور حداً دفعني إلى مغادرة عدن لشهرين. انتقلت إلى منطقة نائية

في حضرموت تسيطر عليها "القاعدة". لذلك تدهور وضعي من سيئ إلى أسوأ.[7]

عواد جمعة: يقودني هذا إلى سؤال عن النصائح العملية للصحافيين الذين قد يواجهون الوضع ذاته؟ هلّا أخبرتنا عن الخطوات التي قمت بها للهرب من الخطر القائم؟ وكيف طاوعك ضميرك للفرار إلى منطقة تسيطر عليها "القاعدة"؟

باشراحيل: الصحافيون لديهم دائماً امتياز امتلاك الكثير من المعلومات لذلك عليهم القيام بخيارات ذكية. فالحفاظ على الأمن الذاتي يجب أن يكون دائماً أولوية في أي وضع كان. وهو من أول الأمور التي تتعلّمها حين تدرس الصحافة أو حين تمارسها مع مؤسسة إعلامية جيدة. سلامتك في رأس قائمة الأولويات. وكان الفرار إلى حضرموت في ذلك الوقت أهون الشرّين.

عواد جمعة: إذا نظرنا إلى اليمن وسوريا، نلاحظ أن مفهوم الحماية الذاتية مفقود لدى الكثير من الصحافيين لا سيما الذين لا يعملون لصالح إعلام عريق. لذلك ما الرسالة التي توجهها والنصائح التي تعطيها للصحافيين القادمين من إعلام خارجي تقليدي وعريق؟

باشراحيل: كصحافي، أرى من الحكمة دائماً ألاّ أكون تحت الأضواء في البيئة التي أعمل فيها. عليك أن تراقب كمتفرّج. فنحن نحتاج إلى تغطية المناطق التي تشهد معارك. فعلى سبيل المثال، أغلقت مؤسستي الإعلامية خلال الحرب الأهلية في عدن ولكنّي استطعت تغطية الأحداث اليومية لصالح العديد من المؤسسات الإعلامية بينها "الجزيرة" وهيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي". نحتاج أن نكشف الحقيقة ولكن ليس على حساب حياتنا. لذلك خذ محيطك دائماً في الاعتبار، كن كتوماً من دون أن تثير جلبة من حولك، فلا أحد يجب أن يستدعي المتاعب إليه.

[7] http://www.aljazeera.com/news/2016/04/yemeni-forces-capture-al-qaeda-stronghold-hadramout-160426155300044.html

عواد جمعة: كيف غطّيت النزاع في السنوات الستة الماضية بعد الثورة؟ كيف غطّيت حصار تعز، والوضع في صنعاء والمعارك بين السعودية والحوثيين على الحدود؟ فأثناء تغطية هذه الأحداث ستواجه حتماً الكثير من الألغام بالمعنى المجازي. كيف نجحت في تغطيتها من دون أن تصبح في عداد الضحايا؟

باشراحيل: من وجهة نظري، ما نفعله كمؤسسة، بسيط جداً. الصحافيون من صنعاء مثلاً، يعملون ويراسلون من هناك. فهم يعرفون منطقتهم لذلك يستطيعون التعامل مع اللاعبين على الأرض أفضل من أي شخص قادم من عدن أو تعز. ونحن لا ننشر مساهماتهم مذيّلة بأسمائهم الحقيقية. ولا نستخدم أبداً أسماء الصحافيين في حالة الحرب. والأمر نفسه ينطبق على المناطق الساخنة. نحاول أن نعطي جميع الأطراف فرصة التعبير قدر الإمكان وهو أمر دائماً ما يكون شبه مستحيل. أحياناً، لا ننشر قصة صحافية لمجرّد شعورنا بأنها ستشكل خطراً على صحافيينا. ولكن في الوقت نفسه، علينا أن نحاول أن نكون متوازنين قدر الإمكان.

مسلحون مؤيدون لجماعة الحوثي يتظاهرون ضد إعلان الرئيس اليمني تمديد حالة الطوارئ ودعم الولايات المتحدة الأمريكية التحالف العربي بقيادة المملكة العربية السعودية. اليمن، 12 أيار/مايو 2017. رويترز، محمد الصياغي.

عواد جمعة: هل واجهت مسألة الرقابة والرقابة الذاتية في عملك؟

باشراحيل: اسمح لي أن أخبرك بأمر ما عن الرقابة الذاتية: من الأفضل أن يكون لديّ قصة من ثلاثة أجزاء تنشر على ثلاثة أيام من أن يكون لدينا قصة كبيرة واحدة في يوم واحد. مثلاً، تغطيتنا لتفجير "يو إس إس كول" في عدن [8] كانت حدثاً يومياً. فقد كان لدينا الكثير من المعلومات المضرة للحكومة. وقررنا عدم نشر كل المعلومات دفعة واحدة. عليك أن تتنبّه إلى التداعيات القانونية لذلك وإلى ما يمكن أن يفعله الطرف الآخر لك. فليس مستساغاً أن تغلق الصحيفة بسبب مقالة واحدة. كان الأفضل لنا على المدى الطويل نشر المعلومات تدريجياً. فالحكومات في الشرق الأوسط عموماً أقل حساسية تجاه هذا النوع من المنشورات لا سيما في اليمن. إذا نشرت تدريجياً، فقد يشيحون النظر في الاتجاه المعاكس. أما إذا نشرت كل شيء دفعة واحدة، قد تصبح معركة قانونية وحتى معركة يتأذى فيها الناس.

عواد جمعة: كيف يخوض الصحافي الشاب غمار كل ذلك؟ ما هي الخطوات العملية التي تنصح الصحافيين الشباب الذين دخلوا إلى هذا المجال حديثاً؟

باشراحيل: الأمر معقّد جداً خصوصاً عندما تتعامل مع أشخاص في السلطة لا يؤمنون بحرية التعبير ولا يؤمنون بأنهم عرضة للمحاسبة على ما يرتكبونه. هنا يأتي دور الصحافيين الأكثر حنكة. عليهم توجيه الصحافيين الأصغر سناً الذين انضموا حديثاً إلى وسيلة إعلامية ما. أعتقد أن لدينا واجب تدريب الصحافيين الجدد ومواصلة تدريبهم باستمرار على كيفية العمل ضمن مجتمعاتنا. الأمر مختلف في اليمن عمّا هو في دول أخرى. كل دولة لها خصوصيّة معينة. التزام الحيطة والحذر والصبر صفتان جيدتان ومطلوبتان دائماً. الصحافة ليست فقط أن تنشر الأخبار العاجلة وأن تكون سبّاقاً في النشر، بل هي العمل بشكل متّسق ووضع الحقيقة قبل كل شيء. فإن كنت متّسقاً وصادقاً، ستكسب ثقة القراء أو المشاهدين وهذه الثقة هي بالضبط ما يميّز المؤسسات

[8] http://edition.cnn.com/2013/09/18/world/meast/uss-cole-bombing-fast-facts/

والصحف والمنظمات الإعلامية المرموقة عن غيرها.

الإعلام التقليدي والإعلام الاجتماعي في تغطية الحرب اليمنية

عواد جمعة: الحيطة والحذر والاتساق والصدق.. يبدو الأمر مثالياً جداً لا سيما حين تفكّر في العصر الرقمي الذي نحن فيه وما يصاحبه من أخبار مزيفة.

باشراحيل: صحيفتي "الأيام" أغلقت في العام 2009. وعادت للظهور في العام 2014. خلال تلك الفترة تغيّرت الأجواء في اليمن. حصلت فورة الإعلام الاجتماعي وكل هذه الأجهزة المحمولة. وفجأة أصبح كل مواطن صحافياً. ولكن للأسف ما يحصل في الإعلام الاجتماعي ليس صحافة، إنها شائعات لا أساس لها. فالصحافي يعمل بجد للتحقق من مصادره والتأكد من أن القصة صحيحة قبل النشر. فالصحافة ليست أن تتحدث إلى صديق وتنشر ما دار بينكما. هذا ما يقدّمه الإعلام الاجتماعي في العديد من الحالات. ولكن ثقة الناس في اليمن بالإعلام الاجتماعي تزعزعت في السنتين الأخيرتين. وها هم اليوم يبحثون عن صحافة متعمّقة من حيث مصادر المعلومات.

عواد جمعة: هل يمكنك إعطاؤنا مثالاً على ذلك؟

باشراحيل: نعم، "الأيام" بنت علاقتها مع الجمهور على الثقة والصدق. كنا الصحيفة الأكثر مبيعاً في اليمن حين أُغلقنا في العام 2009. حققنا مبيعات لم يحققها أحد غيرنا. كنا نسيطر على 81% من السوق في عدن، وعلى 78% تقريباً من السوق في اليمن، لذلك حين عدنا في العام 2014، اندفع الجمهور على الفور نحو شراء "الأيام". ولم يمرّ سوى أسبوعين على استئناف النشر حتى بلغنا مستوى البيع السابق. هذه هي الثقة التي كنت أتحدّث عنها. لا شيء أكثر أهمية من أن يقول الناس أن ما ننشره صحيح، وعندها تتغلب على جميع الصعاب. حتى لو أغلقتك الحكومة أو الجيش، لن يأخذ منك أحد هذه الثقة.

عواد جمعة: نحن في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا نعيش في مجتمعات شديدة الانقسام. معظم الناس حزبيون لذلك أجد من الصعب أن أفهم حين تقول إنهم يبحثون عن الحقيقة. انطباعي الشخصي وقد أكون مخطئاً ولكن على سبيل النقاش، أن الناس لا يريدون الحقيقة، بل يرغبون في معرفة ما هو الصحيح بالنسبة لهم أو المقبول من وجهة نظرهم. هل تتفق مع ذلك؟

باشراحيل: نعم، ولكنك تتحدث عن أقلية في المجتمع. ففي المجتمع، الغالبية مستقلة وليست حزبية وهي تشكّل الشريحة الأكبر من جمهورك. وهذا هو الجمهور الذي يتنافس عليه جميع الحزبيين. لذلك حين يكون لديك شعبية كمؤسسة إعلامية، سيناضل الجميع ليظهروا ضمن تغطياتك. وسيسعون جاهدين لتزويدك بوجهات نظرهم ليضمنوا أن يتم إبراز رأيهم. هذا ما حصل مع صحيفتي. فقد كانت مختلف الأحزاب السياسية تحاول أن تظهر في كل عدد لتنشر آراءها على صفحاتنا. وهذا منحني موقعاً فريداً بأن أكون نقطة مركزية للآراء. أما آرائي السياسية وآرائي الشخصية فلا تظهر في تغطيتنا الإخبارية. عليك أن تكون حيادياً جداً في الأخبار التي تنشرها. وهو ما سيكسبك شعبية. فمثلاً حين تغطّي قضية سياسية عبر عرض وجهات نظر جميع الأحزاب السياسية، فأنت تمنح الجمهور إمكانية الوصول إليها لقراءتها. وعندها يستطيع الجمهور أن يشكّل رأيه الخاص بشكل مدروس. هذا بالضبط ما يجب أن يناضل المرء لتحقيقه.

عواد جمعة: ما هو الرأي العام تُجاه "الأيام" في مختلف أنحاء اليمن؟

باشراحيل: في الجنوب وجزء كبير من الشمال، ينظر إلينا على أننا صحيفة وطنية. أما في المناطق التي يسيطر عليها الحوثيون، نعتبر أعداءً. في الحرب لا يمكنك إرضاء الجميع، ولكننا نحاول أن ننشر بعضاً من قصصهم. ولكنّهم لا يسهّلون عملنا [9] ولا يزوّدوننا بالمعلومات

[9] https://www.nuj.org.uk/news/yemeni-journalists-syndicate-report-extensive-press-freedom/

أو الأرقام التي تسمح لنا بإيصال وجهة نظرهم [10].

عواد جمعة: إذاً، عليك دائماً أن تعمل في الخفاء - هذا إذا استطعت أن تعمل أساساً - في المناطق الخاضعة لسيطرة الحوثيين؟

باشراحيل: نعم، إنهم غير ودودين مع الصحافيين. معظم الصحافيين محتجزون في معتقلات الحوثيين في صنعاء. ولكنّ لا يوجد صحافيون في السجون التي تسيطر عليها الحكومة أو في الجنوب.

مستقبل الصحافة في اليمن

عواد جمعة: إذا نظرنا إلى الصحافة بشكل عام في اليمن، أين ترى دورها في السنوات المقبلة في ظل الحرب ومن ثم في فترة ما بعد الحرب؟

باشراحيل: أعتقد أننا سنشهد انحسار تغطية الحرب في جميع الصحف. وسنشهد العودة إلى محاسبة الحكومة ومن في السلطة. أرى الكثير من الصحف تختفي لأنها غير قادرة على الخوض في مجال الصحافة الاستقصائية. وفي الوقت الحالي، ما تجده في معظم الصحف والمواقع الإلكترونية في اليمن هو تغطية إخبارية مع غياب للتحقيقات الاستقصائية. هذه الأخيرة كانت تقليداً في صحيفة "الأيام" ولكن العديد من الناس يتجنبونها لأنها تكلّف الكثير من المال والوقت. ولكنّ الصحيفة التي تستطيع التحوّل إلى التحقيق الاستقصائي ستصمد بينما ستختفي الصحف الباقية. وللأسف، مع قدوم الإعلام الرقمي، ستكون معركة الصمود هذه أصعب.

عواد جمعة: نسمع الكثير من الناس يشيرون إلى الصحافة الاستقصائية. كيف تختلف عن الأخبار العادية والتغطية المعمّقة؟

---

[10] https://www.hrw.org/world-report/2017/country-chapters/yemen

باشراحيل: الصحافة الاستقصائية تأخذ موضوعاً ما وتحاول الحصول على كل المعلومات ذات الصلة من مصادر متعددة ومن وجهات نظر مختلفة. وهذا الأمر يستغرق وقتاً طويلاً. فعليك أن تدرس جيداً الأوجه القانونية والاجتماعية للموضوع الذي تحقق فيه. ويجب أن تكون القصة الصحافية التي تكتبها مبنية على بحث وافٍ ومحقق لكي تتمكن من الدفاع عنها بسهولة. في مؤسستنا، المجموعة الأكبر التي وظفناها كانت في قسم التحقيقات الاستقصائية. هذا القسم هو الأفضل تمويلاً وتجهيزاً وبصراحة يحصل فيه معظم العمل الصعب أيضاً. فإنتاج تقرير واحد يحتاج إلى الكثير من الناس والكثير من العمل. هذا عمل صعب ولكنّك ستشعر بالرضى العميق حين تراه منشوراً لأنك سترى الإنجاز الذي حققته والفرق الذي يحدثه عند النشر. ومن الأمثلة على ذلك في صحيفتنا هو التقرير الذي نشرناه عن السجون السرية في العام 1996. فقد ترك أثراً كبيراً وأحرج الحكومة وأدى بالتالي إلى إغلاق هذه السجون لفترة خمس سنوات.

عواد جمعة: هل يمكن أن تعطي بعض النصائح العملية للصحافيين الزملاء بناءً على خبرتك؟

باشراحيل: أعتقد أن هذه أمور على جميع الصحافيين الشباب معرفتها:

السلامة تأتي أولاً، ثانياً الصدق، ثالثاً نقل الوقائع كما هي. رابعاً رأيك لا يهم، لأنه ليس الرأي الصائب الوحيد.

لا تقص أي رأي، بل أدرج جميع الآراء التي تعرض عليك. رأي الناس المعنيين هو ما يهم. ابدأ بالناس الذين تكرههم أولاً عند إجراء التحقيق الاستقصائي. بالنسبة لي، لطالما كرهت الذهاب إلى المؤسسات الحكومة، ولكنّي دائماً بدأت تقاريري بها. ولا تنس القيام بالعمل القانوني المطلوب.

استثمر في آلة تسجيل ميدانية جيدة، وعلبة فلاشات وكاميرا جيدة وهاتف محمول صغير جداً ـ ليس من النوع اللامع الكبير، فلا أحد

سينتبه للهواتف القديمة. دائماً قم بخياطة جيب سرّي في سترتك حيث يمكنك إخفاء الفلاشات!

ليكن لديك دائماً نسخ عن هويتك تعطيها عندما يطلب منك وإن رفضوا إعادتها لن تكون قد خسرت الوثيقة الأصلية. أنا دائماً أترك معي نسخاً من هويتي تتطابق مع الأصلية وأقدمها كما لو كانت بطاقة عمل (يقول ضاحكاً). في اليمن خصوصاً، يمكنهم احتجاز هويتك أينما كان ولأي سبب كان.

كما عليك أن تحتفظ دائماً بمبلغ من المال للطوارئ ولكن كن حذراً على المال.

على المستوى العاطفي، عليك أن تطوّر آليات المواجهة الخاصة بك. نحن جميعاً بشر ولكن عليك دائماً أن تحاول أن تخرج نفسك من القصة لا سيما حين تكون جزءً منها. حاول أن تعزل عواطفك، على الأقل حين تغطي حدثاً ما. من الضروري أن يكون لديك عدة آليات للمواجهة. بالنسبة إليّ، أطفالي هم آلية المواجهة الخاصة بي.

أخيراً، الصحافي لا يتوقف عن التعلّم أبداً. عليه أن يبني على تجارب الآخرين. وأنا أقول لجميع الصحافيين العاملين في "الأيام" أن ينزلوا من أبراجهم. أنتم لستم الأفضل في كل شيء. هناك من هو أفضل منكم في مكان ما في العالم. عليكم أن تناضلوا لتكونوا مثل هذا الشخص. هذا هو الهدف الأساسي للتعلّم.

الفصل الثاني:

رغم الحواجز والمخاطر: تجربة منسقة صحافية في غزة

أميرة أحمد حرودة

كانت البداية مختلفة. فأنا فلسطينية ولدت في ليبيا عام 1983 حيث عاشت عائلتي في المنفى. فبعد تأسيس إسرائيل هجّر العديد من الفلسطينيين من أرضهم. وبلغ عدد من أجبروا على المغادرة بعد حرب 47/48 نحو المليون، ومئات الآلاف بعد حرب 1967[11]. وبعد نزاع متواصل وانتفاضات شعبية، وافقت إسرائيل أخيراً على السماح لبعض الفلسطينيين بالعودة إلى أرضهم مقابل الاعتراف بدولة إسرائيل.

في عام 1993، نشأت السلطة الفلسطينية بموجب اتفاقيات أوسلو. ومع بلوغي الثالثة عشر، في مطلع العام 1996، أجريت أول انتخابات للمجلس التشريعي الفلسطيني. وفي العام نفسه، عادت عائلتي إلى فلسطين وحينها بدأ فصل مختلف كلياً من حياتي.

حين وصلت إلى غزة، لم أجد الحرية التي نعمت بها في الخارج. فآثار الاحتلال تسللت إلى جميع مناحي الحياة، وتركت سنواته الطويلة، إلى حد ما، أثراً سلبياً هائلاً على المجتمع الغزّي الذي كان أكثر انفتاحاً في فترة سابقة. لقد دمّر الاحتلال العسكري النسيج الاجتماعي.

كنت أحلم في طفولتي بأن أقود طائرة، وأسافر بحرية من بلد إلى آخر، ولكن كل ما تمنّيته وحلمت به تلاشى حين عدنا إلى غزة. فالمدينة كانت محاطة بإسرائيل من الأرض والبحر وحتى من الجو. أما على الصعيد

[11] موقع «فلسطين في الذاكرة»: http://www.palestineremembered.com (تم الولوج إليه في ٤ تموز/يوليو ٢٠١٧).

الشخصي، اصطدم سلوكي بالتقاليد الاجتماعية. وببساطة لم يسمح للفتيات على ما يبدو بتحقيق طموحاتهن في ذلك الوقت. ولكنّي لم أقبل ذلك الواقع، وقد ولّد صراعاً شاقاً بيني وبين التقاليد السائدة.

في عام 2000، بدأت العمل مع "تلفزيون فلسطين" التابع للحكومة، كمقدّمة برنامج للأطفال. وكنت أكتب لصالح مجلّتين جامعيتين. وخلال جميع أنشطتي، حاولت أن أغيّر الطريقة التي ينظر فيها الناس إلى الفتيات والنساء، وأردت أن أقلّص القيود المفروضة علينا.

في الفترة اللاحقة وتحديداً بين عامي 2004 و2005، زارت غزة العديد من المؤسسات الدولية الداعمة للقضية الفلسطينية. وأمضيت معظم وقتي مع الممثلين عنها، محاولة فهم وجهة نظرهم تجاه بلادي وتجاه النزاع الفلسطيني الإسرائيلي. واكتشفت أن معظمهم لم يكن على اطلاع كاف بما يجري في منطقتنا. وأدركت بشكل خاص أنه كان من الضروري لفت نظر وسائل الإعلام الأجنبية إلى القصص التي لا يُسلّط عليها الضوء في غزة. وفي العام 2005، حين احتاجت صحافية ألمانية من "دير شبيغل" إلى منسقة محلية، لم أتردد في العمل معها. أتاحت هذه التجربة لي دخول عالم المراسلين الدوليين. ومنذ ذلك الوقت بدأت تطوير شبكة معارف، والتقيت العديد من الصحافيين الأجانب الآخرين، لأصبح أول منسقة صحافية في غزة.

تتّسم تغطية الحرب بالخطورة بكل المقاييس. كما أن إرسال الصحافيين الدوليين إلى مناطق حرب أو نزاع يعدّ انتحاراً إذا لم يكونوا عارفين بطبيعة المنطقة. وهذا يعني أن يعرفوا أموراً أساسية مثلاً: كيف تدخل بلداً معيناً من الجو أو البر؟ ما هي أماكن الإقامة؟ بمن يمكن الوثوق؟ من سيعرّف عنك ويصلك بشخصيات رئيسية على الساحة السياسية؟ كيف ستتواصل مع الناس إن لم تكن تتحدث اللغة المحلية؟ هذه الأسئلة والكثير غيرها يمكن أن يجيب عنها زملاء صحافيون أو أصدقاء. غير أنه في معظم الحالات، لا يمكن إعداد التقارير الإخبارية التي ينشرها المراسل الأجنبي من منطقة تشهد حرباً مثل قطاع غزة دون الاستعانة

بالمنسقين الصحافيين، أي أولئك الأشخاص الذين يسهلون عمل الصحافيين الذين يغطون أحداثاً في بلدان أجنبية. وقد يكونوا أحياناً صحافيين محليين أو مترجمين أو أشخاصاً لديهم شبكة معارف ويتمتعون بمعرفة جيدة بالمنطقة. بذلك يكون المنسق الصحافي عيون وآذان الصحافيين الأجانب الذين يعملون خارج نطاق خبرتهم. فيكون هؤلاء الأشخاص حلقة وصل بين الصحافيين والقصص التي يغطونها والناس والمعارف الذين يحتاجون إليهم لإجراء التغطية.

الحواجز الجندرية

ليس سهلاً أن يكون المرء منسقاً صحافياً في غزة، فكيف الحال إذا كان امرأة؟! فإضافة إلى المسؤولية الكبرى التي ينطوي عليها هذا العمل، يولّد وجود امرأة في هذا الموقع الكثير من الأحكام المسبقة. وفي الواقع، لم يكن الناس يستسيغون العمل مع الأجانب سيما وأنّ الناس في تلك الفترة كانوا يعتقدون بأنهم يخدمون مصالح إسرائيل. ولم يتوقف الأمر عند ذلك، فعملي معهم حتى ساعة متأخرة من الليل مستنكر ثقافياً كوني امرأة. وبالفعل حاول معظم أقاربي إقناع والدي بإيقافي عن العمل. غير أن والدي فاجأهم بردة فعله إذ كان دائم التشجيع والدعم، وكان أحياناً يرافقني خلال ساعات العمل الليلية أو يطلب من شقيقي ذلك. الصحافة هي مهنة الرجال في مجتمعي، كما أن بعض الناس في غزة لا يصدقون أننا نحن النساء قادرات على العمل في هذا المجال. وبالفعل عرّضني العمل مع صحافيين رجال للمضايقات ولكنّي أثبتّ مع الوقت مجدداً أنني قادرة على النجاح حتى في الأوقات التي لم ينجحوا هم فيها. وغالباً ما يغطي التمييز ضد المرأة حتى الآن على الجدارة والقدرات التي تتمتّع بها.

غير أن العمل كمنسّقة صحافية لا يخلو من الفوائد في البيئة التي أعمل فيها. فالنساء يستطعن الدخول إلى بعض الأماكن والوصول إلى بعض الأشخاص بشكل أفضل من الرجال. على سبيل المثال، من السهل عليّ الوصول إلى العائلات وجعل النساء والأطفال يفتحون قلوبهم لي. وهذا

تقول أميرة أحمد حرودة إنها حين بدأت العمل كمنسّقة صحافية في العام 2005، لم يكن من نساء أخريات يعملن في هذا المجال في غزة. الصورة من إدمي فان ريجن.

يتطلب تعاطفاً ورغبة صادقة في الإصغاء، ولكن لو كنت رجلاً، مهما بلغت من التفهّم والإنسانية، لن يقبل بعض الناس التحدث إليّ كما لو كنت امرأة.

لحسن حظي أيضاً أن زوجي يدعمني كثيراً ويساندني في جميع الأوقات حتى لو تعرّض أحياناً للانتقاد من المجتمع لكونه متزوجاً منّي ويسمح لي بالعمل كمنسّقة صحافية. فالمجتمع الغزّي المحافظ، يعتبر أن عائلتنا تكسر القوالب الاجتماعية لأن الرجل (زوجي) هو الذي يمكث في المنزل ويرعى الأطفال أثناء تغطيتي الحرب والنزاع. إنه سندي، ودائماً أزوّده بمعلومات الاتصال بالوسيط بيني وبين القصة الصحافية للتواصل معه في حال لم أتّصل أنا كل ساعتين وفقاً لاتفاقنا، ولكي يتحقق إن أصابني أي مكروه. في الواقع، يكمن الجزء الأصعب من عملي في ترك زوجي في المنزل مع الأطفال أثناء تغطيتي قصص الحرب.

العمل في ظل الحرب والاحتلال: خطر مضاعف ودائم

كفلسطينية تعيش تحت الاحتلال، أتعاطف أوّلاً وأخيراً مع عائلتي، وكمنسّقة صحافية لديّ مسؤولية تجاه بلدي وشعبي. هذا يعني أنني لن أوافق دائماً

على العمل على قصص حساسة من شأنها الإساءة إلى سمعة شعبي. كما عليّ أن أحمي مصادري أثناء عملي على قصة صحافية، فحين يكون نطاق عملك ضمن منطقة نزاع، يمكن أن تتعرض مصادرك للقتل إذا تحدثت. لذلك أحاول جاهدة عدم المخاطرة بحياة أي شخص من أجل قصة صحافية، ويجب أن أكون حذرة تجاه الأشخاص الذين أعمل معهم. على سبيل المثال، عليّ أن أحذر من الصحافيين الإسرائيليين الذين ينتحلون صفة صحافيين غربيين. فغالباً ما يرغب الناس الذين يعارضون حقوق الشعب الفلسطيني، بإلصاق صورة سيئة بنا على الصعيد الدولي. وهؤلاء يريدون تصويرنا على أننا إرهابيون، وأن غزة مصدر الشر والرجعية. لذلك لن أسمح لنفسي بأن أكون أداة في يد صحافيين لديهم مآرب سياسية واضحة. في الوقت نفسه لا أستطيع أن أخفي بالطبع بعض الحقائق السلبية في هذا المجتمع. السياق أساسي ولكنّك كمنسّق ليس لديك سلطة تحريرية أو رقابة على ما ينشر لذلك يجب أن تختار بعناية الأشخاص الذين تعمل معهم والقصص التي تغطيها.

من الأساسي أيضاً أن أوثّق كل ما يحصل وأن ألتزم الصدق والحياد. وإحدى الطرق لبناء مقاربة محايدة والمحافظة عليها، هو عدم الانحياز وقراءة ما بين السطور أثناء نقل معلومات من تقارير إخبارية لأن كل قناة تلفزيونية محلية وكل صحيفة وكل إذاعة لديها وجهة نظر مختلفة، وغالباً ما يكون لديها أجندة مختلفة أيضاً.

أميرة أثناء العمل مع المراسلة الهولندية مونيك فان هوغستراتن خلال زيارة إلى المنطقة الحدودية. الصورة من إدمي فان ريجن.

غطّيت كل الحروب الإسرائيلية على غزة وكل الهجمات واسعة النطاق التي شنّتها إسرائيل على القطاع. لم يكن ذلك بالأمر السهل، إذ نجوت من غارات جوية واغتيالات موجّهة وتفجيرات سقط فيها آلاف الضحايا. لذلك أعتبر نفسي محظوظة ولكنّ ذلك يأخذني إلى نقطة أخرى بالغة الأهمية ألا وهي الحماية.

عُدّة الحماية

• من الأساسي أن تتزوّد بمعلومات عن الحرب أو النزاع الذي تغطيه لأن ذلك سيساعدك في تحديد العُدّة المناسبة للحدث. على سبيل المثال، وتبعاً للخطر الذي يمكن أن تتعرّض له، قد تحتاج إلى ارتداء ملابس واقية من المواد الخطرة مثل قناع غاز أو سترة واقية من الرصاص.

• احرص دائماً على استخدام نوع من الدرع الجسدي حتى لو كنت تغطّي تظاهرات عنيفة. ويوصى عادة باستخدام خوذة أيضاً.

• ولا تنس أن أي عُدّة حماية ليست مضمونة، فحتى مع السترة الواقية والخوذة قد تتعرض للإصابة. تنبّه أيضاً إلى أن عدّة الحماية التي قررت استعمالها قد تجعلك تبدو - خطأ - هدفا مما يزيد من خطر تعرّضك للأذى.

يعد غياب الحماية، وهو الخطر الدائم المحدق بالصحافيين المحليين في بيئات النزاع، جزءاً صعبا من عملي، فمعظم المجموعات التي أعمل معها تأتي إلى غزة في مهمة قصيرة في حين أعيش هنا طوال الوقت. في الواقع لا يغيب الخطر عن حياتي وحياة زملائي أبداً. ونحن لا نستطيع العودة إلى بلادنا مثلاً واتخاذ ملاذ آمن والاسترخاء لأن غزة هي بلادنا. ولم يكن لدينا حتى أي عدة حماية أساسية كدرع للجسد أو خوذة للرأس خلال الاجتياحات الاسرائيلية للقطاع.

بالإضافة إلى ذلك، فإن العمل كمنسّق صحافي مع مراسلين دوليين، يزيد من الصعوبات. ففي غزة، لا يمكن للمراسل الأجنبي ببساطة أن يذهب بعيداً في أي قصة صحافية من دون منسق صحافي. وتفرض السلطات أن يكون لديك منسّق محلي لديه موافقة ليقوم بمساعدتك وتحمل مسؤولية

الاهتمام بك. وغالباً ما يتحمّل المنسّق المسؤولية عن عمل الصحافيين الزائرين الذين غالباً ما يوظفونه لفترات قصيرة، ما قد يرتب عليه تداعيات عظيمة إذا سارت الأمور بشكل خاطئ.

يستهدف القصف معظم مناطق غزة سواء كانت عسكرية أو مدنية. وذلك يعني أنه خلال الهجوم، يستهدف العنف معظم القطاع على مساحة 360 كيلومتر مربع ويؤثر على عدد كبير من سكانه البالغ عددهم 1.7 مليون. لذلك فإن محاولة التوفيق بين كل ما يجري بشكل متزامن أثناء حماية الصحافيين الذين ترشدهم وتوجههم، تتطلّب الكثير من الجهد وتعرّضك كمنسّق للكثير من الإجهاد.

من الضروري أيضاً أن يعرف المنسّق الميداني جيداً وأن يحدد دائماً موقع الدخول والخروج في أي مكان يستهدفه القصف أو أي منطقة يغطّي فيها حدثاً ما. فإذا شعرت أن المنطقة خطرة جداً بما لا يسمح للصحافي الأجنبي بمرافقتي، أشرح الوضع له وأتركه يقرر. فإذا قرر الانضمام إليّ لا أفكّر أبداً بالمخاطرة التي يقوم أو نقوم بها وإلاّ أضع نفسي ومن معي في خطر، لأني سأصاب بالهلع ولا أعود قادرة على التفكير الصحيح أو التصرّف في الوقت المناسب.

ثمة اعتبار آخر يجب التنبّه إليه وهو بناء شبكة صلبة من المعارف المحليين. فهذا شرط أساسي لتكون منسقّاً ناجحاً. وهذا أمر مهم من أجل تطوير علاقة حقيقية وإنسانية وصادقة مع الناس تتجاوز أهدافك الصحافية، وتشجعهم على أن يفتحوا لك قلوبهم ويخبروك قصصهم. فهذه الفرصة التي يتيحونها لك ستعطيك معلومات لا تتوفر لأي كان. ولكن بالطبع هذا الأمر لا يخلو من المسؤولية؛ فهؤلاء بشر مثلي، وليسوا ضحايا ولا مآسي أو أرقاماً، ونحن جميعاً فلسطينيون نعيش في غزة. ثانياً، وجود هذه الشبكة من المعارف هو بمثابة دعم احتياطي. فإذا واجهت مشكلة في أي مكان، يمكنني أن أجد شخصاً ألجأ إليه ليساعدني ويكون أهلاً للثقة. وغني عن القول إنه يجب أن تحرص دائماً ألّا تعرّض أياً من هؤلاء للخطر.

من مهامي كمنسّقة أيضاً، أن أعمل على زيادة الوعي لدي المراسلين بالمخاطر التي تنطوي عليها تغطية بعض القصص. فعليّ أن أدق ناقوس الخطر إذا دخلنا في مواضيع أو جوانب قد تغضب من يتولّون السلطة في غزة. ففي النهاية، يقضي عملي بتقليص المخاطر التي قد يتعرض لها الصحافي الأجنبي في أرض أجنبية، ويقع جزء كبير من المسؤولية على عاتقي كمنسّقة صحافية.

الدوافع

في مقابل كل ذلك، ثمة ما يبدد كل الصعوبات التي تواجهني كامرأة صحافية ومنسقة صحافية في غزة وهو أنّني أستطيع إخبار العالم بشأن ما يحصل هنا، وما الذي نعيشه وما الذي يعبّر عنّا بشكل أفضل وما الذي نعاني منه بشدة.

بنيت ولا أزال شبكة كبيرة مع المجتمع المدني ومع مختلف الفصائل الفلسطينية، وهو ما سمح لي بتكوين صورة شاملة وثاقبة عمّا يحصل في مدينتي ولشعبي. ورغم أن الأصعب في عملي هو مشاهدة معاناة الناس إلاّ أنّ عليّ أن أخبر قصصهم. فهذا التزامي تجاه نفسي وتجاه مجتمعي. القصص التي أسمعها والصور التي أراها بأم عيني حقيقية ولا يمكنني نسيانها. وما زلت أتذكر تفاصيل كل قصة تركت أثراً عميقاً في نفسي. وأنا حتى اليوم لا أستطيع العثور على الكلمات المناسبة لوصفها.

يعرقل الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة جميع نواحي الحياة هنا، تاركاً أثراً وخيماً على الاقتصاد والثقافة وحرية التنقّل وعلى الناس أنفسهم. والضائقة الاقتصادية هي دافع أساسي لكثيرين للعمل في هذا المجال رغم المخاطرة اليومية التي يعرضون أنفسهم لها. وبالفعل يعمل كثيرون اليوم كمنسّقين صحافيين، ولكننا كل يوم نعيش يوماً جديداً آملين بأن تتحسّن الأمور.

فـي الختـام لا بـدّ مـن القـول إنـه بالرغـم مـن تلـف معظـم أرشـيفي بسـبب الحـروب، فلـي ذكريـات حزينـة وسـعيدة فـي كل زاويـة فـي غـزة ولا يوجـد مـكان واحـد لا يذكرنـي بعائـلات وأشـخاص التقيـت بهـم.

أميرة مع طفليها ليان وآدم في حفل عيد ميلاد على الشاطئ. الصورة من إدمي فان ريجن.

الفصل الثالث

دروس من مراسلة حربية

مقابلة مع زينة خضر

التميّز والشغف هو ما يميّز فئة الصحافيين العرب الذين تنتمي إليهم زينة خضر. فقد صعدت زينة سلّم الإعلام درجة درجة بدءاً بالعمل كصحافية في محطات تلفزيونية محلية وانتهاءً بقناة الجزيرة الإنجليزية. وقد حالفني الحظ كثيراً لأعمل معها في الميدان كمعدّ ومحرر إخباري ومنتج منفّذ من مكاتب الجزيرة الإنجليزية في قطر.

وليس خافياً على كل من عملوا مع زينة أنها شغوفة بشكل استثنائي بعملها وما تؤمن به. وهي مقدامة تتمتّع بالشجاعة وتلزم نفسها والفريق الذي تعمل معه بأعلى المعايير الأخلاقية.

ولم تكن تغطيتنا للأزمات والحروب المتواصلة التي تمّزق منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، تتعلّق بتغطية المعارك والقتال، بل كنا نتخذ من القصة الإنسانية محوراً وجوهراً لتكون محركاً لتغطيتنا الإعلامية. ومن ليبيا وأفغانستان مروراً بالعراق وباكستان وصولاً إلى الفليبين وسوريا، أثبتت زينة أنها بارعة في رواية القصص الصحافية. فهي دائماً تثابر لتستخرج معنى من فوضى الحروب التي تجتاح بلداننا، ودائماً تقدم السياق المطلوب.

بالنسبة إليّ كان العمل مع زينة على الحدود السورية التركية أحد أصعب المهام التي أوكلت إليّ. فطوال أيام كنّا ندرس الخرائط للعثور على طرقات "آمنة" للدخول إلى سوريا مع إحدى المجموعات المعارضة في شمال سوريا.

كان هدفنا بسيطاً وهو تسليط الضوء على أهوال الحرب وقتامة الألم الذي يتسبب به الإنسان. وقد تحوّل العمل داخل سوريا إلى كابوس لجميع الصحافيين لما كان يشكّله من خطر على سلامتهم. فجبهة النصرة التابعة لتنظيم القاعدة كانت تقاتل في سوريا وبعدها بقليل تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام. تبع ذلك تحالفهما ومن ثم اختلافهما فيما بعد، ما زاد الأمور تعقيداً.

وجاءت خطة دخول سوريا لتغطية القتال بين قوات النظام السوري ومختلف المجموعات المسلحة بشكل أساسي بعد عشرات الاتصالات المتقطعة عبر سكايب أو فايبر مع ناشطين وأطباء محاصرين وعمال إغاثة ومقاتلين. ومن التحديات الدائمة التي واجهناها كان التعامل مع الناس المتواجدين على الحدود والذين أرادوا مساعدة فريقنا على العبور إلى سوريا، وذلك لأن اعتقالك أمر وارد في أي لحظة، لكن توقيف فريقنا كان سيعني تبخّر أيام وليال من التحضيرات. وفي مرحلة ما، قررت تركيا إغلاق الحدود الرسمية أمام أي صحافي يرغب في العبور إلى سوريا، وإن عبرت سيكون ذلك على مسؤوليتك. وفي ذروة المعارك في إدلب وحلب، كان تواجد فريقنا داخل سوريا محفوفا بالخطر، لذلك كان علينا تقييد مهامنا لبضعة أيام وأحياناً ليوم واحد. كما أن التوتّر الذي ينتابك حين تعرف أن زملاءك في سوريا بمفردهم لا يمكن وصفه. فبمجرّد عبورهم الحدود، لن يكون بيدك أي حيلة تجاههم. وزينة مع فريق صغير يضم شخصين أو ثلاثة بمفردهم، لا يقودهم سوى البحث المكثّف الذي أجروه والعلاقات التي أقاموها في سوريا، واعتمدوا فقط على حدسهم الصحافي. وتوصّلت زينة وفريقها إلى ضرورة الامتناع عن السفر ليلاً والتنقّل فقط في النهار لتقليص خطر تعرضهم للخطف. أصبحت زينة واحدة من أوائل الصحافيين الدوليين الذين سمح لهم التصوير مع تنظيم الدولة في سوريا قبل أن ينفصل التنظيم عن "القاعدة". لم يكن الأمر مخططاً له ولكن كان على الفريق أن يمر في قرية دانا القريبة من الحدود التركية والتي يسيطر عليها التنظيم لكي يغادر سوريا.

ولكنّ اتساع رقعة انتشار تنظيم الدولة في سوريا بعد ذلك جعل عملنا أكثر خطراً. كانت الغارات الجوية والخطف والقتل، تهديدات حقيقية، وتحوّلت سوريا إلى أخطر مكان في العالم. وهذا ما جعل معظم الصحافيين الأجانب يلتزمون الحدود التركية السورية لإجراء تغطياتهم. وخلال إحدى تلك المهام على الحدود في أيار/مايو 2016، أجرينا هذه المقابلة مع زينة خضر المراسلة الحربية في الجزيرة، التي صنعت نفسها بنفسها.

زينة خلال تغطية "الجزيرة" للهجوم على الموصل في تشرين الثاني/نوفمبر 2016. الصورة لآدم سيموندس.

عوّاد جمعة: ما الذي دفعك لتصبحي صحافية؟

زينة خضر: كنت أدرس العلوم السياسية في الجامعة الأميركية في بيروت حين أرادت إحدى المحطات المحلية أن تبدأ خدمة إخبارية باللغة الإنجليزية. وسألني أحدهم في الجامعة ما إذا كنت أرغب في إذاعة الأخبار. لم أكن حينها قد فكّرت مطلقاً بالعمل في مجال الأخبار، بل كنت أتطلّع للعمل في السلك الدبلوماسي أو في منظمة دولية كالأمم المتحدة.

عوّاد جمعة: إذاً ما الذي دفعك إلى البقاء في مجال الصحافة وكيف ترين دورك كصحافية تغطّي النزاعات الآن؟

زينة خضر: إنه مجال مذهل. أحب الالتقاء بالناس والإصغاء إليهم. قد يقول كثيرون لي إني لا أتوقف عن تغطية النزاعات، غير أن تغطية الحرب ليست فقط عن الخسائر البشرية والتفجيرات والدمار. بل هي أيضاً عن السياسات التي تقف وراء الحرب وهي أمور أعتقد أنه من المثير للاهتمام أن نحاول فهمها.

في المقابل، يمكنك كصحافي أيضاً أن تحدث فرقاً بطريقة أو بأخرى لا سيّما حين تعمل لصالح محطة تلفزيونية. سأعطيك مثالاً واحداً فقط: كان هناك فتاة صغيرة في بلدة عرسال اللبنانية.[12] وكانت في الرابعة عشر أو الخامسة عشر من العمر. وكان أهلها غير قادرين على تسديد إيجار منزلهم فأرادوا تزويجها لمالك أراضٍ يبلغ من العمر 48 أو 50 عاماً. كانت الفتاة تبكي وتقول لي: "عليّ أن أفعل ذلك كي تبقى عائلتي في المنزل". ولكن بعد بث التقرير عنها، أبدى الناس رغبتهم في التبرّع بالمال. ولكنّي لم أتدخّل في الجانب المالي لأنه ليس من شأني بل لعبت دور حلقة وصل بين الناس ومكتب الأمم المتحدة في بيروت. وبالفعل وجدوا لها منزلاً جديداً ولم تضطر للزواج من ذلك الرجل أبداً. ثمة الكثير من الفتيات مثلها، لذلك ستشعر بالرضا حين يساعد تقرير كهذا في تغيير حياة شخص ما.

[12] للمزيد عن معركة عرسال:
https://www.crisisgroup.org/middle-east-north-africa/eastern-mediterranean/lebanon/arsal-crosshairs-predicament-small-lebanese-border-town

شيرين إمام (إلى اليسار) وزينة خضر (إلى اليمين) أثناء التصوير في شمال سوريا. (الصورة من زينة خضر).

الصحافة الميدانية: القصة الإنسانية

عوّاد جمعة: أثناء تغطية الحروب، دائماً ما يكون من الشائك الوصول إلى مواقع القتال. وأنتِ مثلاً، غطّيتِ الحرب السورية من اليوم الأول. فكيف تخبرين قصص الحرب من دون أن يكون لديك إمكانية الوصول إلى الرواية الكاملة؟

زينة خضر: أولاً أعتبر نفسي محظوظة لأنّي دخلت سوريا كثيراً قبل الحرب، أحياناً كسائحة وأحياناً أخرى كصحافية. وهذا جعلني آلف هذا البلد وأعرف ناسه وحكومته. وكوني من لبنان الذي يتشارك جزءاً من حدوده مع سوريا، يساعدني أيضاً على فهم السياسات السورية. ولكن بالطبع يصعب دائماً إجراء التغطية من داخل سوريا نظراً إلى القيود المشددة التي تفرضها الحكومة. ولكن في بداية الثورة في آذار/مارس 2011، كان لا يزال لـ "الجزيرة" مكتب هناك. فكان لدينا رخصة للعمل في دمشق ولكن ليس في بلدة درعا الجنوبية التي انطلقت منها شرارة الاحتجاجات. غير أننا ذهبنا سراً إلى تلك المنطقة وبمساعدة الأهالي، كنّا أول فريق إعلامي يغطّي الأحداث من درعا[13]. كانت

[13] «غضب في سوريا بسبب القمع الأمني» Anger in Syria over security crackdown، الجزيرة الإنجليزية (آذار/مارس ٢٠١١) http://www.aljazeera.com/news/middleeast/2011/03/201132680473111197.html

رؤيتنا للناس هناك والحديث إليهم كافياً لنفهم لماذا نزلوا إلى الشارع. كان الناس يخبئوننا وينقلوننا من غرفة إلى أخرى. كان الخوف كبيراً ولكنّ الشجاعة كانت كبيرة أيضاً. رأيت بنفسي أهالي البلدة من مدرّسين ومحامين وسباكين، ينزلون إلى الشارع ويطالبون بالإصلاحات. في ذلك الوقت لم يجرؤ أحد منهم على القول "نريد إسقاط النظام" أو التلفّظ باسم بشار الأسد. كانوا ينادون فقط بالإصلاحات. ولكن حين كنا نضغط عليهم وتكون الكاميرا مطفأة كانوا يقولون "حسناً، أنت تعلمين، لقد طفح الكيل من هذا النظام ومن الذلّ الذي تحمّلناه على مرّ السنين". ولم تمرّ سوى أسابيع حتى أغلق مكتبنا ومنعت "الجزيرة" من الحصول على تأشيرات.

حينها لم يعد لدينا خيار سوى المراسلة فقط من المناطق التي تسيطر عليها المعارضة. وكنّا ندخل إلى سوريا ونخرج منها من الجانب التركي. وبالفعل غطّى الكثير من الإعلاميين الأحداث من الحدود ولكنّنا رأينا ما كان يحدث مباشرة، وهذا ما منحنا بصيرة. فعلى سبيل المثال أدركنا سريعاً مثلاً بأن هناك انقساماً حاداً في صفوف المعارضة وهو أمر لن تفهمه حقاً إن لم تره بنفسك. فقد كان هذا المعسكر يفتقد إلى الوحدة وهو ما ثبت أنه مكمن ضعف المعارضة طيلة النزاع. ونحن دخلنا وبنينا علاقات مع الناس والناشطين لذلك عرفنا مَن من بين هؤلاء محل ثقة ومن ليس كذلك. ولكنّ مجدداً، فقدنا إمكانية الوصول إلى الجانب الحكومي، إلاّ أننا استطعنا التعويض عن ذلك بقراءة الصحف الموالية. فنحن على يقين أن الإعلام في العالم العربي مسيّس. اقرأ صحيفة "الأخبار" أو "السفير" مثلاً، ستعرف فوراً ما هو موقف النظام السوري [14]. فالجميع يبعث الرسائل السياسية من هنا ومن هناك. لذلك كان عملي يقوم على وضع وجهتي النظر في التقرير على أن يقرر الجمهور بنفسه ما الذي حصل فعلاً. في نهاية المطاف نحن صحافيون ولسنا مدّعين في محكمة.

---

[14] «الأخبار» و«السفير» صحيفتان لبنانيتان تغطيان الوضع السياسي العربي. http://www.al-akhbar.com/ و https://assafir.com/

أهمية السياق

عوّاد جمعة: أشرتِ إلى نوعين من المهارات يجب أن يملكهما الصحافيون لتغطية حدث ما حين يتعذّر الوصول إلى موقعه. الأول هو قراءة مختلف المصادر والجانبين المتعارضين للقصة، والثاني هو الروابط الإنسانية التي تقيمينها مع مصادر داخل منطقة النزاع. أنت تعرفين المنطقة جيداً ولكن بماذا تنصحين شخصاً عليه تغطية حرب أهلية في مكان آخر؟ هل تعتقدين أن هذه المهارات قابلة للنقل؟ ما هي نصيحتك لصحافي متدرّب أو صحافي شاب جديد يخرج للمرة الأولى لتغطية نزاع استقطابي ليس لديه أي خلفية عنه كالتي لدى شخص من تلك المنطقة؟

زينة خضر: يجب عليك فعلاً أن تقضي وقتك في الإصغاء والتحدث إلى الناس لفهم ما يحدث وليس فقط الإصغاء إلى ما يقوله السياسيون. ستفهم القصة أكثر حين تتحدث أكثر إلى الناس على الأرض. من الأمثلة على ذلك أنّه صحيح ليس لدينا إمكانية للوصول إلى دمشق ولكن في لبنان يوجد الكثير من الدمشقيين الذين يمكننا التحدث إليهم وفهم ما الذي يجري هناك، لذلك فالناس عنصر بالغ الأهمية. كما أن القراءة المكثفة تساعد أيضاً فالعديد من النزاعات اليوم لها ماض تحتاج إلى فهمه كي تفهم الحاضر. أقصد أن ما يجري في سوريا لم يحصل بين ليلة وضحاها.

عوّاد جمعة: وما الذي يعنيه ذلك؟

زينة خضر: في الكثير من الأحيان لم نغطّ حقيقة أن الحرب السورية هي بشكل أو بآخر، حرب طبقية. اليوم يتحدث الجميع عن حرب مذهبية ولكنّها في واقع الحال، بدأت بانتفاضة شرائح مهمّشة في الأرياف. عليك العودة إلى برنامج التحرير الاقتصادي الذي وضعه بشار الأسد في العام 2000 لتفهم لماذا سكّان ريف حلب هم الذين اجتاحوا شوارع المدينة وليس سكان المدينة الذين كانوا راضين عن أحوالهم ولديهم أعمال وعلاقات جيدة [15]. إن لم تفهم هذه الأمور الصغيرة، فلن تفهم

[15] آدم هنية، «سلالات الثورة»Lineages of Revolt ، (شيكاغو، هايماركت بوكس Haymarket Books، شيكاغو، ٢٠١٣).

الوضع. الأمر ليس فقط صاروخاً سقط هنا ومستشفى دمّرت هناك وعشرة أشخاص قتلوا هناك. الأمر أكبر من ذلك بكثير. فالناس الذين ليس لديهم شيء أو لديهم القليل ليخسروه كانوا أكثر استعداداً للنزول إلى الشارع والمخاطرة بكل شيء. أما الذين يعيشون حياة مريحة وأبناؤهم قادرون على الذهاب إلى الجامعات والعثور على وظائف، ففكروا مرتين قبل أن يتظاهروا ضد النظام. فطوال عقود، كان الأغنياء ومن لديهم علاقات مع نافذين في الدولة، هم من يستطيع العثور على وظائف وعيش حياة كريمة. أما الغالبية فشعرت بأنها مقموعة ومنسية. وهذا اليأس هو بالتحديد ما دفع الناس إلى الانتفاضة وكسر حاجز الخوف.

عوّاد جمعة: الأمر مرتبط بالسياق إذاً.

زينة خضر: بالضبط، كل شيء مرتبط بالسياق.

عوّاد جمعة: إذا وضعنا كل ذلك في الاعتبار، كيف يبقى الصحافي على الحياد؟ فنحن سواء أسأنا فهم القصة أو فهمناها جيداً، قد لا نزال نتّهم بالانحياز. ما هي المهارات المطلوبة ليبقى الصحافي محايداً، إذا كان ذلك ممكناً أساساً؟

زينة خضر: كلبنانية، من السهل على أي شخص أن يقول إنّي أؤيد أحد طرفي النزاع السوري نظراً إلى مدى الانقسام اللبناني؛ أي أنك إما مع النظام أو مع المعارضة. ولكنّي فعلاً لا أستطيع أن أصنّف نفسي مؤيدة لأي منهما. فأنا أعتقد أن الجانبين ارتكبا أخطاء والناس على الجانبين هم الذين يدفعون الثمن. صحيح أننا جميعاً بشر وأني كوّنت بعض المشاعر تجاه القضية برمّتها إلاّ أنّي لا أستطيع بأي شكل من الأشكال أن أظهر تلك المشاعر لأنّ الناس سيعرفون على الفور، صدّقني. عملي يقوم على الإصغاء إلى الناس من الطرفين. هذا خيط رفيع جداً وعليك أن تكون في منتهى الحذر. فبهذه الطريقة تصون مصداقيتك. ولكن لا شك أن هذه من أصعب القضايا التي غطّيتها لأن الأطراف المتنازعة تتوقع من الصحافيين أن يؤيّدوا طرفاً دون آخر.

عوّاد جمعة: إذاً، الأمر يتعلق بإعادة التركيز على الزاوية الإنسانية التي ترين أنها المدخل إلى الموضوع.

زينة خضر: صحيح، فالناس يموتون على الجانبين. ربما يموت عدد أكبر على أحد الجانبين، ولكن إذا ارتأيت تغطية طرف دون آخر، فإن الناس سيحكمون عليك. فمتابعتي لبعض الناس على تويتر للعامين أو الثلاثة الماضية، تجعلني أدرك موقفهم من النزاع. الأمر ليس صعباً، إنه واضح جداً.

الصحافي كشاهد: الموضوعية والحياد

خالد رمضان: في العام 2003، كتب الصحافي البوسني كمال كورسباهيك مقالة بعنوان "موضوعية من دون حياد" [16] حيث فنّد فكرة أن الإبادة هي من المسائل التي لا يمكن للمرء أن يكون حيادياً تجاهها. وسبق أن نشر مقالة أخرى عن الحياد والموضوعية في العام 1995 حيث استخدم الحرب في البوسنة ونقل الأخبار عن الإبادة ليُلخِّص أن الصحافيين قادرين أن يكونوا موضوعيين بشكل مثالي من دون أن يكونوا بالضرورة حياديين. ما رأيك في هذا السجال بشكل عام حول الحياد والموضوعية بناء على تجاربك؟

زينة خضر: لا أعتبر نفسي مرتبطة بأي من الطرفين وأعتقد أنهما ارتكبا أخطاء ولكن الحياد التام غير موجود. فحين ترتكب المعارضة فظائع، ننقلها. وحين يرتكب النظام فظائع ومجازر، ننقلها أيضاً. في النهاية، الناس هم الذين يموتون.

رأيت ذلك بأم عيني في حلب، حين انتشلوا أكثر من 80 جثة من أحد الأنهر [17]. كانت الجثث مكبّلة مع آثار طلقات نارية في رؤوسها. وكان

---

[16] كمال كورسباهيك «موضوعية من دون حياد» (Objectivity Without Neutrality)، بوسطن: مؤسسة نيمان، متوفّر على الإنترنت على: http://niemanreports.org/articles/objectivity-without-neutrality (تم الاطّلاع عليه لآخر مرة في ٩ تموز/يوليو ٢٠١٧).

[17] «جثث مدفونة في نهر الموت في سوريا» 'Bodies dumped in Syria's 'River of Death
(الدوحة: الجزيرة) ٢٠١٣: http://www.aljazeera.com/video/middleeast/2013/03/201331201846902545.html
(تم التحقق منه للمرة الأخيرة في ٤ تموز/يوليو ٢٠١٧).

الناس يتوافدون للنظر إلى الوجوه لكي يعاينوا ما إذا كان بين الجثث أقرباء لهم. وكان النهر الذي وجدت فيه الجثث يجري من الأراضي التي تسيطر عليها الحكومة باتجاه الأراضي التي تسيطر عليها المعارضة. فهؤلاء الناس كانوا يعيشون في أراضي المعارضة وقصدوا أراضي الحكومة إما للعمل أو لشراء حاجيات ولم يعودوا. هذه حقائق مهمة يجب ذكرها، ولكن عليك أن تكون حذراً أثناء إعداد تقريرك كي لا توجّه الاتهام إلى الحكومة بقتل هؤلاء الناس. ولكن إذا أراد المرء أن يربط المعلومات والحقائق التي قدّمتها، فقد يصل إلى خلاصته الخاصة. مجدداً، نحن لا نعمل لصالح محكمة دولية تحاكم على جرائم حرب. أعتقد أن هناك طريقة ليبقى المرء موضوعياً. فحتى لو كان لديك مشاعر داخلية، ثمة معايير صحافية يجب أن تحافظ عليها وإلاّ لماذا تمارس هذه المهنة؟ كما أن التقرير في النهاية يحمل اسمك، ما يعني أن سمعتك على المحك.

خالد رمضان: هناك أيضاً الدور المتحوّل للصحافة. فنحن نرى صحافيين يصنفّون أنفسهم ببساطة ناشطين صحافيين ويقولون إنهم لا ينقلون الأحداث فحسب بل هم شهود عليها أيضاً. لنقل إنهم شهود على جرائم حرب مثلاً وقد يتلقون دعوة إلى لاهاي (مقر محكمة العدل الدولية) أو أماكن أخرى للإدلاء بشهاداتهم. وبالفعل قدّم بعض الصحافيين مواد إلى المحكمة في قضية ميلوسوفيتش وأحسّوا بالرضا حيال ذلك. فهم يعتبرون أن صحافة المناصرة ليست صحافة سيئة. ما رأيك في ذلك؟

زينة خضر: لا أعتقد أنك ستكون ناشطاً إذا قدّمت دليلاً في محكمة، بل ستكون شاهداً. هناك فرق شاسع. إذا استدعاني أحد إلى المحكمة الآن وسألني: "ما الذي رأيته حين رُفعت تلك الجثث من النهر وكان الناس يتعرفون عليها؟"، فسأخبر ما رأيته بالضبط، كشاهدة. فبذلك لا أكون ناشطة وهذا ليس نشاطاً سياسياً. فالنشاط السياسي هو مثلاً أن تواصل القول إن الطرف الآخر يفعل كذا وكذا وأن تتجاهل بالكامل أخطاءك الخاصة أو ما تسيء فعله. هل تفهم قصدي؟ الناشطون هم من يريدون فقط إظهار جانب واحد من القصة.

خالد رمضان: إذاً، الإدلاء بالشهادة أمام المحكمة أمر جيد برأيك؟

زينة خضر: نعم. هذا عملنا. فمن المفترض أن نلعب دور "الرقيب" للجمهور. فإذا كنّا في مكان ما ورأينا شيئاً يحصل فعلينا أن ننقل ما رأينا إن لم يكن لدينا أي شك في حقيقة ما حصل.

عوّاد جمعة: أحياناً يغطّي مراسلان القضية ذاتها ولكنّهما يخرجان بتصوّرين مختلفين للحقيقة. هل تعتقدين أن هناك حقيقة واحدة أم حقائق تختلف باختلاف المشاهدين؟

زينة خضر: أنت تقصد أن المراسلين كانا في موقع الحدث ولم يكونا يراسلان من الحدود، أليس كذلك؟

عوّاد جمعة: صحيح، لنقل أنهما كانا شاهدين.

زينة خضر: ثمة ما يسمّى ظروف. لنقل إن لديك شخصاً من التلفزيون الروسي وآخر من "الجزيرة" ينقلان القصة ذاتها. بالطبع سيعدّ كل منهما تقريراً مختلفاً. فأنا مثلا لن أعرف الحقيقة كاملة ولكنّي أستطيع أن أعطيك ما أعتقد أنها الحقائق وما الذي رأيته، فهذا عملي.

خالد رمضان: هناك أيضاً منعطف مثير للاهتمام في مسألة المسؤولية والذنب. فمثلاً خلال حرب فيتنام، كان المصور الصحافي إيدي آدمز يشهد تنفيذ حكم الإعدام بعناصر من "الفيتكونغ"، في الشارع والتقط صوراً وفيديو لذلك. في مرحلة لاحقة، اعتذر من الجنرال الذي أطلق النار على أولئك السجناء لأنه أحسّ بالذنب لتدمير حياة الرجل.
وقال بما معناه أن شخصين ماتا في تلك الصورة: الشخص الذي أصابته رصاصة الجنرال والجنرال نفسه الذي قتلته الكاميرا. ولكن بغض النظر عن ذلك، لا يدين الصحافي للجنرال بأي شيء لأنه كان يقوم بعمله فحسب. ما شعورك تجاه الذنب الذي يحسّه بعض الصحافيين في مراحل لاحقة؟

زينة خضر: أحياناً تشعر بالذنب لأنّك تصوّر مأساة شخص آخر. فيصادف أنك في مكان ما ويتحوّل الشخص الذي أمامك إلى مجرّد موضوع. ولكنّك تقول حينها: "نريد تسليط الضوء على المعاناة". هذا ما شعرت به حين كنت أصوّر الناس ينظرون إلى الجثث قرب النهر ويحاولون التعرّف عليها. وبالفعل تعرّف أحد الرجال على والده وبدأ يصرخ ويركض. تبعناه حتى وصل إلى الطريق حيث بدأ يضرب الحائط ويصرخ. فقدت تماسكي للحظات قبل أن أحاول طرح سؤال عليه. فنظر إليّ وطلب أحدهم منه أن يجيبني ففعل. شعرت بعدها بالذنب وقلت في نفسي إن ذلك الرجل كان يعيش مصيبة وأنا كل ما كنت أفكّر فيه هو تسجيل تصريح منه، هل تفهم قصدي؟ ولكنّي كنت فعلاً بحاجة لمعرفة الحقيقة، لذلك أردت أن أعرف أين كان والده. فمعرفة ذلك كانت ستساعدني أن أشرح للعالم من قتل هؤلاء الناس. وفكّرت أنه إذا كان هذا الرجل يريد العدالة، فيجب أن يقول أين فُقد والده. وبالفعل قال لي: "والدي ذهب ليستلم راتبه من الجانب الحكومي ولم يعد. فُقد واليوم أجد جثّته هنا". ساعدني كلامه في شرح القصة. فهؤلاء الناس دخلوا الأراضي التي تسيطر عليها الحكومة قبل أن يُعثر على جثثهم في النهر.

التحقق من المصادر

عوّاد جمعة: ما هي الخطوات التي تتخذينها للتعامل مع المصادر والتحقق منها في بيئة عدائية مثل النزاع السوري؟

زينة خضر: الثقة بالناس تستغرق وقتاً. فعليك أن تتحدث إليهم كثيراً ليس فقط عن الحدث نفسه بل عن أمور أخرى أيضاً. بعدها ستبدأ بملاحظة ما إذا كان الشخص منحازاً أم لا. فأحياناً تجد نفسك تعمل مع منتج أو دليل على الأرض في أماكن لا تفهم لغة أهلها، لذلك عليك أن تثق بهم. وغالباً ما يكون لدى هؤلاء بعض الميل السياسي. وأنا اختبرت ذلك في العديد من الأماكن التي لا أفهم لغتها. فصحيح أنك تحتاج إلى وقت وتجربة لتفهم الناس ولكنك ستفهمهم في وقت أقصر مما تظن وستجد

نفسك على بيّنة مما تتعامل معه. وحين تعرف أن هذا الشخص لديه معتقدات معيّنة فستتعامل معه بشك وحذر. لذلك أعتقد أن دخولنا إلى سوريا ورؤية الأمور بأنفسنا ساعدنا كثيراً. فأنت تقابل أشخاصا ثم تبدأ بالشعور بالثقة تجاههم وتختبرهم مرة تلو الأخرى. وحين تدرك لأول مرة أنهم يكذبون عليك، تعرف أنهم ليسوا أهلاً للثقة. الأمر يستغرق وقتاً ولا يحصل بين ليلة وضحاها.

عوّاد جمعة: ما هي الإشارات أو المؤشرات التي يجب أن ننتبه لها حين نبدأ خوض غمار الصحافة؟

زينة خضر: التعامل مع المصادر والتحقق منها هي عملية تجربة وخطأ. أعتقد أني شخص مختلف جداً عمّا كنته قبل خمس سنوات. كل يوم أتعلّم شيئاً جديداً وكل يوم أرتكب خطأ وأتعلّم منه. هذا هو المهم. عليك أن تحافظ على انفتاحك تجاه كل شيء. لا يمكن أن تثق بأي شخص يقول لك إن أمراً ما هو الحقيقة لأن الجميع حتى مصادرك لديهم نوع من الأجندة. فأحياناً يرغبون في تسريب رسالة فيخبرونك بها لأن لديهم دوافع أخرى. ليس الأمر سهلاً ويستغرق وقتاً.

عوّاد جمعة: بعيداً عن التجربة والخطأ والوقت، ما هي المعايير الأخرى التي يجب أن يستند إليها المرء لدى الإصغاء إلى مصدر أو توظيف شخص محلي للعمل معه؟

زينة خضر: أثناء عملي في حلب مثلا، كان هناك شخص أعرفه منذ سنوات ولطالما تحدثت معه عبر سكايب. كنت أثق فيه حقاً، ولكنه ليس الوحيد الذي أتحدث إليه. لديّ ثلاثة أو أربعة أشخاص غيره من المدينة أتحدث وأصغي إليهم لكي أرى إن كانوا جميعاً يخبرون القصة ذاتها. هذا يشعرني براحة أكبر حيال ما ننقله. فإن قال أحد المصادر شيئاً مختلفاً تماماً، أحاول أن أجري اتصالاً آخر وأطرح السؤال عليه مجدداً. فلا يجب أن تثق بشخص واحد فقط.

الصحافة كأداة لإخبار الناس وتعليمهم

خالد رمضان: كصحافية أنت تقدمين معلومات ولكنّ هل لديك نوع من الأجندة التي تريدين تعريف الناس عليها، مثلاً؟

زينة خضر: نعم. أعتقد أن المسألة الأهم بالنسبة لي هي أنّ الكثير من الناس يتجاهلون السياق. فمثلاً أحياناً نقول إن الروس مسؤولون عن غارة في سوريا حين لا نكون واثقين مما إذا كانت سورية أو روسية. اليوم قد يعتبر البعض أنّ لا فرق بين الجانبين فروسيا والحكومة السورية حليفان. ولكنّ الفرق كبير رغم تحالفهما. فخلال مراحل معيّنة من النزاع، أوقف الروس طائراتهم ورفضوا دعم العدوان الذي تشنّه الحكومة السورية وحليفتها، إيران. ولا يخلو الأمر من الاختلافات بين روسيا وإيران أيضاً. وأحياناً امتنعت روسيا عن الغارات الجوية لتوجيه رسالة إلى الغرب وحلفائها. فكل معركة وتقريباً كل عمل عسكري كان له معنى سياسي ومن المهم فهم كل ذلك ووضع الأمور في سياقها.

عوّاد جمعة: هذه قصة خاصة جداً وأنت تعرفينها جيداً. ولكن لنقل أنّكِ ذهبتِ إلى اليونان لتغطيتها. ما هي النقاط الرئيسية التي تسمح للصحافي بجمع العناصر التي تكوّن السياق، وما هي الأمور الأخرى التي عليه البحث عنها؟ هذا يضعنا مباشرة أمام مفهوم "صحافة الباراشوت" أو "صحافة القفز بالمظلّات". بصراحة لا أعتقد أنك كصحافية تبحث عن السياق وتثقيف القراء، يمكن إنزالك بالمظلة في مكان ما إذا كان المطلوب منك تقديم صحافة سليمة. هل توافقين؟

زينة خضر: ليس مثالياً أن يتم إسقاط الصحافي بالمظلة في مكان ما ووضعه تحت ضغط كبير. غير أن اللاعبين هم نفسهم في جميع النزاعات: الحكومة والمعارضة. ما يتغيّر هي الأسماء فقط. معظم النزاعات تكون بين الشعب والسلطة. وفي معظم النزاعات، يكون دور الجيش والقوى الأمنية أساسياً. ثمة مسائل متشابهة، لذلك عليك أن تطرح الأسئلة المناسبة وتتعرّف جيداً على اللاعبين الجدد ومواقعهم فيما يخص

المسائل المهمة.

أنت بحاجة أيضاً إلى منتجين جيدين يفهمون اللغة ويكونون قادرين على القراءة من عدة مصادر وأن يكون لديهم علاقات عامة واسعة كي يتحدثوا إلى مختلف الأطراف. فحين أكون في مكان لا أتحدث لغته، أطلب من المنتج/ة الاتصال بالمعارضة وطرح أسئلة محددة عليها. ومن ثم الاتصال بالحكومة ومعرفة ما لديها لتقوله. عليك أن تفهم الصورة العامة. حتى قصص المهاجرين، مهما بدت بسيطة وسهلة، ليست مباشرة. فاليونان لديها مشكلة مع الاتحاد الأوروبي ولديها نزاع طويل مع تركيا. لذلك فحين تتحدث إلى المسؤولين، يجب أن تعرف هذه الخلفية وتأخذها بعين الاعتبار من أجل فهم إجاباتهم بشكل أفضل. يجب أن تتحقق جيداً وتتحدث إلى مختلف الأطراف وترى ما يقوله مختلف اللاعبين. على المنتجين والصحافيين أن ينظروا إلى الصورة الأكبر.

عواد جمعة: لنتخيّل أنك محررة توزّعين المهام وكنت على وشك إرسال صحافي جديد وشاب لتغطية الحرب في سوريا. وطلبت منه أن يعدّ تقاريراً عن ثلاث أو أربع قصص إنسانية. ما هي المعايير لاعتبار القصة الإنسانية جيدة؟

زينة خضر: لا يجب أن تركّز على الأمور العادية التي يعرفها الناس مسبقاً. فحين تذهب إلى مخيّم للاجئين تسمع قصصاً عن غياب الطعام والماء. لا تسئ فهمي، لست عديمة الإحساس ولكنّي أعتقد أن الصور تتحدث عن نفسها والجميع يعرف ما الذي تعنيه الحياة في مخيّم للاجئين. تعني أنّ: لست في منزلك وتعيش في ظروف مزرية. المهم إذاً هو أن تتحدث إلى الناس في مختلف المخيمات في مناطق مختلفة، فكل منهم لديه قصة مختلفة يرويها لك.

إليك هذا المثل من اليونان: كنت أعدّ تقريراً عن اللاجئين والتقيت عائلة من محافظة حمص. المثير للاهتمام هو السياق الذي توضع فيه الأمور. فالبعض قد يقول إن هذه العائلة لا يجب أن تحصل على حق اللجوء

لأن المنطقة التي أتت منها لا تشهد قتالاً وتوصّلت الحكومة والمعارضة فيها إلى نوع من "المصالحة". ولكن "المصالحة" سمحت للمعارضين بالاستسلام فقط من دون أن تضمن سلامتهم. غير أن تلك العائلة أخبرتني أن أحد أبنائها مفقود والآخر مطلوب لدى السلطات لذلك لن تستطيع العودة أبداً إلى ديارها.

لا يجب أن تركّز فقط على المعاناة اليوم، بل أن تضعها في سياق أكبر. فمن خلال الإصغاء إلى هذه العائلة وحدها، يمكنك أن تفهم بأن الحل للأزمة الذي توصلت إليه الحكومة السورية مع اتفاقيات "المصالحة" هذه لا ينفع مع هذه العائلة. وهؤلاء هم عيّنة من الآلاف الذين يواجهون وضعاً مماثلاً. لذلك فمن خلال قصة المعاناة الإنسانية هذه، يمكنك الخروج بصورة سياسية أكبر بكثير تمكّن الناس من فهم ما يجري في سوريا بشكل أفضل. هذه الطريقة الأسهل لمن يتواجد في السويد أو البرازيل لكي يكوّن فكرة عن السياق ويفهم ما الذي يحصل في حمص. فصحيح أن البنادق سكتت ولكنّ السلام لم يحلّ.

عوّاد جمعة: حين يطلب من صحافي التركيز على الناس في نزاع ما، غالباً ما تكون تقاريره عن المعاناة. فالعديد منهم ليس لديهم القدرة أو المعرفة أو السياق ليشرحوا الصورة الأكبر. فالمرء يحتاج إلى مجموعة مختلفة من المهارات كي لا يركّز فقط على المعاناة وأن يروي قصة إنسانية. فنحن نخلط بين المعاناة والإنسانية والقصص التي تتمحور حول الإنسان، والتي ليست بالضرورة الشيء نفسه. ثمة فوارق بسيطة كما فهمت منك.

زينة خضر: صحيح. حين نتحدث عن قصص النازحين داخلياً واللاجئين، نغوص فيها ونحوّلها إلى قصص سياسية. نستعمل الناس كشخصيات، نخبر قصصهم وندع الصور تتحدث عن نفسها. المعاناة تتحدث عن نفسها. وستعرف أنه مهما كان شكل التسوية السياسية أو الأمور التي يتحدثون عنها، لا يوجد سلام. الأمر ليس كالقول "بدأ وقف إطلاق نار، يمكن للناس أن يذهبوا إلى بيوتهم!". الأمر ليس كذلك.

عن اختلاف وجهات النظر والهوية والسلامة

خالد رمضان: أنا مهتم جداً بأن أعرف أكثر عن سلامتك ولكن أيضاً عمّا تمثّلينه لناحية الجنسية والعرق والجندر. هل لعبت هذه النواحي دوراً في رسم الطريقة التي ينظر فيها الناس إليك؟ هل وجدت نفسك في مواقف تعرضت فيها للتمييز وكيف تعاملت مع الموقف في حال حصل؟

زينة خضر: قد تشكّل هوية الصحافيين وجنسيتهم عائقاً. فكوني لبنانية، أول سؤال يطرح عليّ حين أذهب إلى منطقة تخضع لسيطرة المعارضة هو "من أي منطقة أنت؟" لأنهم يريدون معرفة مذهبي. فلبنان مجتمع منقسم حيث الغالبية في مذهب معيّن تؤيّد الحكومة أو المعارضة السورية. من جهتي أتفادى الإجابة على السؤال وأردّ فورا: "اسمعوا، أنا هنا أخاطر بحياتي لذلك أعتقد أن عليكم احترام ذلك". يلعب الجندر أيضاً دوراً إذ يكون نعمة أحياناً ونقمة أحياناً أخرى. ففي بعض الأوقات يرفض رجال من مجموعات معيّنة التحدث إليّ لأني امرأة ولكنّي أعتقد أن هناك طريقة للتعامل مع الأمر. برأيي إن ذلك مرتبط بكيفية مقاربتك للناس إذ عليك أن تتصرّف بشكل مختلف، حازم وليس عدوانياً. فمجرّد كوني امرأة لا يعني أنّي أضعف من الباقين. كما عليك أن تكسب ثقة الناس، إذ إن الأمر برمّته مرتبط بالثقة وبكيفية تقديم نفسك للناس. والمراسلة التي تتمتع بالخبرة ستكسب الاحترام أكثر من مراسل عديم الخبرة غير قادر على إظهار الثقة بالنفس والتفهّم.

عوّاد جمعة: هل يمكنك إعطائي مثالاً ملموساً عن وضع معيّن جعلتك فيه جنسيتك أو كونك امرأة، تتصرفين بشكل مختلف؟

زينة خضر: مرة كنّا في إدلب حين كان "أحرار الشام" و"النصرة" القوة الأساسية على الأرض هناك، ولكنّ "النصرة" كانت مختلفة جداً عمّا هي عليه اليوم [18]. وكان من الصعب عليّ الوصول إلى الزعيم حيث

---

[18] السوريون يدعمون «النصرة» رغم «العلم الإرهابي» Syrians back al-Nusra despite ‹terrorist› tag (الدوحة: الجزيرة) متوفّر على الرابط: http://www.aljazeera.com/video/middleeast/2012/12/20121214164411696160.html (تم التحقق منه للمرة الأخيرة في ٤ تموز/يوليو ٢٠١٧).

قالوا لي أكثر من مرة "أنت امرأة لذلك لن يقابلك". ولسوء الحظ لم يكن برفقتي شخص يتحدث العربية لكي يذهب ويجري المقابلة معه، ولم يكن خياراً أن نرسل الكاميرا ونجعله يقول ما يرغب به من دون مساجلته، لذلك لم ننجز التقرير.

أحياناً لا أتمكن من القيام بالمقابلة بنفسي وأحياناً أحصل عليها ربما لأني من المنطقة. فأنا أعرف الحدود وإلى أي مدى يمكنني الذهاب. وفي نهاية المطاف، إذا جعلت رجلاً يشعر بأنه شقيقك وأن لديه مسؤولية الحفاظ على سلامتك، فهذا عامل مساعد. ففي العالم العربي ثمة نزعة لدى الناس بأن من واجب الرجال حماية النساء ومعاملتهنّ كشقيقات. في الخلاصة، الأمر يرتبط بكيف تقارب الناس وكيف تتصرف وكيف تقدّم نفسك. وبمجرد أن تكسب احترام الناس، من المتوقّع أن يساعدوك.

خالد رمضان: هل ذلك جزء من آليتك للحماية؟
زينة خضر: نعم.

عواد جمعة: يمكن اعتبار ذلك تكيّفاً مع الظروف القائمة، إذ يجب أن يكون المرء حساساً ثقافياً وحساساً تجاه المجتمعات المحلية التي يعمل فيها كصحافي.

زينة خضر: نعم عليك أن تشرب الشاي قبل أن تضع الميكروفون أمامه وتطرح عليه الأسئلة. يجب عليك احترام الآخر. ثمة أمور صغيرة عليك القيام بها سواء كنت رجلاً أو امرأة.

خالد رمضان: ولكن ربما كونك امرأة يمكن أيضاً أن يعود عليك بالنفع، في بيئة نسائية مثلاً.

زينة خضر: نعم. كان هناك مجموعة نساء تعرّضن للاغتصاب في سجون تابعة للحكومة السورية. التقينا بهنّ في شقة في تركيا ولا أعتقد أنّ أياً منهنّ كانت لتقول ما قالت لي لو لم أكن امرأة ولو لم يكن

المصوّر أجنبياً لا يفهم لغتهنّ. فكنّ يتحدثن بكل صراحة ويبكين ويعطين الكثير من التفاصيل.

عوّاد جمعة: فيما يخص تغطية النزاع في سوريا والمعاناة الإنسانية والسياسات التي تقف وراء كل ذلك، ما الذي يشكّل التحدّي الأكبر بالنسبة لك كمراسلة؟

زينة خضر: التحدّي الأكبر كان معرفة الحقيقة. ففي الحروب، يسيطر الخوف على الناس، فقد يقولون لك أموراً تعلم أنت مدى أهميتها كمعلومات ولكنّهم يخشون من أن يقولوا ذلك أمام الميكروفون لما قد يشكله من خطر على حياتهم. التحدي الأكبر هو استخراج الحقيقة لأنّ ثمة مسؤولية ملقاة على عاتقك. فيوماً ما سيحاسبك التاريخ على ما قلته أو كتبته. هذا أمر أتعامل معه بجدّية كبيرة.

حين أنظر إلى طفل أو شخص في مستشفى أو شخص فقد كامل عائلته، أقول لنفسي: "كنت أوفر حظّاً، فقد ارتدت المدرسة ومن ثم الجامعة وأتحدث لغتين ويمكنني أن أقول للعالم ما الذي يرغب هذا الشخص في قوله ولكنه لا يستطيع لأنه أقل حظاً". هذه مسؤولية وهذا ما يعطيك قوة.

خالد رمضان: كيف تتعاملين مع ذلك ومع جميع الأخطار النفسية وبماذا تنصحين زملاءك اليافعين الذين تخرّجوا للتوّ وهم متحمّسون للعمل في مناطق النزاع؟

زينة خضر: لست انتحارية، ولا أقوم بمخاطرات غير ضرورية. ليس الأمر مرتبطاً بإثبات نفسك وأعتقد أن هذا أمر مهم جداً وعليك أن تعرف جيداً متى تسحب القابس. ولا يجب أن تشعر بالحرج من الرفض أحياناً. فالرفض لا ينمّ عن خوف بل عن شجاعة. مثلاً كنّا نحن صحافيو "الجزيرة" من سحبنا قابس الدخول إلى سوريا في لحظة ما. وكنا نحن من قرر التوقف عن الدخول أيضاً. لم يكن قرار الإدارة بل قراري

بعد حادثة حصلت لي. ربما حالفني الحظ واستطعنا التصوير من دون التعرّض للخطف. عدتُ مرة واحدة إلى سوريا بعد ذلك لأني لم أرغب في أن تتحوّل تلك الحادثة إلى نوع من الرهاب. ولكني لم أكن مرتاحة أبداً. وكنت أشعر أن كلّ سيارة خلفنا تتبعنا. حينها أدركت أن الوقت حان للتوقّف. وحتى حين كنّا ندخل إلى سوريا، كنا نناقش كل قصة مئات المرات ونسأل أنفسنا: هل تستحق العناء أم أن الأمر سيكون عبارة عن أصوات اشتباكات كما في كل مرة وكأن الجبهة لم تتغيّر؟ لا أرغب في إعداد تقارير من هذا النوع. بل أريد قصصاً عن الجبهات في إطار ما تعنيه في السياق الأوسع. بعدها تدخل، تعدّ التقرير وتخرج. يجب أن تقوم بمخاطرات محسوبة وتعرف جيداً متى تسحب القابس.

أهمية الفريق

رأينا الكثير من الصحافيين الشباب يعبرون الحدود بأنفسهم، لا يتحدثون اللغة ولكنهم يثقون بالجميع على الحدود، يصعدون في سياراتهم، يقصدون مدينة حلب وينتهي المطاف بالكثيرين منهم ضحايا للخطف. أما نحن فكنّا نتحقق من معارفنا الذين ندخل معهم وما إذا كانوا أهلاً للثقة. أمر كهذا يستغرق وقتاً. فأنت لا تعبر الحدود ببساطة وتدخل إلى البلد. فريقنا نجا من غارة أصابت هدفاً بعيداً عنا مئة متر فقط. رأينا الطائرة بأمّ العين وسمعنا صوت محرّكها. لم يكن لدينا مكان نختبئ فيه سوى سطح واحد. بعد تلك التجربة، استغرقت شهراً لأتعافى. وبعدها أصبحت كلّما سمعت صوت طائرة مدنية، أنحني قليلاً. ولكنّ ذلك لم يوقفنا ودخلنا مجدداً.

الأمور قد لا تسير دائماً على ما يرام ولكن ليس هذا ما تفكّر فيه بل في قصتك والهدف من وجودك هناك والوقت المحدود الذي لديك لإتمام الأمر. وعليك أن تعرف أنه لا يمكنك البقاء في مكان واحد أكثر من عشر دقائق. كما أن الفريق الذي تعمل معه في منطقة نزاع، بالغ الأهمية، لذلك إن لم تكن مرتاحاً مع من يرافقونك، لا تذهب. فأعضاء الفريق الواحد يجب أن يفهموا بعضهم من دون كلام، ويجب أن يتصرفوا

بسرعة وأن يعرفوا جيداً ما الذي يفعلونه. ونصيحة: لا تثق بمن يقول لك "تعال أريد أن أريك شيئاً"، بل يجب أن تفكّر مئات المرات وأن تكون مدركاً تماماً لما يجري من حولك.

كنت أراهم (الصحافيين الشباب) يدخلون سوريا دون أي شيء، ويثقون بأي كان من دون حتى أن يفهموا اللغة، كل ذلك لأنهم يريدون القصة الصحافية. يعتقدون أنهم سيحققون انطلاقتهم الصحافية لمجرّد أنهم غطوا الحرب في سوريا. ولكن الأمر أكثر تعقيداً من ذلك. فإن لم تضع القصة في السياق الصحيح، فلن تنصف الصحافة ولن تنصف الناس، والأهم من كل ذلك أنك ستعرّض سلامتك وأمنك للخطر. رأيتهم يحملون حقائب ظهر ويسيرون على نحو غير مسؤول. ولكن الواقع أنّك تحتاج إلى مساندة وتحتاج إلى مؤسسة تسندك. فتغطية الحرب ليست أمراً سهلاً لأنها كما سبق وقلت: ليست "مقتل عشرة أشخاص وتدمير منزل". الصورة أكبر من ذلك بكثير. ثمة أزمة سياسية وراء كل ذلك، ثمة سياسات تحرّك كل ذلك كما هناك في المقابل سياسات تحاول إيجاد حلّ. إن لم تكن مدركاً لكل ذلك، فلن تعدّ قصة صحافية صحيحة.

التعامل مع الصدمة

عواد جمعة: كيف يحمي الصحافيون أنفسهم من الصدمة النفسية في مثل هذه الأوضاع؟

زينة خضر: يتحدثون إلى أنفسهم.
قد تعتبر الأحاديث العادية، سطحية ولكنّ عليك أن تتقبل هذا العالم لأن الآخرين لا يرون ما تراه.
استغرقت شهراً كي لا أتوتّر في كل مرة أسمع صوت طائرة وبعدها تجاوزت الأمر. رأيت الجثث الثمانين (التي عثر عليها في النهر) بينها جثة لفتى في الثانية عشر من العمر. وحين عدنا إلى المنزل الآمن، كانت تفوح من ملابسي رائحة الموتى. لم أنم في تلك الليلة إطلاقاً. لم تبارح وجوه أولئك الناس خاطري ولكن بعد يومين أو ثلاثة، سوف تتشاور

مع نفسك وتقرر الاستمرار. أقصد أنك تتصالح مع نفسك والحقائق من حولك. لا أحاول أن أكون عديمة الإحساس هنا، فأنا شخص حساس جداً ولكن يجب أن تقول لنفسك: "هذا عملي، وأنا أفعل ذلك لسبب ما".
حين ذهبت لأول مرة إلى مدينة حلب خلال الاشتباكات، كنا على الجبهة وسمح لنا مقاتلو المعارضة التقدّم شارعاً إلى الأمام. جلست هناك وفكرت بالأمر لدقيقة. ثم قلت لا، المشهد في هذا الشارع لا يختلف عن المشهد في الشارع الآخر، فما المختلف الذي سأحصل عليه؟ لذلك رفضت البقاء وبدأ الجميع يضحكون عليّ ويقولون إنّي خائفة لأني امرأة. ولكنّي لم أسمح لهم بإحراجي وأوضحت لهم أن اللقطة في هذا الشارع هي نفسها في الشارع الآخر ولكن الفرق أني في هذا الشارع قد أقتل على يد قنّاص. أما في الشارع الآخر فسأحصل على قصّتي الصحافية وأطلع العالم عليها ثم أعود إلى بيتي.

لا تحسد الإدارة على موقفها لأنه صعب جداً فهي مسؤولة عن سلامة وأمن موظفيها. لذلك من الطبيعي أن تحاول ثنيك عن الذهاب حين تشعر أنه يشكّل خطراً عليك. ولكن نصيحتي هي أن تصغي الإدارة إلى الفريق الميداني لا سيما إذا كان خبيراً في أوضاع مماثلة. فصحيح أن بعض الموظفين يقومون بمخاطرات للأسباب الخاطئة سواء لإثبات جدارتهم أو لكي يتم تصويرهم أثناء نجاتهم من رصاصة، إلاّ أن البعض الآخر يفعلون ذلك من أجل القصة الصحافية. وأنا واثقة من أنّ الإدارة قادرة على التمييز بين الفئتين. كما على الإدارة أيضاً السماح لموظفيها باختيار الفريق الذي يفضلون العمل ضمنه في المناطق الخطرة، فديناميكيات الفريق مهمة.

سأعطيك مثالاً. كنت في مصراتة في ليبيا خلال الثورة ولم يسمح لي بالمغادرة لتغطية الجبهة قرب سرت. أما سبب القرار فكان وجود تنظيم الدولة في المنطقة. غير أنّي غطّيت شمال العراق وراسلت من كركوك حيث كان تنظيم الدولة أيضاً. إذاً ما الذي يجعل مكاناً ما آمناً على عكس مكان آخر. أحياناً، تقف البيروقراطية حجر عثرة. فكركوك في الواقع أكثر خطورة لأنها مدينة لا تخضع لسيطرة جهة معيّنة، أما مصراتة

فكانت تسيطر عليها جهة واحدة في تلك الفترة. وحين تسيطر جهة واحدة على مدينة أو منطقة، يكون من الصعب حصول عمليات تسلل. أضف إلى ذلك أنّ لدينا خبرة في الدخول إلى الجبهات. نحن نعرف كيف نعمل وكم يمكننا البقاء وما هو أسوأ سيناريو. تختلف النزاعات عن بعضها البعض وهو ما ينسحب أيضاً على الجبهات. لذلك فإن أخذ تجارب وخبرة المراسلين المسؤولين في الاعتبار مهم جداً لا بل أساسي أثناء تقييم المخاطر.

عوّاد جمعة: إذاً يجب أن يعرف المرء إلى أين يذهب وأن يضمن أن يكون صوته مسموعاً. تصرّين على أنك تعرفين كم من الوقت يمكنك البقاء. هل يمكنك إعطاءنا فكرة تقريبية عن المدة القصوى التي يمكن للمرء قضاءها في مثل هذه الجبهات على اختلافها؟

زينة خضر: الأمر يعتمد على البلد. فعلى سبيل المثال، في شمال العراق لا يمكنك البقاء أكثر من 15 دقيقة. فإذا أدرك الطرف الآخر، مثل تنظيم الدولة، أن هناك فريق تصوير، فكن على ثقة تامّة بأنّه سيفكر في استهدافه وسيحتاج وقتاً للتحضير. لذلك أقول 15 دقيقة كحد أقصى قبل أن يكون عليك الخروج والابتعاد عن المكان. في سوريا لا يتعدّى الأمر 10 دقائق لأن الكثير من الناس مخبرين ليس على الجبهة فحسب بل في أي مكان تقصده. فحتى في حي واحد عليك أن تواصل التحرك وتغير موقعك كي لا تعطيهم الوقت الكافي ليتحضّروا إما لخطفك أو لاستهدافك.

أحمل معي أقل ما أحتاجه، طبعاً إضافة إلى سجائري وقهوتي. أسافر بأخف حمل ممكن وضمن فريق قليل العدد. فكلما كبُر الفرق تعاظم الخطر. ونحن فعلاً لدينا عادة سيئة بأن نشكّل فرقاً من أربعة إلى خمسة أشخاص. ولكنّ الحقيقة أنه من الأفضل أن يكون الفريق أقل عدداً. فالإخلاء ومراقبة بقية الفريق أسهل، والأهم القفز إلى السيارة إن احتاج الأمر مغادرة المكان. وأنتم بحاجة أكيدة للتواصل لأنه أساسي وإبقاء شخص من الفريق في الخلف تحسّباً لحصول أي مكروه.

فمثلاً في شمال العراق، يمكن لثلاثة أشخاص أن يبلغوا الكيلومتر الأخير قبل المكان الذي تريدون الوصول إليه وهم: المصوّر والمراسل والمرافق الأمني. أما الدليل والسائق فيبقيان في الخلف. فالعدد المتدنّي يسمح لكم بالعمل بشكل مستتر، إذ تتمكنون من تصوير ما تريدون ومن ثم تخرجون وتنسحبون من دون أن يراكم أحد. وفي اللحظة التي يراكم فيها العدو ويلاحظ وجود الكاميرا، فسيرغب بالتأكيد في أن يفتعل إشكالاً. كما أنك تحتاج إلى أشخاص يبقون في الخلف تحسباً لاضطرارك للاتصال أو للإخلاء. في الخلاصة، من الأفضل بكثير أن تبقي أشخاصاً على بعد كيلومتر أو اثنين خلفك.

زينة خضر وفريقها يسافرون في حافلة صغيرة أثناء رحلة في سوريا في العام 2013. الصورة من زينة خضر.

أن تكون مراسلاً مسؤولاً

خالد رمضان: ماذا عن الرقابة الذاتية؟ كأن تعتقدين أن قصّة ما ستلحق ضرراً أكثر مما ستدرّ فائدة. هل ستختارين تغطيتها؟

زينة خضر: كلما زادت خبرتك، كلما أدركت أكثر أن ما يبدو مثيراً قد لا يمثل ما يجري. أحياناً قد يحصل شيء ما أمام عينيك ولكنّه لا يمثل ما يجري، رغم أنه قصة صحافية عظيمة وصورة عظيمة أيضاً. وهنا عليك أن تتراجع خطوة إلى الخلف وتقول: "لا ليست هذه القصة الصحافية التي أريد إنجازها لأنه سيتم إخراجها من السياق". إن أعددت مثل هذه القصص سيعتقد الجميع أن هذا ما يجري، في الوقت الذي تكون القصة عن حادثة شخصية أو منعزلة مثلاً.

لا تخش من أن تطرح أي سؤال حتى لو بدا غبياً لأنه قد يعطيك الجواب الحقيقي. سأعطيك مثالاً. أنت صحافي شاب في إدومينيي، اليونان، لم تتابع مجريات القصة من البداية ولنقل أنك وجدت نفسك هناك فجأة بينما الناس يحاولون دفع السياج الحدودي للعبور تحت وابل من الرصاص المطاطي والغاز المسيل للدموع. فإن كنت صحافياً شاباً، يمكنك أن تتعامل مع هذا الموقف وكأنه حرب شاملة. ولكن عليك أن تطرح السؤال مئة مرة: "هل حدث ذلك من قبل؟" و"كم مرة؟". فأسئلة كهذه تضع ما تراه في سياق مناسب وإلاّ ستخاطر بالدخول وتسمع كلاماً مثل "غداً سيكون هناك تظاهرة كبيرة حيث سيسير الناس باتجاه الحدود". حينها تفكّر في قرارة نفسك: "عظيم! سيكون هذا العنوان الرئيسي غداً". أما إذا واصلت طرح الأسئلة، فستعرف حتماً أن ذلك حصل سابقاً. وستفكّر أن الناس يقومون بهذه التحركات كنوع من الضغط لإبقاء قصتهم تحت الأضواء. ومن ثم تتراجع خطوة إلى الخلف وتدرك أن القصة لن تكون العنوان الرئيسي في اليوم التالي لأنها حدث متكرر. عليك إذاً أن تطرح السؤال الغبي: هل حصل ذلك قبلاً؟ ما الذي حصل في المرة السابقة؟ ما حجم التظاهرة؟ هل يحاولون القيام بذلك من أجل سبب مختلف؟ لا تتردد في السؤال مهما بدا غبياً وواضحاً.

خالد رمضان: هل تتابعين تفاعل الناس مع تقاريرك على شبكات التواصل الاجتماعي؟

زينة خضر: نعم أتابع. بعض الناس يتصرفون بفظاظة ببساطة لأني

أعمل في الجزيرة. فمثلاً، قيل لي مرّة أن تنظيم الدولة يجب أن يأسرني ويفصل رأسي عن جسدي ويرفعه على عمود. في الوقت نفسه اتهمت بأني داعمة لجبهة "النصرة". والبعض اتهمني أيضاً بأني مناصرة للنظام. ولكن في الواقع أسعدني أن الجانبين ينتقدونني. لا يزعجني كل ذلك ولكنّي أحلله كثيراً لأني أرغب في أن أتعلّم فأنا ككائن بشري، أقترف الأخطاء.

عليك أن تكون صلباً. ففي المرة الأولى التي تقرأ مثل هذه التعليقات ستصاب بالذعر. ولكن بعد ساعة تهدأ وتقول: "ليقولوا ما يريدونه" لأن ثمة أشخاصاً آخرين يعلّقون ويشيدون بعملك أو يقولون لك أشياء جميلة. لذلك لا يجب أن تُستفزّ أو أن تدخل في نقاشات مع أحد، فلن تكسب أي شيء من هذا كله، لا شيء أبدا. وإذا اقترفت خطأ اعترف بذلك.

زينة والمصوّر المرافق لها فولكان مصطفى في طريق ضيق في سوريا يرتديان ملابس واقية. الصورة من زينة خضر.

الفصل الرابع

الحرب على عتبتكم: عن الصحافة والمناصرة

زينة إرحيم

يصرخ رجل في العقد الخامس من عمره "سلمية.. سلمية" في فيديو رديء التقط في عام 2011 [19]. يحاول بصراخه أن يغطّي على أزيز الرصاص، ولكن صوته المتهدّج لا يوقف إطلاق النار ولا تقدّم عناصر أمن النظام. يرفض الرجل التوقّف عن التصوير حين يدنوا منه العناصر حتى مسافة قريبة جداً ويهددونه ببندقية. ويصرخ بعدها: "العالم بدو يشوف اللي صار بمحافظة درعا، قوّصني، قوّصني!".

في بداية الثورة في العام 2011، ظنّ العديد من السوريين أنهم بإظهار الحقيقية القاسية للحرب في بلادهم سيلفتون نظر العالم ويقودون إلى تحقيق تغيير نحو الأفضل. دفعوا أثماناً شخصية باهظة ليكشفوا كيف كانت قوات النظام تطلق النار على المتظاهرين السلميين خلال الجنازات. ووثقوا بهواتفهم كيف عذبت قوات الأمن كل من كان يجرؤ على الانشقاق. كانت صرخة في الظلام، ومناشدة للمجتمع الدولي لمساعدتهم. وهذا الأمل الضئيل كان الدافع الأساسي للكثير من الطلاب والباعة العاديين والنجارين وغيرهم لكي يحملوا هواتفهم المحمولة ويوثقوا التجارب القاسية التي خاضوها على يد النظام السوري.

ولكن تغيّرت الأمور على مر السنين مع استمرار الحرب. فتلك الدوافع السامية التي جعلت الناشطين السياسيين يتحولون إلى ناشطين إعلاميين، لم تعد نفسها. وتغيّرت أيضاً الوسائط التي استخدموها في البداية ليخبروا قصص التعذيب والانتهاكات. وبالتالي تبدّلت نظرة الجمهور إلى هؤلاء

[19] فيديو على «يوتيوب» نشر في ١٥ آذار/مارس ٢٠١٤ على حساب «abnhoran» (ابن حوران):
https://www.youtube.com/watch?v=EbxodEgLUHU. تمّ الاطلاع عليه في ١٦ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

الناشطين، وأصبحت المخاطر التي تواجههم أشدّ بكثير. حتى أن بعض المبادئ الصحافية الرئيسية مثل الموضوعية أصبح لها تعريفات جديدة. أما الصحافيون المحليون، فأصبح عليهم وضع المزيد من الاعتبارات والمخاطر في الحسبان مقارنة بزملائهم الأجانب.

لم يعد "إخبار العالم" الحافز الأساسي لهؤلاء الناشطين. فقد كان هؤلاء، وأنا واحدة منهم، مستعدين للمخاطرة بحياتهم من أجل نقل خبر أو قصة. اتّسم هذا التفكير بشيء من السذاجة. وبالفعل لم نكن نعرف كثيراً في بداية الثورة عن أن العالم قادر على تجاهل معاناتنا مهما عظُمت. أما اليوم، فأدركنا هذه الحقيقة القاسية التي أصابتنا بخيبة أمل. في السابق كانت جلّ توقعاتنا تقوم على الأمل بأن يساعدنا المجتمع الدولي. ولكن هذا الأمل تحطّم كلياً. فالقادم من الأيام غيّر تفكيرنا وتوقعاتنا لا سيما بعد مجزرة الكيماوي التي ارتكبها النظام السوري في ضواحي دمشق في العام 2013. ففي ذلك اليوم قتل 1500 شخص بوحشية على يد النظام [20]. قادت تلك التجربة الكثيرين منّا إلى التشكيك في صواب ما كنّا نقوم به كناشطين إعلاميين. وسألنا أنفسنا: "لماذا نخاطر بحياتنا من أجل الصحافة؟". بصراحة، ما زلت حتى اليوم لا أعرف الإجابة.

[20] ما نعرفه عن الهجوم الكيميائي في سوريا» (Syria chemical attack, what we know) أخبار «بي بي سي»، ٢٤ أيلول/سبتمبر ٢٠١٣: http://www.bbc.com/news/world-middle-east-23927399. تم الاطلاع على الرابط في ١٧ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

كريم شاهين، «حوالي ١٥٠٠ شخص قتلوا في هجمات بالأسلحة الكيميائية» في سوريا (‹Almost 1,500 killed in Syria chemical weapons attacks›)، الغارديان، ١٤ آذار/مارس ٢٠١٦:

https://www.theguardian.com/world/2016/mar/14/syria-chemical-weapons-attacks-almost-1500-killed-report-united-nations. تمّ الاطلاع على الرابط في ١٧ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

جوبي واريك، «الولايات المتحدة: أكثر من ١٤٠٠ قتيل في هجوم سوري بالأسلحة الكيميائية» (More than 1,400 killed in Syrian chemical weapons attack, US says)، «واشنطن بوست»، ٣٠ آب/أغسطس ٢٠١٣:

https://www.washingtonpost.com/world/national-security/nearly-1500-killed-in-syrian-chemical-weapons-attack-us-says/2013/08/30/b2864662-1196-11e3-85b6-d27422650fd5_story.html. تمّ الاطلاع على الرابط في ١٧ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

«تقرير بعثة الأمم المتحدة للتحقيق في مزاعم استخدام الأسلحة الكيميائية في الجمهورية العربية السورية، بشأن الاستخدام المزعوم للأسلحة الكيميائية في منطقة الغوطة بدمشق في ٢١ آب/أغسطس ٢٠١٣»، مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، ١٦ أيلول/سبتمبر ٢٠١٣: http://www.un.org/ga/search/view_doc.asp?symbol=A/67/997، تمّ الاطلاع على الرابط في ١٧ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

بروفيسور آكي سيلستروم، د. موريتزيو باربيشي والسيد سكوت كيرنز: «بعثة الأمم المتحدة للتحقيق في مزاعم استخدام الأسلحة الكيميائية في الجمهورية العربية السورية»، مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، ١٣ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٣: http://www.un.org/ga/search/view_doc.asp?symbol=A/68/663. تمّ الاطلاع على الرابط في ١٧ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

«تقييم حكومي لاستخدام الحكومة السورية للأسلحة الكيميائية في ٢١ آب/أغسطس ٢٠١٣»، البيت الأبيض، مكتب الناطق الإعلامي، ٣٠ آب/أغسطس ٢٠١٣:

يعتبر كثير من الناشطين الإعلاميين، توثيق وتسجيل الأحداث الحالية واجباً ثورياً. وتلك الطريقة قد تكون الوحيدة التي يعرفون من خلالها فعل شيء تجاه شعبهم ووطنهم. فبعض الذين انتفضوا في البداية ووثقوا الثورة، ما زالوا يعملون كصحافيين داخل سوريا. فهذا ما يعرفونه والسبيل الوحيد أمامهم لكي يجنوا لقمة العيش. ولا يخلو الأمر من بعض من يبحثون عن الشهرة وهو أمر خطر في مناطق الحرب. لكن البعض الآخر يأملون بالمساهمة من خلال الصحافة في وقف تلاعب أصحاب النفوذ بالحقائق وإعادة كتابة التاريخ. فهم يرفضون انتشار رواية النظام للتاريخ.

من أبطال إلى استغلاليين شجعين

نتج التحوّل في دوافع الناشطين الإعلاميين من خيبات أملهم المتكررة في السنوات الخمسة الماضية وهو ما غيّر هؤلاء الشباب بشكل عميق. كذلك غيّر ذلك نظرة المجتمع إليهم.

في العام 2011، كان الناشطون الذين ينقلون أخبار المناطق الخاضعة لسيطرة النظام وكذلك مناطق الثوار، يعتبرون النافذة الوحيدة في هذا السجن الكبير المسمّى سوريا. في تلك المرحلة، خيّم الخوف على العلاقة بين الناشطين الإعلاميين ومصادرهم. فقد كان كل شخص يتحدث إلى الإعلام، الهدف الأول لقوات النظام. وإذا ما اعتقل فيمكن بسهولة أن يمضي بقية حياته في أحد الزنازين العديدة السرية التي يديرها أحد فروع الأمن التابعة للنظام.

ولكن مع احتدام الثورة وسيطرة قوات المعارضة على بعض المناطق، أصبح الناس أكثر استعداداً للكلام. فقد تنفّسوا الصعداء وأصبحوا أكثر راحة أثناء التعامل مع المؤسسات الإعلامية. وتحوّل الصحافيون إلى

https://www.whitehouse.gov/the-press-office/2013/08/30/government-assessment-syrian-government-s-use-chemical-weapons-august-21. تمّ الاطلاع على الرابط في ١٧ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

زعماء في أوساطهم. وكانت الصحافة بمثابة وسام شرف وعبارة "نحن ناشطون إعلاميون" كافية لعبور حواجز المعارضة مع تحية كبيرة من المقاتلين!

غير أن النظام بدأ يستخدم العنف المفرط ضد المدنيين أيضاً. ومع مرور السنين، تغيّرت مواقف شعبنا تجاه المواطنين الصحافيين. وتحوّل الصحافيون إلى هدف للعنف ليس فقط على أيدي قوات النظام بل أيضاً على أيدي الناس الذين سعى هؤلاء الصحافيين لمساعدتهم. وصرنا اليوم نرى الناشطين الإعلاميين يضربون أو يطلق عليهم الرصاص من قبل حشود غاضبة أثناء محاولتهم تصوير مجزرة أو آثار غارة. وأحياناً تتهم الحشود الناشطين بـ "استغلال بؤس الناس" للحصول على المال مقابل الصور "الدموية" التي يلتقطونها.

مقاتلون معارضون (إلى اليسار) يحملون أسلحتهم وحاجياتهم أثناء التحدث إلى جنود في الجيش السوري وذلك خلال إخلاء حي الوعر وسط حمص من المقاتلين وعائلاتهم، إثر اتفاق توصّل إليه مقاتلو المعارضة مع الجيش السوري، سوريا 21 أيار/مايو 2017. رويترز/عمر صناديقي.

ساء الوضع أكثر مع ظهور تنظيم "الدولة الإسلامية". وانتشر الخوف

وعمّ. وتماماً كما كان المواطنون الصحافيون الأهداف الأولى للنظام، كانوا كذلك لدى تنظيم الدولة. وأصبح خطف هؤلاء وابتزازهم وسلبهم وقتلهم حدثاً يومياً. والدرس الذي تعلّمناه بشق الأنفس كان أن "اللصوص يكسرون كاميرا المراقبة قبل تنفيذ عملية السرقة". بعبارة أخرى، كل من يوثق الجرائم يتحوّل تلقائياً إلى هدف. لذلك كانت هذه المجموعة الإجرامية تسارع كما النظام إلى ملاحقتنا أيضاً. والمفارقة أنه تبيّن أن لائحة الصحافيين المطلوبين لدى تنظيم الدولة التي تم تسريبها مطابقة للائحة النظام.

خلال هذه الأوقات المتقلبة والخطيرة، كان علينا اتخاذ إجراءات جديدة لحماية أنفسنا. وكان على الناشطين أن يتكيّفوا عبر تغيير الأدوات والعادات المستخدمة في نقل أخبار كل مرحلة من الثورة. وانتشرت كاميرات التجسس والكاميرات المتحركة. وبدأ الناشطون يستعملون أسماء مستعارة وحسابات مزيفة على منصات الإعلام الاجتماعي مثل فيسبوك وسكايب وتويتر. وكان المحتوى ينشر من دون أسماء أصحابه. فاستعمال أسماء حقيقية وكاميرات احترافية كان حكراً على القلّة من الصحافيين الذين أصبحوا مراسلين متعاقدين وصحافيين مستقلّين معتمدين لدى وسائل إعلام محلية وعربية ودولية.

وتمسّك الكثيرون بهوياتهم المزيفة وتحوّلوا إلى الصحافة المكتوبة لنقل قضايا حساسة ومثيرة للجدل. ووجدنا أنفسنا بين المطرقة والسندان، من جهة: مناطق حكم المجموعات المتشددة التي تفرض رقابة وقيوداً مشددة على حرية دخول الناس وتنقّلهم، والتي يعيش فيها الناس بخوف دائم لأنه لم يعد بإمكانهم التحدث بحرية. ومن الجهة الأخرى: معاقل النظام بكل ما تفرضه من قيود.

ولم يمرّ وقت طويل حتى تصدّرت سوريا لائحة الدول الأكثر دموية في العالم للصحافيين. ففي العام 2015، صنّفت لجنة حماية الصحافيين Committee to Protect Journalists (CPJ) سوريا كأخطر بلد يمكن للصحافيين العمل فيه [21]. لم يأت ذلك من فراغ فلدى الناشطين

[21] «الدول الأكثر دموية في العام ٢٠١٥»، لجنة حماية الصحافيين:https://cpj.org/killed/2015 ، تم الاطلاع على الرابط في ١٧ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

الإعلاميين السوريين لائحة طويلة من الصحافيين الذين تعرضوا للتعذيب والتشويه وإطلاق النار والاعتقال وحتى القتل. ومن بين هؤلاء الناشط حسن أزهري الذي عذّب حتى الموت على يد النظام [22]. كما قتلت قوات بشار الأسد العديد من الناشطين الإعلاميين والمدنيين بشكل عرضي في قصف بما يعرف بالبراميل المتفجرة. فباسل شحادة مثلاً قتل في حادثة مماثلة أثناء تأدية عمله [23]. ولم يسلم الناشطون من صواريخ الطائرات الروسية التي قتلت إحداها وسيم العدل [24]. وقتل تنظيم الدولة أيضاً صحافيين بسيارات مفخخة وخطف عبيدة بطل وأسامة حسن [25]. وما زال العديد من الصحافيين الذين خطفوا مفقودين حتى اليوم فيما قتل آخرون[26]. ولم يقتصر الخطر على الصحافيين على الأراضي السورية بل لحق بهم إلى الخارج حتى أن بعضهم اغتيل بكاتم صوت في بلد مجاور[27]. باختصار، كانت أي خطوة أو قرار خاطئ يتخذه الصحافي يتسبب بمقتله سواء كان ناشطاً إعلامياً أو صحافياً محلياً. لذلك كان على الصحافيين أن يفكّروا طويلاً وبشكل جدّي بمكان السكن المناسب

[22] «سوريا: حسن، موت تحت التعذيب في الرابعة والعشرين من العمر» (Syria: Hasan, death under torture at 24)، «أنسامد» ANSAmed:
http://www.ansamed.info/ansamed/en/news/nations/syria/2012/06/12/Syria-Hasan-death-torture-24_7023930.html ، تم الاطلاع على الرابط في ١٧ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

[23] كيلي ماكايرز، «مخرج الأفلام السوري المغدور قايض الدراسة بـ'الثورة'» (Slain Syrian Filmmaker Traded Study for 'Revolution')، الإذاعة الوطنية العامة National Public Radio، ٢٩ أيار/مايو ٢٠١٢:
http://www.npr.org/2012/05/29/153937342/student-helped-the-world-see-inside-a-ravaged-syria ، تم الاطلاع على الرابط في ١٧ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

[24] عمّار هامو وماريا نيلسون: «صحافيون سوريون يتكلّمون: نعمل في أخطر مكان في العالم» (Syrian journalists speak out: 'We are working in the most dangerous place in the world)، «سوريا مباشر» SYRIA:direct، ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٥: http://syriadirect.org/news/syrian-journalists-speak-out-%E2%80%9Cwe-are-working-in-the-most-dangerous-place-in-the-world%E2%80%9D ، تم الاطلاع على الرابط في ١٧ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

[25] جايسون ستيرن، «هجمات على أورينت نيوز تمثّل تهديدات جديدة في سوريا» (Attacks on Orient News illustrate Syria›s many threats)، لجنة حماية الصحافيين، ٣٠ تموز/يوليو ٢٠١٣:
https://cpj.org/blog/2013/07/attacks-on-orient-news-illustrate-syrias-many-thre.php. تم الاطلاع على الرابط في ١٧ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

[26] «مقتل الصحافي السوري خالد العيسى في هجوم بقنبلة»، «الجزيرة»، ٢٥ حزيران/يونيو ٢٠١٦:
http://www.aljazeera.com/news/2016/06/syrian-journalist-khaled-al-essa-dies-bomb-attack-160625033330015.html، تم الاطلاع على الرابط في ١٧ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

[27] «إطلاق النار على الصحافي السوري ناجي الجرف في غازي عنتاب، تركيا ومقتله» (Syrian journalist Naji Jerf shot dead in Gaziantep, Turkey): لجنة حماية الصحافيين، ٢٧ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٥:
https://cpj.org/2015/12/syrian-journalist-naji-jerf-shot-dead-in-gaziantep.php، تم الاطلاع على الرابط في ١٧ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

وبالجهة أو الأشخاص الذين يعملون معهم وبالقصص التي ينقلوها. ومع تزايد المخاطر ارتفع عدد الضحايا في صفوف الصحافيين في سوريا حتى بلغ في نهاية العام 2016 وفقاً لإحصاءات لجنة حماية الصحافيين 107 منذ العام 2011 [28].

المحليون مقابل الدوليين، النشطاء الإعلاميون مقابل الصحافيين Local vs International

رغم التضحيات التي بذلها من يسمّيهم كثيرون "الناشطون الإعلاميون السوريون"، ما زال هؤلاء يتعرضون لمعاملة غير عادلة. كما أن غالبية المؤسسات الإعلامية الدولية إن لم يكن جميعها، لا تعتبرهم صحافيين فعليين. أما مبرر ذلك فهو أنهم غير "موضوعيين" و"منحازين". ولكن ماذا يعني "موضوعي" في السياق السوري؟ هل يعني منح صوت لمجرم حرب ولنشر البروباغندا الخاصة به وإتاحة الفرصة لنظامه لتبرير قصف المناطق المدنية والمدارس والمستشفيات؟ لا أعتقد أن هيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي" مثلاً كانت ستبقى حيادية لو قاد هتلر عصرنا حصاراً على بلدها أو على بلد مجاور.

كيف يمكنك أن تكون "حياديا" إذا كنت تعيش في ظل نظام يعتبر قول الحقيقة جريمة يعاقب صاحبها بأي طريقة يراها النظام ضرورية كأن تُكسر عظامك أو تخنق أو تطفأ سجائر في جفونك أو تتعرّض لأصناف "مبتكرة" أخرى من التعذيب. لنتخيّل مثلاً ما قد يحدث لصحافي غربي إن حاول أن يكون حيادياً لدى إعداد تقارير عن تنظيم الدولة. ما الذي سيحصل إذا شعر أنه مضطر لأخذ تصريح من أبو بكر البغدادي الذي نصّبه تنظيم الدولة خليفة له ليقيم توازناً في تقريره مع "ادعاءات" و"اتهامات" ضحاياه؟

أعتقد أن شروط الموضوعية والحياد يمكن أن تتحقق عند تغطية أزمة

[28] لجنة حماية الصحافيين، الصحافيون القتلى، حسب السنة وبالبلد: https://cpj.org/killed/، تم الاطلاع على الرابط في ١٥ أيار/مايو ٢٠١٧.

سياسية بين طرفين أو تغييرات اقتصادية أو قضايا اجتماعية... إلخ. ولكن لا يمكن تطبيق هذه المعايير بالطريقة ذاتها حين يكون لديك طاغية يتبجّح بقتل قواته للأطفال وهم على مقاعد الدراسة. على العكس من ذلك، أرى أن الانحياز تجاه الإنسانية وحقوق الإنسان ليس أمراً مخجلاً، بل إنها جوهر الصحافة برأيي.

لا يقتصر السجال بين الصحافيين المحليين في مناطق النزاع وزملائهم الدوليين على التعريف النظري لبعض المفاهيم. فالصحافيون الأجانب غير مضطرين لبذل الكثير من الجهد لاكتساب المصداقية في عيون الإعلام الدولي وبإمكانهم السفر بحرية. وحين يحتاجون إلى مساعدة، سيجدون سفاراتهم سنداً لهم. أما الصحافيون المحليون فوضعهم مختلف تماماً فهم مستهدفون بشكل خاص من حكومتهم لأنهم صحافيون.

كصحافي محلي يغطّي الحرب، ليس لديك ترف ترك مسافة بينك وبين الناس الذين تنقل قصصهم. الأمر ينسحب أيضاً على مصادرك. فالمصادر التي تنقل عنها والقتلى الذين ترد حصيلتهم في الأخبار ليسوا بعيدين عنك أو غير مألوفين. فهم رفاق صفّك وأقاربك وشبان وفتيات عرفتهم أيام الدراسة الثانوية. هم أصدقاء أمضيت معهم ساعات تشاهدون برامج وأفلاماً على التلفزيون. هم أناس تذكرت معهم ماضيك وشاركتهم ذكريات قديمة حتى بزوغ الفجر. أنت إذاً جزء من القصة التي تنقلها، وكل جوانب حياتك اليومية فيها. في البداية، ستنتابك مشاعر عميقة من الألم والأسى، في كل مرة تغطّي قصة ما. ولكنّ رغم ذلك، ستتحرك غريزتك الإنسانية وآليات التكيّف في داخلك. وكي تتمكّن من الاستمرار بحياتك اليومية، تصبح في النهاية عديم الإحساس. وحين يأتيك خبر وفاة عمّك مثلاً تسأل "كيف مات؟" وحين يخبرونك أنه مات بالسرطان يخرج منك جواب سوريالي: "من الجيد أنه لم يتحوّل إلى أشلاء في انفجار صاروخ". هذه اللازمة أصبحت سائدة في حياتنا اليوم. صحيح أن الظروف تتغيّر، إلاّ أن أسلوب ردة الفعل لدينا أصبح نفسه اليوم.

أما في مجال الصحافة الاستقصائية وعلى خلاف الصحافيين الأجانب،

لا يمكنك أن "تحرق نفسك في سبيل سبق إخباري واحد" لأنه ليس هناك من مكان آمن تلجأ إليه حين تصبح مطلوباً من قبل مختلف المجموعات المتحاربة. ينطبق الأمر نفسه على مصادرك والناس الذين تجري معهم مقابلات لأنه ليس بإمكانهم أن يتواروا عن الأنظار. فإجراء تحقيقات استقصائية كبيرة هو بمثابة إصدار حكم إعدام بحقك. واستخدام التسجيلات السرية مثلاً أمر بالغ الخطورة. وكصحافي محلي، من الأفضل أن يكون لديك تأشيرة دخول وتذكرة سفر قبل مجرّد التفكير في كتابة أو نشر تقرير مهم يكشف حقيقة مثيرة للجدل يمكنها أن تسيء إلى أي من الفصائل المتحاربة في سوريا.

في الواقع، تخضع خطوات كل ناشط إعلامي في سوريا للمراقبة. لذلك عليك أن تنتبه إلى كل ما تنشره على المنصات الاجتماعية وأن تفكّر مرتين قبل نشر أي صورة على حسابك على فيسبوك. فكّر جيداً أيضاً بالأشخاص الذين تتحدث إليهم وما الذي تقوله لهم. أعر اهتماماً خاصاً لنشر أمور عن الأشخاص الذين يحبونك ويهتمّون لسلامتك. أنا دائماً أحثّ الجميع على التشاور مع أفراد عائلاتهم. وأطلب من زوجي مثلاً أن يقرأ كل ما أرغب في نشره سواء كان مقالة مثيرة للجدل أو منشوراً على فيسبوك. والهدف من ذلك هو ضمان ألاّ يضع ما أنشره أحدنا في موقف صعب. وبالطبع فإن هذه طريقة عمل مؤلمة للصحافيين المستقلين أصحاب الفكر الحر. ولكنّ يجب أن تكون شديد الحذر، فإن كنت تريد أن تبقى على قيد الحياة، لا يمكنك أبداً نشر كل القصص التي قد ترغب في نشرها. ودائما أنصح زملائي ممازحة بأن ينشئوا ملفاً آمناً على حاسوبهم يسمّونه "ينشر قريباً" يضمّ تلك القصص حتى يصبح من الآمن نشرها.

حين تندلع الحرب في بلدك: دليل عملي

الصحافة أداة أو ربما مهارة تجعلني قادرة على منح صوت للذين يريد الطغاة والتقاليد الدينية والأحكام المسبقة والمواقف التمييزية، إسكاتهم. إنها وسيط لنشر الوعي والدفاع عن حرية التعبير ومدّ الجسور بين

النـاس عـن طريـق إبقائهـم علـى اطّـلاع. إنهـا الشـغف والالتـزام تجـاه مـن ائتمنـوك علـى المعلومـات التـي أعطـوك إياهـا. وستكسـب ثقـة النـاس حيـن تتمتّـع بالشـجاعة لقـول الحقيقـة وبالتعاطـف مـع النـاس لتسترشـد بالمشـاعر الإنسـانية الحقيقيـة.

ينطـوي العمـل فـي مجـال الصحافـة فـي بلـدك الأم الـذي تمزّقـه الحـرب علـى أثمـان باهظـة مـن الناحيـة المهنيـة والعاطفيـة. فأنـت تتعـرض لإجهـاد عاطفـي هائـل. وحتـى لـو ظننـت أنـك قـادر علـى فصـل هـذه التحديـات علـى الـورق، لـن تنجـح فـي ذلـك فـي الواقـع. فعليـك أن تـوازن بيـن مختلـف هـذه الأمـور التـي يأخـذك كلّ منهـا فـي اتجـاه مختلـف فـي الوقـت نفسـه. وفـي هـذا الصـدد، أنهـي بعـدد مـن النصائـح العمليـة:

I. على الصعيد الشخصي:

• استعدّ لتقبّل احتمال أن تصبح أنت الخبر.

• استعدّ للتضحيـة بحرّيتـك الشـخصية مقابـل أن تكـون قـادراً علـى مواصلـة العمـل مـن داخـل البلـد، وهـذا يتضمّـن أن لا تقـول ولا تلبـس مـا تريـد.

• يجـب أن تتصالـح مـع حقيقـة أنـك سـتتكبد خسـائر علـى الصعيـد الشـخصي والاجتماعـي والمالـي. وذلـك سيسـاعدك فـي التحضيـر بشـكل أفضـل للآتـي.

• ادّخر بعض المال لتغطية تكاليف أمور غير متوقعة.

• تذكّـر أن عائلتـك وأقربـاءك وأصدقـاءك سـيكونون مسـتهدفين حيـن تنشـر الحقيقـة، وسـوف يُسـتخدمون كأدوات لابتـزازك.

• في زمن الحروب، قد يتحوّل التفاعل والتواصل مع الناس إلى خطر عليك.

- خلال التجمعات الاجتماعية والعائلية مثلاً، انتبه لكل ما تقوله ومن تتحدث إليه.

- لا تثق بأحد ولا تشارك معلومات شخصية عنك. باختصار: احمِ خصوصيتك.

- تنبّـه إلـى أنـك فـي أي لحظـة يمكـن أن ينتهـي بـك المطـاف علـى لائحـة مطلوبيـن لـدى ميليشيا مسلّحة.

- لا تسوّق لتقارير أو تقارير مثيرة للجدل تنشرها.
- فكّر مرتين بالنظرة التي لدى الغير إليك وإلى عائلتك. فمثلاً عدم ارتداء زوجتك أو والدتك للحجاب، قد يستخدم لتصنيفك على أنك "علماني" وكعدو لمجموعة متشددة.

• لا مفرّ من أن توصف بنعوت مثل "خائن" أو "عميل للحكومة" أو "جاسوس غربي".

II. على الصعيد المهني:

• ركّز على الجانب الإنساني للقصص. قد لا يضع ذلك قصتك على الصفحات الأولى لوسائل الإعلام الدولية لأن هذه الأخيرة عادة ما تبحث عن مواضيع مثيرة عن المتشددين، إلاّ أنه سيجعلك تكسب الثقة والتقدير وبعض الجوائز أيضاً.

• ملفاتك وصورك ورسائلك الإلكترونية وهواتفك المحمولة، سيف ذو حدين. لذلك عليك على الأقل أن تشارك في دورة تدريبية واحدة على الأقل في المبادئ الأساسية للأمن الرقمي [29].

• تنبّه إلى أنه لم يعد من وجود للحدود بين حياتك المهنية والشخصية. وقبل حتى أن تدرك ذلك، ستكون صفحاتك على المنصات الاجتماعية كلّها أخبار (معظمها حزين)، وسيصبح "أصدقاؤك" مصادر.

• احصل على تأمين صحي، لأنه سيمنحك وعائلتك بعض السلام الداخلي. ونظراً إلى أن قلة من المؤسسات تمنح موظفيها المحليين تأميناً صحياً، احرص على البحث عن بدائل. فبعض المنظمات غير الحكومية التي تعنى بالصحافة تقدّم تأميناً صحياً مجانياً [30].

التعامل مع المصادر

• احمِ مصادرك عبر إخفاء هوياتها الحقيقية حتى إن أعطتك إذناً باستخدام أسمائها. فالناس لا يفكرون دائماً بعواقب ما يقولونه للصحافيين.

• كن حذراً أثناء إجراء مقابلات مع الناس. فالمدنيون الذين يعيشون في مناطق الحرب والذين فقدوا أفراداً من عائلاتهم، حساسون.

[29] https://twitter.com/Cyberarabs, https://www.facebook.com/cyber.arabs/, http://www.salamatech.org

[30] راجع «مراسلون بلا حدود» https://rsf.org.

• صغ أسئلتك بشكل مدروس لتفادي إلحاق الأذى بأي كان.

• خذ الوقت اللازم للاختلاط مع الناس قبل إجراء مقابلات معهم. واشرب فنجان القهوة أو الشاي الذي وضعوه أمامك قبل أن "تشهر" الميكروفون أو الكاميرا في وجوههم.

• اسأل الناس عن حياتهم. فبالنسبة إليك قد يكونون مجرّد قصة غير أنهم أشخاص حقيقيون لديهم حياة مليئة بالقصص. ويريدون أن يُسمع صوتهم.

• السكان المحليون هم أذناك وعيناك، وهم بمثابة "جوجل" و"تريب أدفايزر" Trip Advisor و"خرائط جوجل" معاً. عند خطوط التماس، اسألهم أين تجد طعاماً نظيفاً ومتاجر وطرقات آمنة وأفكاراً لتقارير ومستشفيات... إلخ.

التعامل مع المجموعات المسلحة والحواجز:

• أرسِ علاقات رسمية مع قادة مجموعات مسلحة.

• اضمن أن تحصل على موافقة الجهة التي تسيطر على المنطقة التي تعمل فيها. فهذه العلاقات ستشكّل مورداً قيّماً لك إذا واجهت متاعب.

• استشر السكان المحليين فباستطاعتهم إرشادك إن لم تكن واثقاً مما عليك قوله على حاجز تريد عبوره.

- اجمع معلومات قدر استطاعتك. فالناس قادرون على إخبارك إذا كان الحاجز تابعاً لمتشددين أو معتدلين أو لصوص أو عصابات أو غيرهم. كما أنهم قد يخبرونك ما إذا كان العناصر على الحاجز يستهدفون الإعلام أو أي شريحة أخرى من المجتمع.

- ادرس جيداً ما إذا كان آمناً لك أن تكشف هويتك كصحافي.

- حضّر رواية مقنعة إذا ادّعيت أنك مدني. مثلاً كنت في إحدى المرات على حاجز للنظام وادّعيت أنّي بلهاء لكي أتفادى أن يتحققوا من الكاميرا التي بحوزتي.

- على حواجز المتشددين التزمي الصمت ودعي زملاءك الذكور يمسكون زمام الأمور.

- على حواجز تنظيم الدولة، استعملي هوية مختلفة. فأنا مثلاً غالباً ما أستعمل هوية شقيقة أحد زملائي وأغطّي وجهي.

III. أن تكوني امرأة في منطقة حرب

• إن كنتِ امرأة، اتخذي احتياطات إضافية. فنحن نعيش في مجتمع ذكوري أحد تداعياته أن سلوك المرأة مراقب أكثر من الرجل.

• سيقلل الناس من احترامك ويتحدثون بالسوء عنك وعن عائلتك.

• كوني مستعدة للتعرّض لهجوم إذا تحدّيتِ المسلّمات الاجتماعية التقليدية فيما يتعلق بمعنى أن تكوني امرأة في المجتمع الذي تعيشين فيه وما المطلوب منك.

• كامرأة، يجب أن تكوني خجولة، حسب التقاليد. ويتم تشجيعك على عدم الكلام في مواضيع جريئة أو عن تقاليد مشددة.

• احمِ صورك الشخصية ولا تشاركيها مع أحد فقد تستخدم ضدك لتشويه سمعتك.

VI. العناية العقلية والعاطفية

• اضمن أن تكون المساعدة النفسية متاحة لك لأنك من المرجح أن تحتاجها. إنها حاجة طبيعية وصحية بالكامل. فستواجه تقلّبات وستشكك أحياناً في خيارك بالبقاء في بلدك والعمل فيه بينما معظم الناس هربوا. ستشعر أحياناً باليأس والعجز.

• خذ قسطاً من الراحة. لا تفكّر لبضعة أيام.

• حافظ على هواياتك. فالموسيقى والرقص والرياضة لديها أثر كالسحر.

• حاول أن تبقي لنفسك بعض المساحة الشخصية.

• سيعتمد الناس على مساعدتك لذلك اعرف حدودك ولا تعطِ عهوداً لا تستطيع الوفاء بها.

• حياتك أهم من أي قصة صحافية. ولا تستحق القصة أن تموت لأجلها.

• لا تدع الرغبة في الشهرة تتحكم بك. فمعظمنا نعمل في مناطق نزاع مثل سوريا بسبب شغفنا بالمهنة. لذلك نؤمن بالصحافة ودورها في تحويل العالم إلى مكان أقل فظاعة.

الفصل الخامس

التغطية الإخبارية في ظل الاحتلال في فلسطين

مقابلة مع تامر المسحال أجراها عوّاد جمعة

في جعبة تامر المسحال سنوات من الخبرة في تغطية مناطق الحروب. غطّى النزاع الفلسطيني الإسرائيلي بشكل مكثف لقناة "الجزيرة"، كما راسل "بي بي سي" في وقت سابق. بدأ متدرّباً وصعد السلّم في مسيرته المهنية إلى أن أصبح أحد الوجوه المعروفة في الشرق الأوسط. أقام المسحال معظم حياته في غزة حيث غطّى الحروب الإسرائيلية العديدة والتوغلات الكثيرة في القطاع، كما غطّى أخبار الحصار الذي تلا ذلك[31]. وغطّى أيضاً الحروب في سوريا وليبيا. واليوم يستقر المسحال في الدوحة حيث يخصص وقته للوثائقيات الاستقصائية. يحمل تامر درجة الماجستير في الصحافة الدولية من جامعة ويستمينستر في لندن.

تعتبر المسألة الفلسطينية الإسرائيلية التي تعدّ النزاع المركزي في الشرق الأوسط، أحد أكثر المواضيع متابعة من قبل الصحافيين. فالعديد من هؤلاء صنعوا أسماءً لهم عبر تغطية النزاع.

في المقابلة التالية، ارتأينا تسليط الضوء على التحديات التي تواجهها مهنة الصحافة تحت الضغط وفي ظل الاحتلال لأنها تختلف عن التحديات التي تواجه صحافة الحروب بشكل عام. فأنت كفلسطيني، قد تعيش وتموت أحياناً أثناء تغطية قضايا شعبك، بكل ما ينطوي عليه ذلك من تحديات وفرص.

---

[31] بلال الدبّور، «غزة، ألف ساعة من العزلة»، "Gaza: 100,000 hours of isolation"، الجزيرة، ١ شباط/فبراير ٢٠١٧. تم الاطّلاع على محتوى الرابط في ٩ تموز/يوليو ٢٠١٧:
http://www.aljazeera.com/indepth/features/2017/01/gaza-100000-hours-isolation-170131070726612.html

تامر المسحال يغطّي الحرب الإسرائيلية على غزة في العام 2014. الصورة من تامر المسحال.

عواد جمعة: لنبدأ بتاريخك الشخصي وتجربتك. ما هو أول عمل لك كصحافي؟

تامر المسحال: أعتبر قصتي الشخصية قصة إرادة وأمل وحلم بأن أتمكّن من تجاوز جميع الصعاب التي يواجهها مجتمعنا الفلسطيني. بدأت مسيرتي في الصحافة في العام 2000 كمتدرّب مع "بي بي سي" حين كنت طالباً في غزة. كان ذلك العام مفصلياً في التاريخ الفلسطيني إذ اندلعت فيه الانتفاضة الثانية [32]. انضممت في البداية كمتدرّب قبل أن أصبح مراسل إذاعة "بي بي سي" العربية في العام 2006. استغرقت ست سنوات لأنتقل من موقعي كمتدرّب إلى موقع مترجم ومن ثم منتج بدوام جزئي قبل أن أعيّن منتجاً بدوام كامل. وبعد سنوات من الجدّ والعمل، عُيّنت مراسلاً.

يمكن تشبيه قصة التدرّج إلى المراسَلة بقصة بناء منزل. ودائماً أقول إنّي تخرّجت مرّتين كصحافي، الأولى كطالب في جامعة غزة والثانية

[32] الجدول الزمني لانتفاضة الأقصى» Al-Aqsa Intifada timeline»، «بي بي سي»، ٢٤ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤. تم الاطلاع على الرابط في ٨ تموز/يوليو ٢٠١٧: http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/3677206.stm

كصحافي أعمل في "بي بي سي". خلال تلك الفترة غطّيت بعضاً من أصعب الأحداث في غزة، من الاجتياحات الإسرائيلية إلى الاغتيالات إلى الغارات بين عامي 2000 و2006. في آذار/مارس 2008، انتقلت إلى قناة "الجزيرة". ولم يمرّ الكثير من الوقت حتى اندلعت حرب في غزة. كان ذلك أكبر اختبار لي، إذ كان أمامي خياران: إما أن أنجح وأصبح مراسلاً جيداً أو أفشل. والحرب أطلقت مسيرتي كمراسل حربي في العالم العربي. وطيلة عقد من الزمن تقريباً لم أغطّ غزة فحسب بل النزاعات في سوريا وليبيا ومصر أيضاً.

تغطية الاحتلال في بلدك

عوّاد جمعة: أصبحت شديد الانخراط في قضايا غزة وتحوّلت إلى أحد أكثر الصحافيين العاملين هناك خبرة. كيف تقارب نزاعاً تعيش في ظلّه؟

تامر المسحال: يختلف الأمر عن مراسل زائر يأتي من بلد آخر ليغطّي الوضع في بلد أجنبي. فالتحديات كثيرة وثمة الكثير من الجوانب يجب التركيز عليها. أولاً أنت تغطّي قصص شعبك أي قصص أشقائك وشقيقاتك وجيرانك وأصدقائك. بالتالي فإن الواقع الإنساني يعدّ جانباً بالغ الأهمية. ثانياً كفلسطيني، هذه قضيتك لذلك لا يمكنك أن تعزل نفسك عن قيمك الأساسية ومعتقداتك. فقبل أن تكون صحافياً، أنت فلسطيني وإنسان. أنت لاجئ من عائلة لاجئة. أنت عالق تحت الاحتلال وتعاني منه.

في طفولتي كنّا دائماً نسمع عن منع تجوّل يفرضه الإسرائيليون وعن عدم القدرة على الذهاب إلى المدرسة وعن هجمات إسرائيلية على المنازل وغير ذلك. أنت جزء من كل ما يدور من حولك. اعتقل الإسرائيليون العديد من جيراني وأصدقائي وإخوتي وحتى أنا وقعت في قبضتهم. أوقفني الجنود الإسرائيليون عدة مرات. بالنتيجة، أنت تأتي من هذه الخلفية التي تشكّل أساس أفكارك وتصرفاتك اليومية، ومن ثم يأتي موقفك المهني. فصحيح أنك جزء من "القضية" بحكم أنّك تعيش هنا، إلاّ أن عليك أن تقيم توازناً مع مهنيّتك. فالعمل الصحافي يحتّم عليك أن تضع

مسافة بينك وبين مواضيعك أكثر من أي وظيفة أو مهنة أخرى. فأنت لست سياسياً ولا ممثلاً عن شعبك بل أنت إعلامي مهني يغطّي قضيته الخاصة وقضية شعبه. والمعايير المهنية أدوات بالغة الأهمية إلى جانب نزاهتك. لذلك، رغم التحديات، يجب عليك أن تتمسّك بهذه المعايير. فحين تغطّي حرباً ما، قد يكون أصدقاؤك وجيرانك وأقرباؤك بين القتلى.

تامر المسحال على أحد الطرق في لبنان أثناء تصوير فيلم وثائقي عن أحداث عبرا. الصورة من "الجزيرة".

عوّاد جمعة: هل يمكنك إعطاء مثال على ذلك؟

تامر المسحال: في العام 2008، تعرّض منزل أحد أصدقائي المقرّبين لهجوم وكان صحافياً يدعى علاء مرتجى يعمل مع إذاعة محلية. أصيب علاء وأمّه بجروح بالغة. توجّهت لتغطّية القصة، أولاً لأنّ الهجوم استهدف صحافياً وثانياً لأن المستهدف صديقي. ذهبت إلى المستشفى وغطّيت الحدث على الهواء مباشرة. وأثناء ذلك توفّي صديقي وبترت ساق أمّه. تخيّل أن تجد نفسك في هذا الوضع الصعب حيث عليك أن تغطّي قصة صديقك وأن تكون أوّل من يعلن وفاته. في تلك اللحظة لم تكن عائلته أو أصدقاؤه يعرفون أنه أصيب وفارق الحياة.

في مناسبة أخرى، تلقّيت اتّصالاً يبلغني أن قريبي تعرّض لهجوم. كنت في ذلك اليوم أغطّي قصة أخرى وانتهى بي الأمر لأن أوقف عملي

وأترك كل شيء لأحضر جنازته. يحدث ذلك كثيراً لنا وعليك أن تتحدّى نفسك لتحافظ على المسار المهني رغم الضغط النفسي والاجتماعي.

أنا تامر، أنا فلسطيني، أعيش هنا، أدعم القضية وأشكّل جزءاً منها. في هذه الحالة لن تفكّر في طموحاتك فحسب بل في طموحات شعبك أيضاً. فأنت تريد أن تعيش كإنسان حر وأن يكون بلدك مستقلاً تماماً كالآخرين. وهذا لا يتعارض مع معاييرنا المهنية. أقول ذلك من تجربتي في دول ومناطق مختلفة لا سيّما غزة، إذ عليك أن تتقبّل أنّك إنسان أولاً. إن كنت مناصراً للإنسانية ولحاجات الناس وحقوقهم كبشر، بإمكانك أن تغطّي قصصاً إنسانية. أما إذا عزلت نفسك فستصبح مجرّد أداة. إن فهم هذه الحاجات الإنسانية له الأفضلية على كل شيء آخر.

مواكبة السياسات التحريرية والأبعاد الأخلاقية للمراسَلة المهنية

عوّاد جمعة: كيف كان رد فعل وسائل إعلام دولية مثل "بي بي سي" على فكرة أن يغطّي فلسطيني في غزة هذه القصص؟

تامر المسحال: أنت تتحدث عن السياسات التحريرية؛ ليست خطوطاً حمراء. عليك أن تفهم حاجات المكان الذي تعمل فيه وسياسته التحريرية. سأعطيك مثالاً على ذلك: حين كنت أعمل في "بي بي سي"، كنا نسمّي الفلسطيني الذي يفجّر نفسه "انتحارياً" وهذا تعبير له دلالات سلبيّة في غزة. فالأثر النفسي الذي يتركه على الفلسطينيين الذين لا يوافقون عليه، هو ما يجعله مهماً. وقد يغضب الناس لأنهم لا يعتبرون هؤلاء "انتحاريين" بل "مقاتلين من أجل الحرية". ولكن رغم ذلك لا يمكنك أن تعارض السياسة التحريرية لقناتك. وفي الوقت نفسه، لا يمكنك أن تذهب إلى جنازة وتقول للناس بالعربية: "أنا هنا مع والد الانتحاري". سيهاجمونك بالتأكيد. إذاً ما الحل؟ يجب أن تكون دقيقاً.

سأعطيك مثالاً آخر: في إحدى المرات كنت في منزل عائلة فلسطيني فجّر نفسه بمجمّع عسكري. لم أكن أريد معارضة السياسة التحريرية

لمؤسستي، ولكنّي كنت مدركاً لخصوصية الظرف الذي كنت فيه. لذلك أجريت مقابلة مع الوالد ووصفت العملية من دون أي نعوت يمكن أن يكون لديها أي دلالات سلبية لدى العائلة. قلت: "معي الآن والد الفلسطيني الذي فجّر نفسه" أي أشرت إلى نوع العملية من دون إضافة أوصاف أو الحكم عليها، وبذلك أبعدت نفسي عن السجال. فثقة الناس هي الجانب الأهم والقاعدة الأساسية لأن تكون مراسلاً في أي بلد. إذا مددت جسر ثقة مع الناس فستحصل على مصادر موثوقة وسيتحسّن عملك كصحافي خطوة بخطوة. أما إذا خسرت ثقتهم لأنك لا تفهم السياق الثقافي وحاجات الناس والبيئة التي تعمل فيها، فستضع مسيرتك المهنية في خطر.

عوّاد جمعة: أين ترسم الخط الفاصل بين الشخصي والمهني؟

تامر المسحال: هذا الخط ليس خطاً واضحاً ولكن مررت بأوقات تساءلت إذا كان من الأفضل أن أغطّي خطاً إخبارياً أقرب إليّ. حين فارق صديقي الصحافي الذي ذكرته سابقاً الحياة كنت في بث مباشر من المستشفى. وحين انتقل المذيع إلى زميلي في القدس، جاء الطبيب وأبلغني بأن صديقي توفّي. كان عليّ أن أتخذ قراراً فورياً سواء بأن أبلغ المركز الرئيسي بوفاته أو بأن أنقله على الهواء. حينها قلت لنفسي أن الصحافي لا يختار الأخبار التي يغطّيها وعليه أن يغطّي القصة لأنّ مسؤوليته تقوم على إطلاع الناس على آخر الأخبار وأن يقول الحقيقة.

عوّاد جمعة: ثمة تقليد في وسائل الإعلام الغربية بعدم ذكر أسماء القتلى قبل إبلاغ عائلاتهم. كيف تعاملت مع هذا الجانب في غزة حيث يمكن أن تعرف الخبر قبل العائلة؟ هل تخرج على الهواء وتنقل أسماء القتلى أم تنتظر حتى تعرف عائلاتهم؟

تامر المسحال: للأسف ليس لدينا مثل هذه المعايير في العالم العربي. من وجهة نظر قانونية لا يوجد قوانين واضحة تحكم ذلك. أما من وجهة نظر إنسانية، يمكنني أن أفهم لماذا قد يكون ذلك إشكالياً. ولكن من منظار شخصي أفضّل أن تعرف العائلة أولاً لأن مشاهدة الخبر مباشرة

سيشكّل صدمة لها. ولكن في تلك الحالة (في إشارة إلى حالة الصحافي علاء مرتجى الآنف ذكره)، للأسف كانت الحرب دائرة ولم يكن هناك اتصال بالإنترنت وكانت خطوط الهاتف مقطوعة، لذلك فإن الوضع الذي أنت فيه لا يسمح لك عملياً أن تقوم بالأمور بالطريقة التي ترغب بها.

تامر المسحال أثناء تصوير إحدى حلقات البرنامج الاستقصائي "ما خفي أعظم" على قناة الجزيرة. الصورة من الجزيرة.

كصحافيين، نحاول قدر المستطاع أن نعمل وفق أعلى المعايير الأخلاقية لأن الإعلام قبل أن يكون مهنة، هو مرتبط بالفهم الإنساني والأخلاقيات والقانون. لا يمكنك أن تكون فوق كل هذه الأمور. فخلال الحرب وفي ظل الحصار والانتهاكات التي لا يحرّك أحد ساكناً حيالها، عليك أن تقوم بعملك. خلال الحروب يطلب من الصحافيين البحث في آلاف الحوادث يومياً لذلك لدينا مسؤولية أن نخبر قصص الناس.

أرغب في التركيز على أمر مهم وهو أن القصة وتجربتك يأتيان في المقام الأول. سأعطيك مثالاً على ذلك: في حروب غزة، لطالما عانينا تداعيات رؤية الآلاف من صور ومقاطع فيديو القتلى. ستعلّمك التجربة

ما الذي يتوافق مع بعض المعايير الأخلاقية وقوانين البث. كما ستوجّهك المعرفة المتراكمة خلال عملية الاختيار الصعبة.

عوّاد جمعة: تذكر عبارات مهني ومعايير مهنية كثيراً. كيف تعرّف المراسل المهني في منطقة حرب؟

تامر المسحال: تقتضي المهنية بأن تعطي الحدث بعده الحقيقي من دون المبالغة في تصويره ومن دون التقليل من شأنه. فأنت لست قاضياً بل ناقل لقصة صحافية. تجمع الأدلّة والعناصر الضرورية التي تدعم قصتك. في الحرب الأخيرة في غزة، اتخذنا قراراً مهماً. قلنا لأنفسنا إننا في حرب لذلك نتفهّم أن يشكك الكثيرون في مصداقية الأخبار التلفزيونية في العالم العربي. أثيرت أسئلة حول مدى مصداقية مقاطع مصوّرة أو ما إذا كان الصحافيون ينقلون بشكل صادق أحداث غزة. لذلك قررنا أن نبث معظم تغطية "الجزيرة" بشكل حي من دون أي تدخّل أو تحرير، لندع القصة تنكشف.

عوّاد جمعة: كيف تعاملت مع المشاعر التي انتابتك لدى وفاة صديقك الصحافي حين كنت على الهواء؟

تامر المسحال: أكذب إن قلت أنّي لم أبك. ففي النهاية أنا إنسان، أنا زوج ووالد لأطفال، وأنا صحافي فلسطيني أعمل لصالح "الجزيرة". ودائماً يجد الصحافيون أصحاب القضايا الإرادة والتصميم للقيام بعملهم على أحسن ما يرام لأنهم دائماً يشعرون أن هناك أمر يجب أن ينجزوه. في تلك الحادثة، تأثرت شخصياً ولكن نحن دائماً نحاول بقدر استطاعتنا ألاّ نصبح نحن الحدث. هذا تحدٍّ آخر. ولم تقضِ مهمتي بأن أكون أنا الحدث أو الخبر بل أن أنقله. لهذا نتّخذ كل الإجراءات الأمنية ليس فقط من أجل سلامتنا. فلو كنّا نحن الحدث، لكان الحدث الذي نريد تغطيته قد تلاشى. في الخلاصة إن الحدث الإخباري أهم من قصتك الشخصية.

كيف تحمي نفسك في الميدان؟

عوّاد جمعة: كيف تحافظ على سلامتك؟ ما هي الإجراءات التي يجب اتخاذها أثناء تغطية حرب؟ هل يمكنك إعطاؤنا أمثلة؟

تامر المسحال: التجربة والخبرة مهمتان جداً لأنك حين تصبح خبيراً في التغطية الإعلامية في نطاق محدد فستكون أنت أفضل مستشار لنفسك. ثانياً تأتي المصادر، إذ يجب أن يكون لديك مصادر ذات مصداقية. فالسلامة ليست فقط ارتداء سترة واقية من الرصاص وخوذة، وأدوات أمنية أخرى. ولكن رغم أهمية هذه الأمور والحاجة العظيمة لها، إلاّ أن أفضل أدوات الحماية هي المصادر التي تملكها والثقة التي تكتسبها. فهي ستعطيك المعلومات الصحيحة وتخبرك بمدى خطورة المكان الذي تقصده. وبالفعل قضى الكثير من الصحافيين الذين عرفتهم لأنهم للأسف اعتمدوا على مصادر سيئة أو ضعيفة. فالمعلومات الخاطئة أو الاستقصاء السيئ يمكن بسهولة أن تضعك في موقف صعب لست مستعداً له.

لا يمكن الاستخفاف بالإجراءات والأدوات الأمنية الأساسية كما يفعل كثيرون. فعلى المحررين والمدراء أن يضمنوا ارتداء الموظفين الملابس الواقية المناسبة. فأنا لا أتخيّل شخصاً يغطي منطقة حرب أو معركة أو تبادلاً لإطلاق النار من دون سترة واقية وخوذة. ولكن المفارقة أنّي رأيت صحافيين يفعلون ذلك طوال الوقت. فحين تكون في الشارع ترتدي فقط ملابسك العادية، قد لا تخسر حياتك فقط بل قد تكون السبب في خسارة حياة آخرين. لا يمكنك أن تكون وسط معركة ولا تخشى على سلامتك. يمكنك أن تكون شجاعاً ولكنّ مناطق النزاعات ليست المكان الصحيح لإظهار شجاعتك. هذا تهور وليس شجاعة. فالشجاعة تكون بطريقة إعدادك للقصة والأماكن التي تصل إليها واللاعبين الذين تتحدث إليهم.

رابعاً، أنا لا أعتبر الصحافة حدثاً واحداً عليّ أن أغطّيه وأعود أدراجي. فأنا دائماً أفكّر في القصص التالية. أتطلّع لمواصلة القصة بطريقة ما. وحين أغطّي حدثاً لا أفكر فيه كحدث منفرد بل كجزء من سياق أوسع.

لذلك لن تقوم بمخاطرات غير ضرورية من أجل سبق صحافي. أضف إلى ذلك أنّي أؤمن بالقضاء والقدر، والقرآن يقول بشكل واضح إن المرء يحتاج لأن يعقل ويفكّر قبل أن يتصرّف، وألاّ يكون تابعاً أعمى بل أن يحمي نفسه ولا يلقي بها إلى التهلكة.

دور الصحافي في نقل أخبار الحرب

عوّاد جمعة: هل تشعر أن المراسَلة الصحافية تساعد في رسم معالم البيئة من حولك؟ هل يساعدك هذا النوع من الصحافة الحربية في توجيه القرارات السياسية أو الرأي العام في غزة وخارجها؟ أم أنك تشعر أن كل ذلك صراخ بلا صوت، أو أسوأ من ذلك: شكل من أشكال تلفزيون الواقع؟

تامر المسحال: لا أعتقد أن الإعلام هو صراخ بلا صوت. إذا قارنت الوعي لدى الناس بالقضية الفلسطينية وبما يجري في غزة اليوم، ستلاحظ فرقاً عمّا كان عليه قبل عقود. فمستوى الوعي أعلى بكثير. ستلمس الفرق أيضاً حين تسافر حول العالم. ليس هدفي إثارة الاحتجاجات السياسية أو الحصول على دعم سياسي. أنا المراسل، ومهمتي تقضي بنقل ما يحصل. وفي النهاية، يعود إلى الأمر إلى الناس إن رغبوا في الإصغاء أم لا.

سأشعر بالسعادة إن ساعدت قصتي في حشد الدعم الإنساني لشعبي أو حتى لفرد واحد. لا يمكنك أن تتخيّل مدى سعادتي خلال حرب 2009 في غزة حين تلقّيت اتصالاً هاتفياً في منتصف الليل من مكتب التحرير في الدوحة بقطر. كنت في اليوم السابق قد غطّيت قصة طفلين أحدهما أصيب بجروح حين استهدفت قذيفة مدفعية إسرائيلية منزله وفقد عينه، والثانية طفلة فقدت ساقيها. أخبرني المحرر أن وزير الصحة السعودي اتصل بقناتنا وأراد أن يُنقل الطفلان إلى مستشفى سعودي. كان ذلك في خضمّ الحرب. كذلك أعددت قصّة أخرى عن طفل فلسطيني ولد في غزة من دون أطراف وشوهدت حالته في الخارج وتبرّع بعض الأشخاص لنقله إلى السويد للعلاج.

هذه اللحظات هي التي تذكّرني بقيمة أن نكون صحافيين. فأنت لست الشخص الذي يقدّم الدعم ولا المتبرّع بل أنت الوسيط. ليس هذا هو الهدف إلاّ أنّه يظهر مدى أهمية ونجاح الإعلام والتقارير الإعلامية في رسم الخطاب العام.

طلبت من التحرير إرسالي لتغطية نزاعات أخرى وقلت لهم إنّي سأبلي حسناً لأن أفضل من يغطّي المعاناة في الصحافة هو الذي عانى أكثر من غيره. لا يتعلق الأمر بأن أكون الأول والثاني، بل بالتفهّم والتماهي. حين ذهبت إلى ليبيا وسوريا، استطعت أن أعبّر عن المعاناة رغم الاختلافات في السياق. فتغطيتي مثل هذه الأحداث لسنوات، سهّلت عليّ التواصل مع الناس والتماهي مع قصص معاناتهم. عرفت ما الذي يعني أن تخبرني أمّ أنها فقدت ابنها أو بأن ابنها سجن أو تعرّض للتعذيب. ستعرف الشعور لأنك مررت به. هذا أهم ما في تجربتك وخبرتك اللتين لا تقاسان بعدد القصص في رصيدك بل بالأجواء التي تعرّضت لها. تجربتك هي التي تصنعك.

سأعطيك مثالاً. خضت تجربة مفصلية في طفولتي حين تم اختياري لأكون لاعباً في أول فريق وطني فلسطيني رياضي يذهب إلى النروج في العام 1995. حصل ذلك بعد عام من تأسيس السلطة الوطنية الفلسطينية. وبما أن السلطة لم تكن بدأت إصدار جوازات سفر بعد، كنّا لا نزال كفلسطينيين نحمل في ذلك الوقت ببساطة وثائق صادرة عن قوات الاحتلال الإسرائيلي.

حاولت في ذلك الوقت قدر استطاعتي أن أتعلّم الإنجليزية. وكنت أفضل متحدث لها بين اللاعبين. وحين حصلت على وثيقة السفر صعقت بلونها البرتقالي. وحين قرأت التفاصيل والمعلومات المدرجة فيها لاحظت أن الاسم صحيح وتاريخ الميلاد ولكنّ الجنسية: "مجهولة". ما الذي يعنيه "مجهولة"؟ لم أستطع إيجاد أي معنى لها. وقلت في نفسي إني عضو في الفريق الوطني الفلسطيني وسألعب ضد فرق وطنية أخرى لديها وثائق وطنية بينما وثيقتي تشير إلى أنّي "مجهول الهوية". طيلة حياتك

تكبر على أنك فلسطيني ولكن وثائق التعريف عنك تقول شيئاً آخر. صدمت فعلاً. كانت تلك المرة الأولى التي أخرج فيها من غزة ولم يسبق لي أن سافرت من قبل ولا رأيت طائرة. وكنت في طريقي لأقابل أناساً مختلفين غير الغزّيين. كان كلّ شيء جديداً.

الصدمة الثانية كانت حين بدأت ألتقي بالناس هناك. كنت طفلاً في الثانية عشرة من عمري. وكانت محادثاتي تأخذ الشكل والمضمون التالي: "مرحباً، اسمي تامر المسحال، أنا قائد الفريق الفلسطيني".

"مرحبا، من أين أنت؟".
"فلسطين Palestine".
"ماذا؟ باكستان Pakistan؟".
"كلا، فلسطين".

لم يفهم الناس حين كنت أقول إنّي من فلسطين، لم يفهم أحد إطلاقاً. وفي ذلك الوقت بدأ هدفي يتحوّل من الفوز في المباراة إلى الدفاع عن هويتي وقضيتي الإنسانية. كان ذلك أول دافع لي لأصبح صحافياً. وبعد 15 عاماً حين ذهبت لتغطية الحرب في ليبيا وسوريا، بدأت أدرك أموراً أخرى. هناك يقولون إن الصحافة هي جنسية مجهولة. هذا صحيح فأنا لا أحتاج إلى جنسية لأغطّي ما يحدث في سوريا أو ليبيا أو أي مكان آخر. أصبحت جنسيتي هي إنسانيتي ومهنيّتي. أعتقد أن هذا هو الأهم: الإنسانية والمهنيّة. لا يمكنك أن تكون صحافياً إن لم تكن إنسانياً ولا يمكنك أن تقدّم صحافة إنسانية إن لم تكن مهنيّاً.

الصحافة لا جنسية لها. أنا أؤمن بقضيتي ولكن يسعدني رؤية زملائي من بلدان أخرى يأتون إلى فلسطين وغزة لتغطية الأحداث هنا. لست ممن يعتبرون أن على السوريين تغطية الأحداث في سوريا ولا الغزّيين في غزة ولا الدنماركيين في الدنمارك. أنت إنسان لذلك يمكنك أن تغطّي أي نزاع.

صحيح أن النظرة المحلّية مهمة ولكنّ التغطية من الخارج مهمة بالقدر نفسه. إن كنت فلسطينياً تغطّي أحداث غزة، هذا عظيم ولكن إن كنت شخصاً من خارج غزة يغطّي من منظار مختلف فهذا أفضل.

عوّاد جمعة: تحدثنا أيضاً عن مسؤولية المراسلين الحربيين التي تقوم على إخراج الرسالة إلى العالم. وقلت إن المراسلة من منطقة حرب مختلفة عن غيرها. فإن كنت تعيش في السويد ستختلف نظرتك إلى الأمور وتغطيتك؟

تامر المسحال: نحن نعيش في عالم غير مستقر. ففي غضون ساعة يمكن أن يتحوّل أفضل مكان إلى الأسوأ على الإطلاق. لذلك فإن الإعلام هو صوت الناس. والآن لا يكمن التحدّي الذي يواجه الصحافة في الصحافة نفسها بل بمن هو الصحافي.

ما تعريف الصحافي الآن؟ إذا نظرت إلى الإعلام الاجتماعي، ستسأل كم من الأشخاص الذين يكتبون هنا هم صحافيون فعليون؟ مثلاً غطّى ناشطون معظم أحداث الربيع العربي. ولكن هل هم صحافيون؟ اليوم على الصحافي أن يفكّر في "سناب تشات" ومنصات الاعلام الاجتماعي جميعها كوسائط أخرى لإعداد التقارير الإعلامية بالإضافة إلى الإعلام التقليدي كالتلفزيون والراديو. لذلك فهل كل شخص يعمل في ذلك الميدان هو صحافي أم لا؟ اليوم لم يعد بإمكاننا أن نقول إن هناك مجتمع واحد محدد من الصحافيين. فالصحافة هي الصحافة ولكن أدواتها تحسّنت كثيراً رغم أن الصحافي ومجتمع الصحافيين اليوم أقلّ تحديداً من قبل.

أعتقد أنّ أكبر تحدّ يواجهنا هو أن نواصل قول الحقيقة قدر استطاعتنا فالصحافة ليست ببساطة أن تكون أول من يطلع الناس على الحدث فأنا واثق من أن الناس على تويتر وفيسبوك أسرع من الصحافيين التقليديين. فصحافي تويتر مستعجل، لا يستعين بمحرر ولا يجري أي اتصالات إذ إن كل همّه أن يكون السبّاق. لذلك فإن التحدي يكمن في قول الحقيقة وتحديد السياق بدلاً من السرعة في نقل الخبر.

عوّاد جمعة: ما نصيحتك لشخص بدأ للتوّ في هذا المجال؟

تامر المسحال: لا يوجد بداية ونهاية للصحافة. فالصحافة عملية مستمرة. لذلك لا أعتقد أنّه يمكن للمرء أن يتخرّج من الصحافة. لا يمكنك أبداً أن تتوقف وتقول: أنا صحافي. فأنت دائماً تلميذ. ثانياً الصحافة عملية مرتبطة بعناصر أخرى وليست عملية معزولة.

الصحافة اليوم كأن تكون على متن قطار وتذكرتك تبقى صالحة فقط عبر تحديثها. فعليك أن تحدّث مصادرك دائماً وأن تواكب الإعلام الاجتماعي وأن تتواصل مع الآخرين. عليك أن تواصل التعلّم والإصغاء إلى تجارب الآخرين. وأخيراً، لا يمكنك أن تكون كل شيء وفي كل مكان. عليك أن تركّز على شيء يمكنك تحقيقه وتسعى إليه.

المشكلة لدى بعض الصحافيين أنّ كلّ همّهم أن يصبحوا مشهورين. وإذا نظرت إلى سجلّ المشاهير في الصحافة، ستلاحظ أنهم حصلوا على شهرة فورية إثر حادثة معيّنة أو حدث كبير قاموا بتغطيته. ولكن إذا أردت أن تكون جزءاً من هذا العالم من الصحافة فيجب أن يكون هدفك دائماً الحفاظ على النزاهة والمهنيّة والمصداقية.

الفصل السادس

تجارب صحافي محلي مستقل في اليمن

معتصم الهتاري

بعد سوريا، أصبح اليمن أحد أخطر البلدان للصحافيين. فبعد احتجاجات العام 2011 وإسقاط الرئيس علي عبد الله صالح، سيطر متمرّدو الحوثي على مدينة صنعاء في 21 أيلول/سبتمبر 2014، وأصبح الخطر المحدق بالصحافيين والإعلام أكبر من أي وقت مضى [33]. واستهدفت المجموعة المتمرّدة واعتقلت معظم الصحافيين الذين عارضوها. وأصبحت التهديدات بالقتل والهجمات الجسدية والاعتقالات والخطف، إضافة إلى القيود على الحرية، أموراً شائعة [34]. كذلك تعرضت العديد من قنوات التلفزة المحلية والدولية للمداهمة. ونتيجة لكل ذلك بالكاد تجد في اليمن في الوقت الراهن أي صحافي دولي.

[33] قتل منذ العام ٢٠١٠ في اليمن، ١٩ صحافياً (تم التأكّد من دوافع مقتل ١٧ منهم) و٣ من العاملين في الحقل الإعلامي. وفي الأعوام ٢٠١١ و٢٠١٥ و٢٠١٦ و٢٠١٧، ظهر اسم اليمن على لائحة لجنة حماية الصحافيين للدول الأخطر على حياة الصحافيين. الرابط من لجنة حماية الصحافيين» تم الاطّلاع عليه في ١١ تموز/يوليو ٢٠١٧:
https://www.cpj.org/killed/mideast/yemen

[34] تقرير من نقابة الصحافيين اليمنيين وثّق أكثر من ١٠٠ هجوم على صحافيين ومؤسسات إعلامية في النصف الأول من العام ٢٠١٦. «اليمن: نقابة الصحافيين ترصد أكثر من ١٠٠ انتهاك لحرية الصحافة» Yemen: YJS reports more than 100 press freedom violations، الاتحاد الدولي للصحافيين، ٢٠١٦. تمّ الاطلاع على الرابط في ١١ تموز/يوليو ٢٠١٧:
http://www.ifj.org/nc/news-single-view/backpid/1/article/yemeni-journalists-syndicate-launches-its-6months-report-and-observed-100-cases-of-violation-in-the/

محتجون في شوارع صنعاء، شباط/فبراير، 2011. الصورة من معتصم الهتاري.

قصتي لا تختلف عن قصص الكثير من الصحافيين المحليين سواء كانوا يمنيين أم سوريين أم عراقيين. جميعنا نتشارك المهنة نفسها في بلدان تمزّقها الحروب. كصحافي ومصوّر محلي مستقل، أغطّي الحرب اليمنية المستمرة في صنعاء ومأرب وتعز والحديدة لصالح العديد من القنوات التلفزيونية مثل "بي بي سي" والجزيرة. وغالباً ما أركّز في عملي على الأخبار لا سيّما من زاوية إنسانية [35]. وعلى الرغم من التحديات المستمرة، لعبت عوامل شديدة الخطورة ولا تزال دوراً مركزياً في طريقة ممارستي للصحافة لا بل أعادت تشكيلها.

ولعلّ أحد أصعب المواقف التي نواجهها في اليمن هو الانتقال من محافظة إلى أخرى. وللوصول إلى قصتك الصحافية، غالباً ما تضطر لتعريض نفسك للخطر. فصحيح أن اضطرارك لعبور الحواجز يمنحك وضوحاً في الرؤية ولكنّه يهدد سلامتك في النهاية بأكثر من معنى. ففي اليمن أنشأت الميليشيات معظم الحواجز وتسيطر عليها. وتعتقل تلك

[35] «يأس في شوارع اليمن وسط الحرب والفقر» Desperation on Yemen›s streets amid war and poverty، «بي بي سي»، ٢٧ حزيران/يونيو ٢٠١٥. تمّ الاطلاع على الرابط في ١١ تموز/يوليو ٢٠١٧: http://www.bbc.com/news/av/world-middle-east-33297659/desperation-on-yemen-s-streets-amid-war-and-poverty

المجموعات المسلحة بشكل منهجي الصحافيين الذين يعارضون أفكارها، كوسيلة لفرض رقابة عليهم.

صحافي محلّي محاط بقوات أمن أثناء تسجيله رسالة صحافية. الصورة من مؤسسة الحرية.

لقطة من فيلم، تظهر صحافياً يقتاده مسلّحون مقنّعون بعيداً. صوّر الفيلم لصالح مؤسسة "الحرية" حول حرية الصحافة في اليمن في العام 2013. الصورة من "مؤسسة الحرية".

لقطة من فيديو صوّره معتصم الهتاري للحظات التي تلت تفجيراً في صنعاء خلال الحرب.

توجهت إلى صنعاء في صباح أحد الأيام لتغطية الظروف الحياتية للناس الذين يعاني معظمهم من مطالب الاحتلال. قبل منتصف النهار كنت متّجهاً مشياً نحو البيت حاملاً معدّاتي، ومررت بمجموعة مسلّحين تابعين للحوثي. فأوقفوني وبدأوا إرهاقي بالأسئلة وتخلل ذلك صراخ بين الحين والآخر من أحد الرجال. «ماذا تصوّر؟ أرنا آخر صورة التقطتها! أطفئ الكاميرا ولا تلمسها!» فعلت كل ما طلبوه منّي.

في لحظة معيّنة، أمروني بأن أصعد في سيارة قائلين إنّهم سيأخذونني إلى مركز الشرطة. استمرّت العدوانية بلا هوادة: «أنت خائن! أنت تعمل لصالح الجزيرة أو العربية. من الأفضل لك أن تعترف بذلك!». فالعمل مع وسائل إعلام كهذه يعتبر عملياً جريمة بالنسبة للحوثيين والمجموعات المتمردة التي تدعمهم. ويعود ذلك إلى أن هذه الوسائل تغطّي حرب اليمن بشكل نقدي لا سيّما ما يتعلّق بالحوثيين. لذلك فإنهم بطبيعة الحال سوف يتّهمون وسائل الإعلام هذه بأنها مؤيدة للسعودية نظراً إلى أنها جزء من التحالف الذي يقاتل في اليمن بقيادة المملكة. وبالطبع نفيت أي علاقة بهاتين القناتين أو أن أكون صوّرت أي شيء بشكل غير قانوني. ولكن غني عن القول إن كل جهودي لردعهم عن الإمساك بي باءت بالفشل.

لقطة من فيديو صوّره معتصم الهتاري في صنعاء، 2015. الصورة من "بي بي سي".

وصلنا إلى مركز الشرطة حيث صادر مسؤول من المجموعة نفسها معداتي وبطاقتي الصحافية. وهناك استأنفوا تهديدي. وأدركت سريعاً أن المسألة المطروحة هي ما إذا كنت خائناً أم لا. ومن أجل بتّ المسألة، عليهم التحقق من الكاميرا للاطّلاع على الصور ومقاطع الفيديو و«عرضها على خبير لمراجعتها» بحسب تعبيرهم.

وسط تكتيكات الترهيب والاتهامات، سمحوا لي بالمغادرة ولكنّهم حجزوا معدّاتي. ومرت ثلاثة أيام من دون أن أتمكّن من استعادتها ومن دون أن تصلني أية أخبار عن عملية المراجعة المزعومة. وأخيراً، اتصلوا بي وأعادوا لي الكاميرا بحجة أني لم أرتكب أي خطأ، طبعاً وفقاً لمعاييرهم التقديرية. ولكن الحقيقة أنهم لم يستطيعوا تشغيل الكاميرا للتحقق من محتواها لأنّهم ببساطة لا يعرفون استخدام الكاميرات. كان ذلك من حسن حظي وهو أمر للأسف لا ينطبق على الكثير من الصحافيين الذين يقبعون في السجون ومصيرهم لا يزال مجهولاً.

لا تنتهي قصص الحرب التي يمكن روايتها والتي تعكس الثمن الذي يدفعه الصحافي في اليمن اليوم. ومن هذه القصص مثلاً حين كان التحالف العربي [36] يقصف المقر الرئاسي حيث كان الرئيس المخلوع علي عبد الله صالح [37]، ذهبت مع مجموعة صحافيين ومصوّرين لتغطية الحدث. حصل ذلك في المراحل الأولى من عملية التحالف. سمح لجميع الصحافيين بالدخول إلى المنزل بعد تفتيش دقيق ومصادرة بطاقاتهم الصحافية ومعداتهم وهواتفهم الخلوية. يومها تركوا لنا فقط كاميراتنا وبطاقة ذاكرة واحدة لكل منها.

منزل الرئيس اليمني المخلوع علي عبد الله صالح. الصورة من معتصم الهتاري.

[36] «التحالف العربي» يشير إلى التحالف العسكري بقيادة السعودية الذي ينفذ هجمات في اليمن ضد المتمردين الحوثيين ودعماً للحكومة اليمنية. وتضمّ الدول الداعمة البحرين والكويت وقطر (خرجت لاحقا) والإمارات العربية المتحدة ومصر والأردن والمغرب والسودان. والدول الأخرى التي اعتبر تقرير للأمم المتحدة أنها على ارتباط بالتحالف هي الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا وماليزيا. أنظر:
http://www.reuters.com/article/us-yemen-security-un-idUSKBN15D0SB

[37] قصفت طائرات من التحالف بقيادة السعودية منزل علي عبد الله صالح في العاصمة صنعاء غير أن الرئيس السابق نجا. ويتّهم صالح الذي تنحّى في العام ٢٠١٢ بعد عام من التظاهرات الدموية التي عمّت البلاد ضد حكمه الذي دام ثلاثة عقود بالوقوف إلى جانب الحوثيين الذين أسقطوا الرئيس عبد ربه منصور هادي في العام ٢٠١٥. «التحالف يقصف منزل الرئيس اليمني السابق صالح» Coalition bombs ex-Yemen president Saleh's residence، الجزيرة، ١٠ أيار/مايو ٢٠١٥. تمّ الاطلاع على الرابط في ١١ تموز/يوليو ٢٠١٧: http://www.aljazeera.com/news/2015/05/cloneofstrikes-yemen-saada-breach-international--150510035539400.html

غطّينا الحدث وجلنا حول المقر المستهدف للرئيس المخلوع. التقطت جميع الصور التي احتجت إليها ولكنّ مشاعر الخوف والقلق من أن يستأنف القصف لم تبارحني قطّ. وبدأت أتحدث إلى زملائي محاولاً إقناعهم بخطورة البقاء وقتاً إضافياً في ذلك المكان ولكنّي لم أفلح. فقررت المغادرة بصحبة أحد أصدقائي بينما بقي العديد من الصحافيين والمصورين في الداخل. ولم تمر سوى لحظات حتى بدأت الطائرات تحوم فوق القصر قبل أن تقصفه. وبالنتيجة أصيب العديد من زملائي الصحافيين.

الحرب لا تترك أحداً من شرّها ومع ذلك، كصحافي يمكنك أن تقوم بخطوات لتكون في أوضاع أقل خطورة لا سيما إذا كنت صحافياً مستقلاً إذ إنك ستواجه تحديات أكثر من زملائك الذين يعملون بدوام كامل في مؤسسات إعلامية كبيرة.

غالباً ما لا يحصل الصحافيون العاملون لحسابهم الخاص على التدريب على كيفية تغطية الظروف الخطرة. وعادة لا تتوفّر لديهم الوسائل للحصول على معدات حماية مثل السترة الواقية من الرصاص وخوذة الرأس، كما أنه ليس لديهم تأمين صحّي. وعادة لا يمكنهم الاعتماد على أي شبكة دعم على عكس الصحافيين المدعومين من وسيلة إعلامية. ومن تداعيات ذلك مثلاً عدم وجود فريق قانوني يساعدهم في حال تعرّضوا للتوقيف أو الاعتقال وغياب طاقم عمل داعم في حال الحاجة إلى رد مباشر على وضع خطير.

ومن الواضح أن هذه الظروف تضع الصحافيين المستقلّين في أوضاع غير مواتية فيما يتعلق بسلامتهم. ولكنها أيضاً تهدد عملية توثيق انتهاكات حقوق الإنسان وجرائم الحرب في مناطق النزاع. هذا ما حصل في اليمن وسوريا حيث هناك نقاط في مناطق الحرب لا يخبر العالم عمّا يحصل فيها سوى الصحافيين المحليّين أو الناشطين الإعلاميين المحليين المعروفين أيضاً بالمواطنين الصحافيين. وجميع هؤلاء يعملون لحسابهم الخاص. فكيف سيعرف العالم إذا قتلوا أو تمّ إسكاتهم؟

للأسف ثمة ممارسة سائدة بين بعض الشبكات الإعلامية تقوم على توظيف صحافيين مستقلين محلّيين خلال النزاعات ومن ثمّ التخلّي عنهم بعد أن تحصل الشبكة على المعلومات التي تحتاجها. قبل سنوات، انضممت إلى مجموعة تُعنى بالدفاع عن حقوق الصحافيين هي «مؤسسة الحرية» Freedom Foundation[38]. تهدف المؤسسة إلى وقف هذه الأنواع من الممارسات الاستغلالية بحق الصحافيين ودعوة المؤسسات الإعلامية إلى حماية حقوق الصحافيين المستقلّين[39]. من بين الأمور التي قمنا بها كان توثيق حالات انتهاكات حقوق الإنسان بحق الصحافيين اليمنيين[40]. وفي الواقع كنّا ننشر سنوياً تقريراً يستعرض هذه الانتهاكات أملاً منّا بتوجيه رسالة إلى العالم بأن يتحرّك في هذا الاتجاه[41]. كنّا أيضاً نساعد الصحافيين في العثور على محامين (للحصول على مساعدة قانونية) ونتابع قضايا فرديّة ونجري تدريبات على المهارات الإعلامية التقليدية. كما كنّا ننظم، حين يتاح لنا ذلك، ورش عمل للصحافيين لمساعدتهم على تطوير وعيهم حيال سلامتهم. وبالفعل بدأ عملنا يحقق تقدّماً ولكنّه توقف حين سيطر الحوثيون على صنعاء[42].

---

[38] «مؤسسة الحرية»، فيسبوك. تمّ الاطلاع على الرابط في ١١ تموز/يوليو ٢٠١٧:
https://www.facebook.com/FreedomFoundationYemen/

[39] فخري العرشي، «مؤسسة الحرية تعرب عن القلق على سلامة الصحافيين اليمنيين بعد مقتل سومرز» Freedom Foundation Expresses Its Concern on the Safety of Yemeni Journalists after Somers Killing، «ناشونال يمن» National Yemen. تمّ الاطلاع على الرابط في ١١ تموز/يوليو ٢٠١٧: https://nationalyemen.com/2014/12/07/free-dom-foundation-expresses-its-concern-on-the-safety-of-yemeni-journalists-after-somers-killing/

[40] «مؤسسة الحرية تعلن تقريرها الأول والثاني (المرصد الإعلامي) حول الانتهاكات المرتكبة في اليمن خلال سبتمبر وأكتوبر ٢٠١٤ Freedom Foundation Announces First and Second (Media Observatory) Reports of Violations Committed by Yemen During September and October ٢٠١٤، «الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان». تمّ الاطلاع على الرابط في ١١ تموز/يوليو ٢٠١٧: http://anhri.net/?p=137548&lang=en

[41] «اليمن»، «فريدوم هاوس»، ٢٠١٤، تمّ الاطلاع على الرابط في ١١ تموز/يوليو ٢٠١٧
https://freedomhouse.org/report/freedom-press/2014/yemen

[42] «كيف سيطر المتمردون الحوثيون على العاصمة اليمنية صنعاء» How Yemen›s capital Sanaa was seized by Houthi rebels، «بي بي سي»، ٢٧ أيلول/سبتمبر ٢٠١٤. تمّ الاطلاع على الرابط في ١١ تموز/يوليو ٢٠١٧:
http://www.bbc.com/news/world-29380668

كصحافي مستقل، ثمة إجراءات يجب اتخاذها لتحسين شروط سلامتك أثناء تغطية نزاع ما. إليك بعض النصائح التي أستوحيها من تجربتي الخاصة في تغطية الحرب الأهلية اليمنية:

1. سلامتك الشخصية أهم من أي خبر أو صورة.

2. حين تسيطر مجموعة مسلحة على مدينة تتواجد فيها، خبّئ معدات التصوير دائماً.

3. تجنب الذهاب إلى مناطق مستهدفة وانتظر ساعتين على الأقل بعد توقف القصف قبل التوجّه إلى الموقع لتغطية التداعيات.

4. حين تسمع هدير طائرات، غادر على الفور وراقب ما الذي يحصل عن بعد.

5. إذا كان القصف قريباً من موقعك، غادر المكان في أسرع وقت ممكن. فكّر في أن أي طائرة أطلقت للتوّ صواريخ لن تتمكّن من إعادة الكرّة على الفور فهي تحتاج إلى عشر دقائق على الأقل لتستأنف القصف. لذلك يكون لديك بعض الهامش للفرار.

6. إذا كان القصف يستهدف موقعك، لا تركض. تمدد على الأرض واحتمِ.

7. إذا تعرّضت للاعتقال على يد مجموعة مسلّحة، استسلم دائماً وافعل ما يطلبونه منك. حاول أن تهدئ الأمور.

8. بالإضافة إلى التدريب على العمل في مناطق النزاع، تدرّب على الإسعافات الأولية قبل التوجّه إلى الميدان.

9. دائماً ارتد ملابس واقية للصدر واعتمر خوذة أثناء تصوير اشتباكات مسلّحة.

10. القاعدة الذهبية هي أن تحرص على البقاء بعيداً عن المواجهات المسلحة المباشرة.

منزل مدمّر قرب الحرس الرئاسي بعد غارة جوية. الصورة من معتصم الهتاري.

طائرة مدنية مدمّرة إثر غارة للتحالف على مطار صنعاء. الصورة من معتصم الهتاري.

العاصمة اليمنية صنعاء. صورة مأخوذة من فيلم عن حرية الصحافة في اليمن في العام 2013. الصورة من معتصم الهتاري.

القسم الثاني

من الخنادق الرقمية:
التحوّل في تغطية الحرب

الفصل السابع

الصحافيون الرقميون: التحقيق المفتوح المصادر والتحقق من الأخبار في النزاعات

كريستيان تريبرت وهادي الخطيب [43]

يقال إن الحقيقة أولى ضحايا الحرب. وهي مقولة تنطبق على العصر الرقمي أكثر من أي وقت مضى. فاليوم كل من يملك هاتفاً ذكياً واتصالاً بالإنترنت يمكنه إنتاج قصص ومشاركتها خلال مدة قصيرة.

في 16 آذار/مارس 2017، تجمّع حوالي 300 شخص لأداء صلاة العشاء في مسجد عمر بن الخطاب جنوب الجينة في شمال سوريا. عند السادسة والدقيقة الخامسة والخمسين مساء بالتوقيت المحلي استهدفت غارة جوية المسجد وقتلت 38 شخصاً على الأقل وفقاً لسكّان محليين [44]. ولكن كيف لصحافي يسعى لمعرفة ما حصل في تلك الليلة أن يجمع المزيد من المعلومات إذا لم يتمكّن من زيارة الموقع المستهدف؟ في مثل هذه الحالات، يقدّم التحقيق مفتوح المصادر فرصة لاكتشاف معلومات آتية من مناطق الحرب من وسائط متعددة والتحقق منها وتأكيدها. انطلاقاً من ذلك يمكنك الحصول على المزيد من العناصر للإجابة على أسئلة: من وماذا ومتى ولماذا وأين وكيف وإخبار القصة للجمهور.

تتضمن البيئة الحاضنة للمعلومات في سياق النزاعات كمّاً هائلاً من البروباغندا كجزء من استراتيجيات الحرب. وفي الوقت نفسه بدأ الناشطون والمواطنون يلعبون أدواراً ذات صلة بنقل ما يجري لا سيما

[43] إيليوت هيغينز، مؤسس «بيلّينغكات» (Bellingcat (www.bellingcat.com ساهم في هذا الفصل.

[44] أولي سولفانغ، «أسبوع المجازر في سوريا.. قتلى مدنيون في هجمات من جميع الأطراف، Week of Carnage in Syria, Civilians Killed in Attacks by All Sides»، «هيومان رايتس ووتش»، ١٧ مارس ٢٠١٧. https://www.hrw.org/news/2017/03/17/week-carnage-syria و http://www.telegraph.co.uk/news/2017/03/17/airstrike-mosque-near-aleppo-syria-kills-42/ (تم الاطلاع عليهما في الأول من أغسطس ٢٠١٧).

اليـوم بعـد أن أصبـح لديهـم الأدوات لفعـل ذلـك وصـار الاتصـال بالعالـم ميسـرا. ونعطـي مثـالا للتوضيـح: يضـم الإنترنـت سـاعات مـن مقاطـع الفيديـو مـن النـزاع السـوري أكثـر مـن الوقـت الـذي انقضـى فعليـاً منـذ بدايـة الحـرب [45]. وفـي الواقـع يعتبـر المحتـوى الـذي ينتجـه المسـتخدمون والـذي يـزداد الاعتمـاد عليـه، فـي بعـض الحـالات، المعلومـات الوحيـدة الخارجـة مـن المناطـق الممنوعـة علـى الصحافييـن. ولكـن هـذه المعلومـات قـد تكـون منحـازة أو تتضمـن وقائـع غيـر صحيحـة. لذلـك يحتـاج الصحافيـون إلـى اكتسـاب مهـارات وأدوات تمكّنهـم مـن مسـح هـذا الكـمّ الهائـل مـن المعلومـات المنتجـة فـي زمـن الحـرب وغربلـة المعلومـات غيـر الدقيقـة، سـواء نشـرت عـن قصـد أم عـن غيـر قصـد، وتبيـان الحقائـق.

يهـدف هـذا الفصـل إلـى إظهـار كيفيـة التحقـق مـن المحتـوى الـذي ينتجـه المسـتخدمون مـع تركيـز خـاص علـى سـياقات الحـرب والنـزاع. وكعناصـر أساسـية فـي عمليـة التحقـق مـن الوقائـع سـندرس اسـتخدام الأدوات الرقميـة التـي تسـهّل البحـث العكسـي عـن الصـور أو التحقـق مـن حالـة الطقـس فـي موقـع معيّـن وفـي تاريـخ ووقـت محدديـن أو تحديـد الموقـع الجغرافـي لموقـع معيّـن، إضافـة إلـى مهـارات صحافيـة أخـرى مثـل التحقـق مـن عـدة مصـادر ومقابلـة أشـخاص ذوي صلـة بالموضـوع.

اسـتكمالاً لهـذه المقدمـة لا بـدَّ أولاً مـن إجـراء نقـاش قصيـر حـول أهميـة التحقـق مـن الصـور والفيديـو وذلـك مـن أجـل نشـر الوعـي عـن مـدى سـهولة تعديـل الصـور وإخراجهـا مـن سـياقها لا سـيما وأن ذلـك مـا زال أحـد الاسـتراتيجيات المسـتخدمة لتضليـل النـاس فـي عالمنـا الموجّـه بصريّـاً. ثانيـاً إنّ أفضـل طريقـة لتوضيـح مـدى أهميـة مـوارد ومهـارات التحقـق هـذه وإظهـار تنـوّع الأوضـاع التـي يمكـن أن تطبّـق فيهـا مـن أجـل تبيـان صحـة القصـص، هـي معاينـة أربـع دراسـات لحـالات طبّقنـا فيهـا هـذه المـوارد والمهـارات. وأخيـراً سـنعرض النتائـج. والحـالات الأربعـة هـي:

---

[45] جاسـتن كوسـلين وياسـمين غريـن. «مونتـاج - الجيـل التـالي مـن المراسـلة الحربيـة» Montage -The next generation of war reporting، جيغسـو، ٢٠ أبريـل ٢٠١٦.

https://medium.com/jigsaw/montage-the-next-generation-of-war-reporting-a04f4176aff (تـم الاطـلاع عليـه في ١٤ يوليـو ٢٠١٧).

1. القصف الأميركي لمجمّع مسجد في شمال سوريا.
2. إثبات أصالة رسائل "واتس آب" بين مدبّري الانقلاب في تركيا.
3. التحقق من مواقع مقاطع فيديو رسمية: غارات روسية في سوريا.
4. إثبات وجود طفلة في السابعة من العمر في حلب.

صور وفيديو: أدوات بسيطة للتحقق

هناك أمثلة وافرة عن سياسيين ومسؤولين يستخدمون صوراً غير مرتبطة بالموضوع الذي يتحدثون عنه. فمثلاً قدّم السيناتور الأمريكي جيمس إنهوف صوراً إلى مجلس الشيوخ في شباط/فبراير 2015 لما قال إنها دبابات تابعة للجيش الروسي في أوكرانيا في العام السابق [46]. ولكن في الحقيقة هناك اثنتان من الصور التي عرضها التقطتا خلال الحرب الروسية الجورجية في العام 2008 [47].

[46] روبرت ماكي، «سيناتور إنهوف يعرض صوراً مزيفة للحرب الأوكرانية» Senator Inhofe Shows Fake Photos of Ukraine War، «سي – سبان» ١١ فبراير ٢٠١٥.

https://www.c-span.org/video/?c4528166/senator-inhofe-shows-fake-photos-ukraine-war (تم الاطلاع على الرابط في ١٤ يوليو ٢٠١٧).

[47] ليس المقصود هنا القول إنه لم يكن هناك دبابات روسية في شرق أوكرانيا. فالرصد بناء على مصادر مفتوحة أظهر أن الدبابات دخلت فعلاً. راجع: فيلي بيكّا كيفيماكي، «النزاع الأوكراني، مشروع تتبّع الآليات، الأسبوع الأول» Ukraine Conflict Vehicle Tracking Project: First Week، «بيلينغكات» ١٢ فبراير ٢٠١٥.

https://www.bellingcat.com/resources/2015/02/12/ukraine-conflict-vehicle-first-week/ (تم الاطلاع على الرابط في ١٤ يوليو ٢٠١٧).

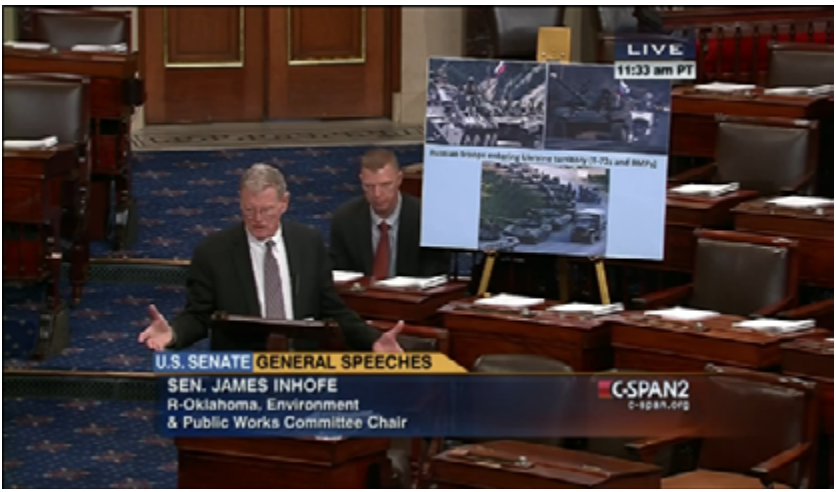

السيناتور إنهوف يعرض صوراً أمام مجلس الشيوخ في فبراير 2015 لما قال إنها دبابات تابعة للجيش الروسي في أوكرانيا في العام السابق. اثنتان منهما تبيّن أنهما التقطتا في الحرب الروسية الجورجية في العام 2008. الصورة من "سي سبان" C-SPAN.

صورتان لدبابات روسية في الحرب الروسية الجورجية 2008 وقد استخدمهما سيناتور أميركي ليقول إنهما دبابات روسية تدخل أوكرانيا. الصورة (اليسار واليمين) أ ب / ميخائيل ميتزل.

مثال أقرب زمنياً وهو استخدام السفير السوري في الأمم المتحدة بشار الجعفري صورة قديمة مأخوذة في العراق في محاولة لإقناع مجلس الأمن بأن القوات الحكومية السورية لم تكن تسيء معاملة المدنيين في حلب [48]. وكانت الصورة المستخدمة لدعم هذه الرواية من الأحداث، تظهر امرأة يساعدها جندي في النزول من آلية، وهذه الصورة نشرت أساساً في مواقع إخبارية عربية في حزيران/يونيو 2016 وهي لامرأة

[48] الأمم المتحدة، الوضع في الشرق الأوسط، سوريا - اجتماع مجلس الأمن الـ ٧٨٣٤»، ١٣ ديسمبر ٢٠١٦. تلفزيون الأمم المتحدة. http://webtv.un.org/watch/the-situation-in-the-middle-east-syria-security-council-7834th-meeting/5246494281001 (تم الاطلاع على الرابط في ١٤ يوليو ٢٠١٧).

يساعدها جنود عراقيون في الفلوجة [49]. والمفارقة أن الجعفري أدان استخدام "الأخبار المزيّفة" في معركة حلب في كانون الأول/ديسمبر 2016.

السفير السوري في الأمم المتحدة يحمل صورة يقول إنها تظهر أن قوات حكومته لا تسيء معاملة المدنيين في حلب (إلى اليسار). غير أن الصورة سبق أن نشرت في يونيو 2016 على مواقع إخبارية عربية تقول إنها لجنود عراقيين يساعدون امرأة في الفلوجة، العراق (إلى اليمين). صورة الجعفري من موقع تلفزيون الأمم المتحدة [50] والصورة الثانية من: «آي بي أن نيوز»IBN News.

ولكن بالنسبة للصور التي تنشر على الإنترنت، ثمّة أداة بسيطة لمعرفة ما إذا كانت نشرت سابقاً. وهذه الأداة تسمّى البحث العكسي عن الصورة، وقد طوّرت مواقع ومتصفّحات مثل "جوجل" و"تين آي" Tin-Eye ملحقات Extensions أو إضافات add-ons لهذا الغرض يمكن تحميلها مجاناً. وببساطة يمكنك بنقرتين أن تعرف ما إذا كانت الصورة نشرت في مكان آخر قبل وقت الحدث الذي زُعم أنها التقطت فيه.

إليكم مثالاً على مدى فائدة البحث العكسي عن الصور في التحقق من المحتوى الرقمي. في سياق التغطية الإعلامية المتزايدة لتدفّق اللاجئين الساعين إلى دخول الاتحاد الأوروبي، انتشرت على الإعلام الاجتماعي صورة لمركب محمّل باللاجئين يدّعي ناشروها أن هؤلاء يصلون إلى

[49] الأمم المتحدة، الوضع في الشرق الأوسط، سوريا - اجتماع مجلس الأمن الـ ٧٨٣٤»، ١٣ ديسمبر ٢٠١٦. تلفزيون الأمم المتحدة. http://webtv.un.org/watch/the-situation-in-the-middle-east-syria-security-council-7834th-meeting/5246494281001 (تم الاطلاع على الرابط في ١٤ يوليو ٢٠١٧).

[50] الأمم المتحدة ١٣ ديسمبر ٢٠١٦، المرجع نفسه.

أوروبا في العام 2016. وردّ البعض بأن هذه ليست للاجئين في العام 2016 بل للاجئين أوروبيين يصلون إلى شمال إفريقيا في أربعينات القرن الماضي. ولكن المفارقة أنّ أياً من الادّعاءين لم يكن صحيحاً. فقد بيّن البحث العكسي أن الصورة هي للاجئين ألبان يصلون إلى إيطاليا في العام 1991.

Photo: ROPI / Alamy Stock Photo

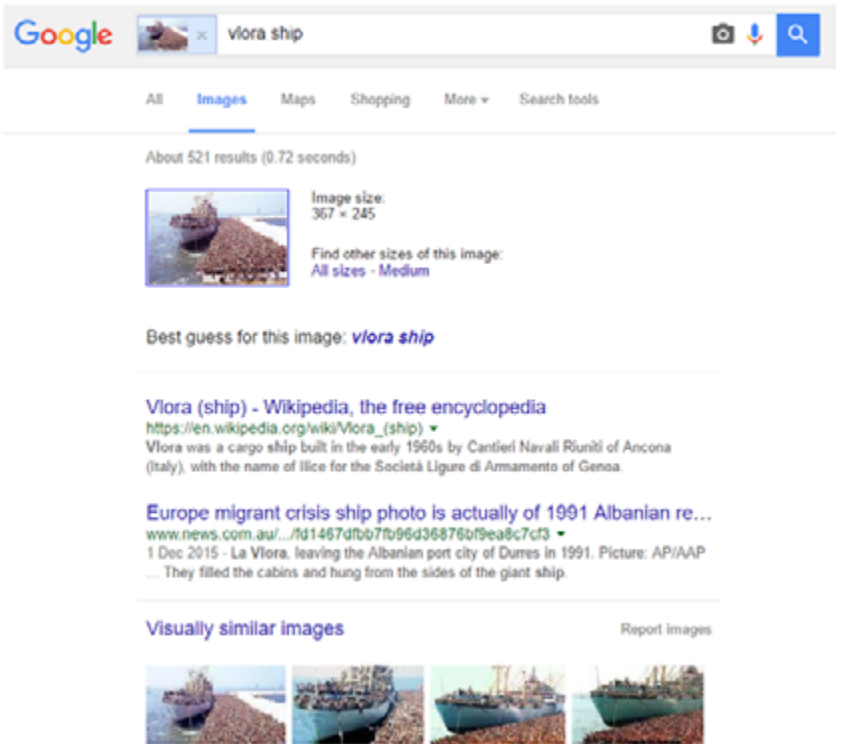

لقطة شاشة لبحث عكسي عن صورة.

وحتى لو كان الحدث قد حصل فعلاً، فإن مشاركة صور غير مرتبطة به ونسبها إليه من شأنهما الإساءة له ببساطة لأن الناس سيعتبرون الحدث كلّه زائفاً أو لم يحصل أبداً. وهذا الأمر وثيق الصلة بسياقات الحروب حين تحاول الأطراف المتورّطة أو أصحاب المصالح التأثير في الرأي العام. فلا تنسوا أبداً أن المعلومة هي سلاح حاسم وقويّ.

مثال آخر في أيار/مايو 2016 حين نشر فريق "الخوذ البيضاء" بعض الصور التي تظهر ما تدّعي أنه مستشفى في إدلب بسوريا بعد غارات روسية. ولكنّ إحدى الصور التي عرضتها المنظمة سبق أن ظهرت في خبر لقناة الجزيرة في تشرين الثاني/نوفمبر 2015 أظهرت غارات مزعومة في حلب استهدفت بحسب الدفاع المدني السوري أحياءً سكنية وشاحنات محمّلة بالمساعدات الإنسانية. غير أن السفارة الروسية في

المملكة المتحدة بيّنت زيف صورة "الخوذ البيضاء" عبر حسابها على تويتر وأثبتت أن المنظمة استخدمت صورة لا تمتّ للحدث التي تشير إليه بصلة، وأن الصورة سبق أن نشرت قبل أشهر.

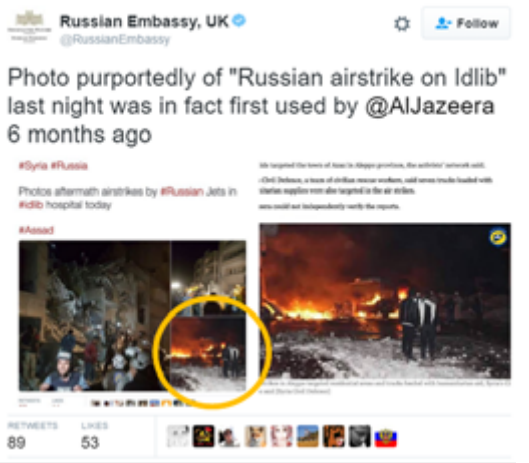

لقطة شاشة لحساب السفارة الروسية في المملكة المتحدة على تويتر لحظة إثباتها زيف "الخوذ البيضاء". إلى اليسار من التغريدة نرى الصورة التي أخرجت من سياقها في أسفل اللقطة إلى اليمين. من اليمين لقطة شاشة لخبر على الجزيرة نشر في نوفمبر 2015 يظهر الصورة نفسها.

غير أن البحث العكسي عن الصور لا ينجز كامل المهمة. والبحث عن مقاطع الفيديو أصعب بكثير. فصحيح أن منظمة العفو الدولية طوّرت أداة اسمها "يوتيوب داتا فيوار YouTube DataViewer" تسمح لك بالعثور على التاريخ الدقيق لتحميل الفيديو وإجراء بحث عكسي عن الصور الثابتة المقتطعة من الفيديو [51]، إلّا أن ذلك قد لا يكون دقيقاً دائماً ولكنه بداية جيدة للتحقق من مقاطع الفيديو. قد تتساءل ما فائدة معرفة التاريخ الدقيق لتحميل الفيديو ولماذا لا يقدّم "يوتيوب" هذه المعلومة من الأساس. كما أن الأداة تعطيك التاريخ ولكن ليس الوقت المحلي الذي نشر فيه الفيديو. فحادثة الغارة الأميركية المشبوهة التي قتلت مدنيين في سوريا مثال على أهمية معرفة وقت تحميل الفيديو حسب التوقيت المحلي، للحصول على وقت النشر بدقّة وعلى كيفية ارتباط المعلومتين بالتحقق من الأخبار. في فيديو على يوتيوب [52] يمكن رؤية طفلة صغيرة

[51] رابط لدخول «يوتيوب داتا فيوير»: http://www.amnestyusa.org/sites/default/custom-scripts/citizenevidence

[52] صالح قوجو، ريف إدلب الشمالي، قرية كفردريان، انتشال جثث المدنيين من تحت الإنقاض، فيديو «يوتيوب»:https://www.youtube.com/watch?v=zkuA3INULmw&feature=youtu.be&t=1m46s ، التقط في ٢٣ سبتمبر ٢٠١٤ (تم الاطلاع عليه في ١١ أغسطس ٢٠١٧).

وسط الغبار والقضبان المتشابكة تحت أنقاض مبنى في كفر دريان على بعد 40 كيلومتراً إلى الغرب من مدينة حلب في سوريا. وهذه الصور كانت أقوى أدلة على وقوع جرحى وقتلى في صفوف المدنيين في غارة نفذها التحالف بقيادة الولايات المتحدة في الساعات الأولى من يوم 23 سبتمبر 2014 الليلة الأولى لبدء غارات التحالف في سوريا [53].

وتظهر مراجعة شاملة للمحتوى أجرتها منظمة العفو الدولية مضافة إلى تحليل صور من الأقمار الاصطناعية وتقارير من مجموعات سورية لحقوق الإنسان، سقوط العديد من الضحايا المدنيين ما يثير السؤال عمّا إذا كان الهجوم متكافئاً وما إذا تم اتخاذ الاحتياطات لتقليل الضرر الذي يمكن أن يلحق بالمدنيين. ولكن رغم ذلك خلصت القيادة المركزية الأميركية إلى نتيجة قاطعة: [...] الصور المأخوذة من مصادر مفتوحة والمقدمة على أساس أنها خسائر بشرية نتيجة الغارات، هي من غارات سابقة [للحكومة السورية"] [54]. هنا قد يثير مقطع يوتيوب الالتباس: فهو يقول إن موعد تحميل الفيديو هو 22 سبتمبر ولكن التاريخ يعكس فارق التوقيت بين سوريا والمحيط الهادئ حيث تقع مقرات "يوتيوب" وتستخدم لتحديد التاريخ الرسمي للنشر. وتجاهل ذلك يمكنه بسهولة أن يقود إلى نتائج بحث خاطئة كما حصل في الماضي، وقد يربك الصحافيين والمراسلين الساعين للتحقق من المعلومات المهمة. ويسمح "يوتيوب داتا فيوار" باستخلاص الوقت الدقيق وتحديد الوقت المحلي للنشر: حوالي الساعة السادسة صباحاً بالتوقيت المحلي في 23 سبتمبر وهو يتناسب بشكل مثالي مع وقت الهجوم. لذلك من الجدير بالذكر أن منظمات مثل العفو الدولية تجمع أدلة دامغة مرتبطة بغارات لقوات التحالف بين 2014 و2016 غالباً باستخدام مواد مفتوحة المصادر [55].

---

[53] كريستوف كويتل، «تحليل غارة أميركية في سوريا» Dissecting a US Airstrike in Syria، «بيلّينغكات»، ٢٩ نوفمبر ٢٠١٦، https://www.bellingcat.com/news/mena/2016/11/29/dissecting-us-airstrike-syria/ (تم الاطلاع على الرابط في يوليو ٢٠١٧).

[54] منظمة العفو الدولية، ملحق. «حالات لضحايا مدنيين يشتبه سقوطهم في هجمات لقوة المهام المشتركة بقيادة الولايات المتحدة في سوريا منذ سبتمبر ٢٠١٤»، Cases Of Suspected Civilian Casualties In Us-Led Combined Joint Task Force Attacks In Syria Since ٢٣ September ٢٠١٤، ٢٦ أكتوبر ٢٠١٦.
https://www.amnesty.org/download/Documents/MDE2450372016ENGLISH.PDF (تم الاطلاع على الرابط في يوليو ٢٠١٧).

[55] منظمة العفو الدولية، ٢٦ أكتوبر ٢٠١٦، المرجع نفسه.

حتى الآن عرضنا أمثلة ذات صلة بكيف يسمح البحث العكسي عن الصور وأدوات أخرى للصحافيين بالتحقق من العناصر البصرية في غضون بضع ثوان. ولكن ماذا نفعل في الحالات الأصعب؟

التحقق يمكن أن يغيّر الأخبار

كصحافي، إن أخذت المعلومة التي يلقّمك إياّها المعنيون من دون التحقق منها أو أي نوع من المعلومات لا سيما في سياق حرب، فأنت تتقاعس عن القيام بعملك. فالتحقق من الأخبار يعزز الدقة والقيمة الجوهرية للصحافة أو على الأقل يسعى إلى ذلك. وحين ننجح ونستوضح الحقائق، يمكن للتحقق أن يغيّر الأخبار: فتبيان الحقائق كوسيلة للإجابة عن الأسئلة الخمسة للصحافة (من وماذا ومتى ولماذا وأين) وتحديد كيفية حصول الأحداث، قد يقود إلى تغيير القصة. وأحياناً رغم جميع الجهود التي نبذلها، لا يمكننا التحقق من معلومة واحدة وفي هذه الحالة يجب العودة إلى الجمهور كطريقة لضمان الشفافية القصوى.
سنعرض عليكم فيما يلي دراسات حالة تقدّم أمثلة جيدة على الاحتمالات والتحديات التي تنطوي عليها عملية التحقق.

القصف الأميركي لمجمّع مسجد في شمال سوريا

تتعلق المسألة في البداية بالانتباه لحصول حدث ما. ولكن إن كنت من الجانب الآخر من العالم، كيف ستعرف بوقوع حادث ذي صلة وكيف ستحاول التحقق منه؟ في الحقيقة ثمة عدد من الطرق لاكتشاف الأحداث من بينها الإعلام الاجتماعي الذي أصبح اليوم مساحة عامة للحصول على هذه المعلومات. لذلك لا بدّ من أن تصبح مراقبة المنصات الاجتماعية عادة لديك، وبالطبع تتوفّر أدوات رقمية لذلك. "تويت دك" TweetDeck هو إحدى هذه الأدوات حيث يمكنك البدء بوضع قوائم بناشطين ومواطنين صحافيين وغير ذلك من البوابات التي قد تكون مثيرة للاهتمام. وعند البحث عن منطقة جغرافية محددة، يمكنك أيضاً محاولة العثور على صور موسومة جغرافياً عبر خدمات مثل "إيكو سك" EchoSec [56] و"وور واير" WarWire [57].

[56] للمزيد من المعلومات: www.echosec.net

[57] للمزيد من المعلومات: www.warwire.net

في 16 مارس 2017، استهدفت غارة جوية مسجداً في الجينة بسوريا. وغرّد سكان محليون بعد دقائق من إعلان شهود عيان عن سماعهم صوت غارات. التغريدة الأولى التي لفتت إلى غارة في الجينة مثلاً نشرت عند السادسة و57 دقيقة مساء بالتوقيت المحلي، أي بعد دقيقتين فقط. وبعد التغريدات التي تلت الحادث بدقائق، والتي صدرت عن مواطنين محليين، ادّعى الإعلام بأن طائرات استهدفت القرية، من دون تحديد الجهة المسؤولة عن ذلك ولا الهدف. عند السابعة والدقيقة السابعة مساء بالتوقيت المحلي، ذكرت تغريدة أن الغارة نفذتها طائرة تابعة لسلاح الجو الروسي وما لبثت وكالات الإعلام المحلية أن تبنّت هذا الادعاء. أما على يوتيوب في المقابل، فبعد ساعة ونصف من الغارة بدأ سيل من مقاطع الفيديو من الموقع المستهدف المزعوم. وتم تقييم جدوى هذه المقاطع لاحقاً. ومن الجدير ذكره أن المعلومات جاءت من منصات مختلفة مثل توتير وفيسبوك ويوتيوب إضافة إلى مواقع إعلامية ومواقع أخرى معنية. إلاّ أن المفارقة أن جميع هذه المصادر استندت إلى التغريدة نفسها عبر ذكرها أو عدمه.

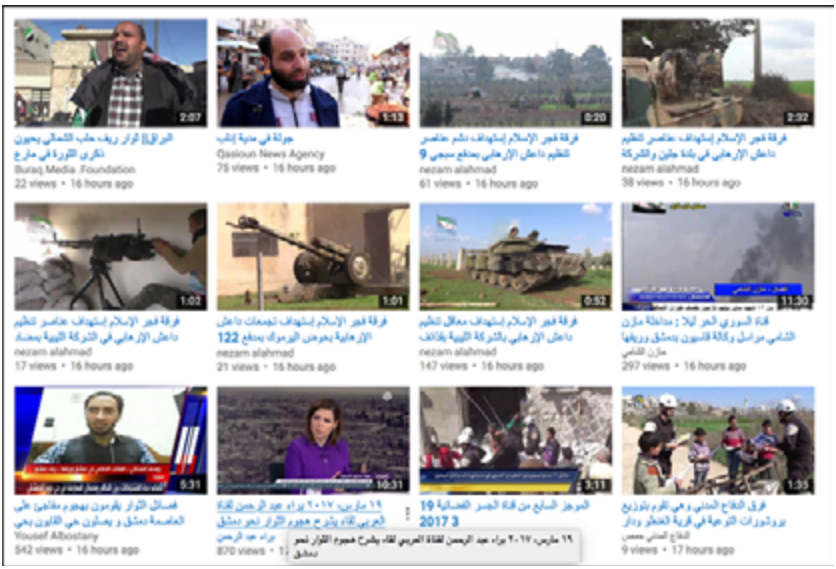

صفحة رئيسية نموذجية من حساب "يوتيوب" مسجّل في العديد من الحسابات التي تنشر مقاطع فيديو من النزاع في سوريا. صورة شاشة من "يوتيوب".

بعد العثور على الحدث الذي يهمّك، تقضي الخطوة التالية بجمع كل فيديو وصورة وغيرهما من المعلومات ذات الصلة ونشرها في مكان واحد لكي تبدأ بفهم الحدث. ومن المهم، إذا أمكن، تحديد المصدر الأساسي للمعلومة لأنه يسمح دائماً للصحافيين بـ:

1. تحديد ما إذا كان المحتوى جديداً.
2. اكتشاف معلومات جديدة نشرها المصدر ذاته.
3. تحديد أية روابط قد تكون هذه المصادر استعملتها كمصادر محتملة أخرى.

على سبيل المثال، في الهجوم على المسجد، يمكننا بسرعة تحديد قنوات "يوتيوب" ذات الصلة حيث يمكن أن نجد روابط أخرى إلى قنوات اجتماعية مختلفة. يعتبر هذا المحتوى كلّه أساسياً إذ إنه قد يتضمّن معلومات مهمة جداً لعملية التحقق.

إذاً كيف يمكنك تعقّب المصدر الأصلي؟ إذا كنت تبحث عن صورة مثلاً فقد ترغب في أن تجرّب البحث العكسي. أما إذا كان ادّعاءً بحصول أمر ما فحاول البحث على تويتر عن كلمة مفتاحية واستعرض النتائج حسب الترتيب الزمني. والهدف من ذلك هو معرفة من الذي غرّد الخبر أولاً. الخطوة التالية هي تحديد الموقع الجغرافي لأكبر عدد ممكن من الصور كي تبدأ بتكوين تصوّر عن الموقع وغربلة أية مقاطع فيديو أو صور قد لا تكون ذات صلة أو تحييد تلك التي تحتاج إلى المزيد من التحقيق. تحديد الموقع الجغرافي هو المعرفة الدقيقة للموقع الذي صور فيه الفيديو أو التقطت الصورة. يكمن التحدي هنا في أنّه من الصعب جداً أحياناً ربط اللقطات الداخلية لأي هيكل بالجزء الخارجي منه كي نتمكن من إثبات أن الداخل يعود إلى الهيكل الذي نفحصه. في حالة الجينة، صوّر أحد مقاطع الفيديو التي التقطها أحد السكان المحليين، الجزء الداخلي للمسجد ونشره على "يوتيوب"، وهو لم يسمح لنا فقط بربط الداخل بالخارج بل أيضاً تأكيد تفاصيل حول المبنى مثل كون قاعة الصلاة تقع على مستوى أدنى ومرتبطة بالخارج بدرج يقود إلى الجزء الشمالي من

البناء. وقارنا الداخل الظاهر في الفيديو بصور للخارج فضلاً عن صور من الأقمار الاصطناعية من "جوجل إيرث" Google Earth وخرائط "مايكروسوفت بينغ" Microsoft Bing Maps و"تيرّا سيرفر" Terra-Server. ورغم أنه لم يكن من الممكن التحقق من تحليل مصوّر الفيديو للدليل في المنطقة، فإن التفاصيل المقدّمة حول الموقع أساسية لفهم الحادث.

بعد حصولك على أكبر قدر ممكن من المعلومات فيما يتعلق بالصور المتوفرة عبر أدوات مثل تحديد الموقع الجغرافي والبحث العكسي عن الصور، ستبدأ بتكوين فهم أفضل عن المنطقة. لذلك فعندما تراجع بيانات السكان المحلّيين المجمّعة عبر المنصات الاجتماعية، يمكنك مقارنتها بما هو ظاهر ضمن الصور التي تم تحديد موقعها الجغرافي. وبذلك قد تتمكن من فهم المزيد من الأمور غير المعتادة التي لاحظتها.
بالعودة إلى حالة هجوم الجينة، فإن الدليل الأول على أن الهجوم نفذته الولايات المتحدة أو التحالف، كان بقايا الذخيرة التي زُعم أنه تم استخراجها من موقع الهجوم.

بقايا ذخائر زُعم أنه تم العثور عليها في موقع الهجوم على المسجد. الصورة لصقر خضر[58].

[58] حصل الصحافي صقر خضر على الصورة من أحد مصادره على الأرض. فبعد الهجوم طلب من مصادره العثور على بقايا قنابل في الموقع المستهدف والتقاط الصور وجمع المعلومات التي من شأنها أن تقود إلى تحديد هوية المنفّذين.

فالعلامة الظاهرة على الذخيرة تكاد تكون مطابقة للعلامة على صواريخ "هلفاير" Hellfire التي لا تستخدمها سوى الولايات المتحدة وقوات التحالف، لذلك رغم مزاعم في بعض مقاطع الفيديو والتغريدات الأولى من موقع الهجوم تحمّل سوريا وروسيا المسؤولية، إلاّ أن الدليل الذي عثر عليه في الصورة أشار في اتجاه مختلف.

في تلك الليلة أعلنت القيادة المركزية الأميركية عن مسؤوليتها عن الهجوم، مخطئة في تحديد موقع الهدف على أنه إدلب في سوريا. ولكن الصور التي تم تحديد موقعها الجغرافي أظهرت بشكل واضح أن الهدف في محافظة حلب ولكنّه قريب من حدود المحافظة. وفي وقت لاحق أعادت وزارة الدفاع الأميركية "البنتاغون"، بحسب "بيلينغكات"، ذلك إلى الاختلافات في التقارير الداخلية.

وكان واضحاً من الصور التي تم تحديد مواقعها وجود فجوة كبيرة في الجهة الشمالية من المبنى الكبير في المجمّع، أكبر مما يمكن لصاروخ "هلفاير" أن يسبّبه. ولكن بناءً على شهادات شهود في مقاطع فيديو نشرت على يوتيوب وفيسبوك ومنشورات مكتوبة على تويتر، فسّرت بعض الادعاءات ذلك. فقال شهود إن قنبلة أكبر أسقطت، قبل أن تتبعتها عدة صواريخ. ورغم استمرار وجود بعض الاختلافات الصغيرة في كيفية وصف الشهود للأحداث، أشارت جميع الشهادات إلى قنبلة أكبر أو عدة قنابل وعدة صواريخ. وهذا الأمر ستواجهه غالباً، أي أن يعطي الشهود روايات مختلفة للحدث نفسه، ولكن عادة لا تكون مختلفة إلى درجة دراماتيكية. غير أن هذه الشهادات بحاجة دائماً إلى أن تتم مقارنتها بأدلة أخرى لبناء صورة أوضح.

لذلك بعد أن تتحقق من الموقع الجغرافي، وتجمع جدولاً زمنياً أوضح للأحداث عبر التحقق من عدة مصادر ومقارنة شهادات الشهود، يبقى أمامك الإجابة عن بعض الأسئلة الأساسية:

1. هل يمكن تأكيد المسؤول عن الهجوم؟ من المثير للاهتمام أن الولايات

المتحدة عادة ما تنشر تقارير عن الموقع التقريبي للهدف الذي تقصفه. وصادف أنها نشرت فعلاً تقريراً عن القصف الذي قالت إنه استهدف مقاتلين من تنظيم القاعدة في إدلب. والمبنى الذي حددنا موقعه الجغرافي يقع في محافظة حلب ولكن على بعد بضعة كيلومترات من حدود محافظة إدلب. لذلك فبالإضافة إلى صور بقايا السلاح التي حصلنا عليها من الصور ومقاطع الفيديو التي نشرها سكان محليون ووسائل إعلام محلية، قررنا إرسال رسالة إلكترونية إلى البنتاغون للاستيضاح، وسألناهم ما إذا كانت غارة إدلب يقصد بها غارة الجينة فأجابوا بنعم.

2. ما هو المبنى المستهدف؟ هذا السؤال مهم جداً في حالة المسجد لأن لدينا ادعاء أميركياً بأن الهدف كان مقاتلين مرتبطين بتنظيم القاعدة بينما الناس على الأرض يقولون إن الهدف كان مدنيين وأعضاء في مجموعة دينية محلّية. في ظل هذه المعطيات، كان علينا العودة إلى المصادر التي اكتشفناها سابقاً لنرى ما هي المعلومات التي تنشرها ونقارنها بالصور من الهجوم. من الناحية المثالية، سنجد صوراً لما قبل الهجوم، أو حتى صفحات على المنصات الاجتماعية استخدمها الضحايا. كما أن مجموعات مثل "مركز توثيق الانتهاكات" و"الخوذ البيضاء" غالبا ما تقدّم تفاصيل عن الضحايا، وبإمكاننا أيضاً الوصول إلى الجماعات والأفراد على الأرض عبر منصّات الإعلام الاجتماعي. ولكن لم نحصل من المصادر المفتوحة على دليل على وجود جماعة مسلحة. غير أن ذلك لا يعني بالضرورة أنه لم يكن هناك من عناصر مرتبطين بالقاعدة. لذلك سنطرح الآن سؤالاً من شأنه أن يكشف عن معلومات أكثر إثارة للاهتمام.

3. هل كان المبنى المستهدف مسجداً؟ كان من المهم جداً لتغطية هذه المسألة الخاصة، العودة إلى الحادثة مع تكشّف المزيد من المعلومات واستخدامها لمراجعة الادعاءات والاكتشافات والتحقق منها أو تكذيبها. وغالباً ما تصبح صور الأقمار الاصطناعية متوفّرة وتظهر المزيد من التفاصيل عن المنطقة قبل الهجوم وبعده أو كما في حالة هجوم المسجد، تقدّم الولايات المتحدة صوراً لما بعد الهجوم.

صورة جوية من البنتاغون للمنطقة المستهدفة (إلى اليسار) وصورة ثابتة مأخوذة من فيديو لـ "وكالة سمارت للأنباء" SMART News Agency (الدقيقة 2:20) (إلى اليمين). الصورة المركّبة من تيمي آلن/"بيلينغكات"

تظهر الصورة التي قدّمها البنتاغون البناء بعد الهجوم، مدّعياً أن الهدف كان "قاعة اجتماعات مبنيّة جزئياً"، وأنهم "عمداً لم يقصفوا المسجد إلى الجانب الأيسر من الصورة من أجل تقليص الخسائر في صفوف المدنيين".

غير أن الصور ومقاطع الفيديو من مصادر مفتوحة وصور الأقمار الاصطناعية، فضلاً عن شهادات الناجين التي جمعتها مجموعة "فورينسك أركيتكتشر" Forensic Architecture و"هيومان رايتس ووتش"، تشير بقوّة إلى أن المبنى المستهدف هو أيضاً مسجد. فقد ظهر في لقطات قبل الهجوم مكبّر صوت لرفع الأذان إلى جانب لافتة للمسجد قرب المحراب داخل المبنى.

إذاً كما ظهر هنا، يسمح التحقق الإخباري لك بالإجابة على أسئلة صحافية أساسية مثل: ماذا حصل؟ من المسؤول؟ أين حصل ذلك؟ متى؟ كيف؟ وفي هذه الحالة الخاصة، على غرار حالات أخرى، يبقى السؤال حول سبب حصول ذلك غامضاً. فهل كان هناك فعلاً عناصر مرتبطين بتنظيم "القاعدة"؟ أو ما قاله السكان المحليون هو الحقيقة؟ هذا ما لم نستطع الإجابة عنه بشكل مرضٍ ولكن من الواضح أن المبنى الذي استهدف كان مسجداً ناشطاً.

تمثّل حالة الجينة مثالاً على كيف يمكن للتحقّق من الأخبار والمحتوى

الـذي ينتجـه المسـتخدمون أن يوفّـر للجمهـور معلومـات دقيقـة عـن حـدث ذي أهميـة صحافيـة، وهـي مسـؤولية قـد تسـلك طريقـاً أكثـر تعقيـداً وسـط فوضـى المعلومـات التـي تنتـج عـن الحـرب والنـزاع. وباللجـوء إلـى تحديـد الموقـع الجغرافـي والمقارنـة والتحقـق مـن المعلومـات مـن عـدة مصـادر مختلفـة (مـن الشـهود إلـى الـدول المتورطـة مثـل الولايـات المتحـدة)، نسـتطيع بنـاء صـورة واضحـة وموثوقـة عمّـا حصـل فـي 16 مـارس 2017.

إثبات أصالة رسائل "واتس آب" لمدبّري الانقلاب في تركيا

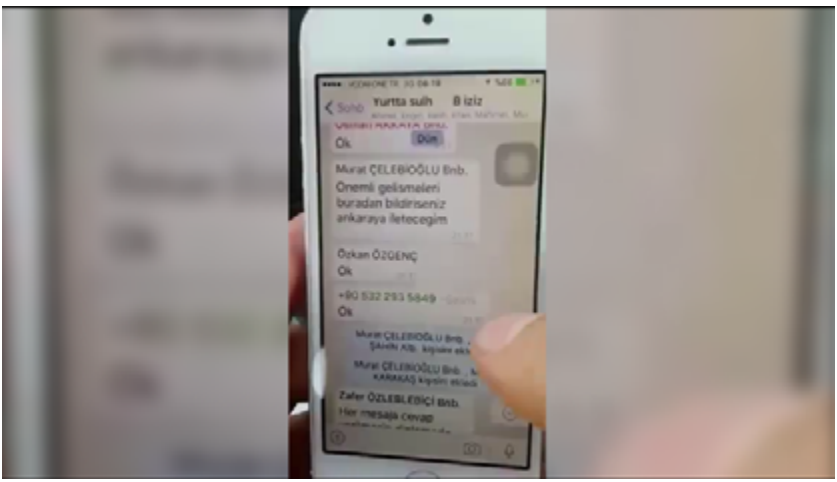

لقطـة مـن فيديـو يظهـر جـزءاً مـن حديـث علـى "واتـس آب" بيـن مدبّـري الانقـلاب فـي تركيـا. ولكـنّ ناشـر الفيديـو الأساسـي غيـر معـروف [59].

فـي صبـاح محاولـة الانقـلاب الفاشـلة فـي تركيـا فـي يوليـو 2016، ظهـرت محادثـة "واتـس آب" مزعومـة بيـن مجموعـة مـن مدبّـري الانقـلاب علـى المنصـات الاجتماعيـة. ولكـن رغـم أنـه تمـت مشـاركة المحادثـة آلاف المـرات، كان السـؤال المطـروح هـو "هـل المحادثـة الجماعيـة حقيقيـة؟" وبنـاء علـى نـص المحادثـة الـذي حصلـت عليـه "الجزيـرة" الناطقـة بالتركيـة، تـمّ تحليـل كل رسـالة فـي المحادثـة لتأكيـد أصالتهـا.

[59] كريسـتيان تريـبرت، «قتلنـا أربعـة أشـخاص، كل شيء عـلى مـا يـرام» We've shot four people. Everything's fine، الانقـلاب الـتركي بعيـون مدبّريـه، «بيلينغـكات». ٢٤ يوليـو ٢٠١٦. https://www.bellingcat.com/news/mena/2016/07/24/the-turkey-coup-through-the-eyes-of-its-plotters/ ، تـم الاطـلاع عـلى الرابـط في ١٤ يوليـو ٢٠١٧.

بـدت بعـض الرسـائل فـي المحادثـة مشـفّرة مثـل "السـادس والسـتين فـي طريقـه" أو "تـم تمريـر 212"، إلاّ أن القليـل مـن البحـث أظهـر أن "212" تشـير علـى مـا يبـدو إلـى مركـز تجـاري كبيـر فـي إسـطنبول ومـن خـلال مقارنـة لوحـات أرقـام الآليـات العسـكرية المسـتخدمة فـي الانقـلاب وقاعـدة بيانـات لوحـات تسـجيل الآليـات التركيـة، كان مـن الممكـن تحديد أن "السـادس والسـتين" هـو لـواء المشـاة الآلـي السـادس والسـتين.

بالتالـي، يمكـن إجـراء أبحـاث متقدمـة علـى المنصّـات الاجتماعيـة مثـلاً لتحديـد مـا إذا رصـدت آليـات عسـكرية تحمـل لوحـات الأرقـام نفسـها فـي المواقـع التـي ذكـرت فـي المحادثـة. بتلـك الطريقـة، تـم تحليـل كل رسـالة بتـروٍ وتثليثهـا مـع مـواد أخـرى مـن مصـادر مفتوحـة، مـا أدّى إلـى عمليـة إعـادة تشـكيل شـاملة لمحاولـة الانقـلاب فـي تركيـا فـي يوليـو 2016.

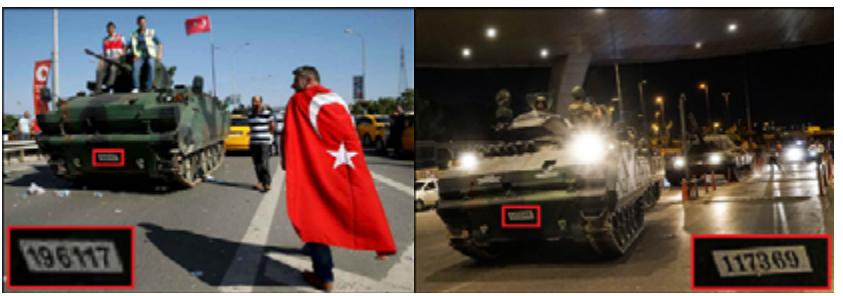

الآليـات العسـكرية المسـتخدمة خـلال محاولـة الانقـلاب كشـفت معلومـات إضافيـة حـول الوحـدات المشـاركة فـي الحـدث لأن لوحـة الأرقـام تكشـف الوحـدة العسـكرية التـي تنتمـي إليهـا الآليـة. وهـذه الوحـدات تتطابـق مـع الأرقـام التـي ذكـرت فـي المحادثـة علـى "واتـس آب": "196" تشـير إلـى اللـواء المـدرّع الثانـي و"117" إلـى لـواء المشـاة الآلـي السـادس والسـتين، وهمـا جـزء مـن الفيلـق الثالـث التابـع للقـوات البريـة التركيـة التابعـة للجيـش الأول. الصـورة: (مـن اليسـار) بـاز راتنـر / رويتـرز، (مـن اليميـن) "غيتّـي".

مجـدداً، مـن أجـل التأكّـد مـن أن الصـورة أظهـرت فعـلاً الموقـع الـذي تشـير إليـه، اسـتخدمنا تحديـد الموقـع الجغرافـي. تذكـروا دائمـاً أن تتحققـوا مـن المفاتيـح البصريـة مـن أكثـر مـن مرجـع فـي أي فيديـو أو صـورة مـن الأقمـار الاصـطناعيـة.

التحقق من مواقع مقاطع فيديو رسمية: غارات روسية في سوريا

منذ بداية حملتيهما الجويتين في سوريا والعراق على التوالي، نشر التحالف بقيادة الولايات المتحدة وروسيا مقاطع فيديو يدّعيان فيها أن قنابلهما تضرب أهدافاً عسكرية. هذه إحدى خصوصيات الحروب لجهة المعلومات: محتوى ربما لا ينتج ولا ينشر في ظروف أخرى غير الحروب. محتوى تصممه وتعرضه قوات عسكرية يمكن أن يستخدم لردع وتهديد الخصوم ومن أجل كسب الدعم والشرعية لدى الرأي العام. أدّى التحقق من مقاطع الفيديو الرسمية التي تلت الغارات الجوية إلى بعض النتائج المثيرة للاهتمام.

حين بدأ الجيش الروسي قصف مواقع في سوريا في سبتمبر 2015، ادّعى الرئيس بوتين أن هدف المهمة هو محاربة تنظيم الدولة. وزعمت التقارير الأولى لوزارة الدفاع الروسية بأن تنظيم الدولة كان الهدف الوحيد للنشاط العسكري الروسي. غير أن تحليلاً بناء على مصادر جماعية لمقاطع الفيديو التي تدّعي أنها للغارات الروسية والتي للمفارقة نشرتها السلطات الروسية بنفسها، سرعان ما كشفت أن بعض الادعاءات التي صدرت عنها لم تكن صحيحة وهو ما نوضّحه في مثالين نعالجهما لاحقاً.

تحرّكت "بيلّينغكات" بعد اكتشاف أن مقطعي فيديو لوزارة الدفاع الروسية تدّعي أنهما صوّرا في الرقة التي يسيطر عليها تنظيم الدولة أو قريباً منها، على بعد أكثر من 100 كيلومتر غرب المدينة وذلك بعد تحديد موقعهما الجغرافيين. وقررت اختبار هذه الادعاءات بإطلاق حملة مشتركة لاستخدام منصة التحقق "تشيك" Check [60] لتحديد المواقع الجغرافية وجمع معلومات إضافية عن هذه مقاطع الفيديو الرسمية، وكانت النتائج ملفتة.

---

[60] «تشيك» هي منصة رقمية تعاونية للعمل الجماعي على التحقق من المعلومات التي تنشر على وسائط متعددة، وقد طوّرتها «ميدان» Meedan وهي حالياً نسخة تجريبية.

فقد تبيّن بعد التحقق أن بعض مقاطع الفيديو مصوّرة فعلاً في المواقع التي تشير إليها عناوينها والوصف المرافق لها، غير أن عدداً كبيراً آخراً منها قدّم ادعاءات غير دقيقة حول الأراضي المستهدفة أو حتى قدّمت موقعاً خاطئاً تماماً.

ويدّعي فيديو نشر على حساب وزارة الدفاع الروسية على "يوتيوب" بأنه يظهر غارة على "مخزن ذخيرة" تابع لتنظيم الدولة في محافظة الرقة [61]. وتوحي الوزارة أن الغارة نفّذت قرب الطبقة غرب الرقة. غير أنه كما هي الحال في عشرات مقاطع الفيديو الأخرى، تم تحديد الموقع الجغرافي الحقيقي للفيديو ليظهر أنه على بعد 115 كيلومتر من الباب في محافظة حلب. وليس واضحاً سبب ادّعاء الوزارة حصول الغارة في موقع خاطئ كون المنطقتين تسيطر عليهما تنظيم الدولة في الوقت ذاته.

غير أن مقاطع فيديو أخرى ادّعت الوزارة أنها لغارات ضد أهداف لتنظيم الدولة، تبيّن بعد تحديد موقعها الجغرافي أنها استهدفت مناطق لا وجود معروف فيها للتنظيم؛ ما يوحي أن روسيا بدلاً من ذلك استهدفت مجموعات معارضة أخرى. مثال على ذلك، غارة جوية يقال إنها وقعت في الرقّة بحسب وزارة الدفاع ولكنّ تم تحديد موقعها في اللطامنة في محافظة إدلب. وفي حين صنّفت وسائل إعلام وناشطون المنطقة على أنها "تابعة للمعارضة"، فإنّ الادعاء بعدم وجود تنظيم الدولة يمكن حتى إثباته بمعلومات الوزارة نفسها في خريطة السيطرة على الأراضي التي عرضتها في مؤتمر صحافي. فعبر استعمال هذه الخريطة فوق خريطة "جوجل إرث" عن طريق التراكب Overlays مع مقاطع فيديو الغارات التي تم تحديد مواقعها ومسحها، تبيّن أن هذه الغارة ليست الوحيدة التي استهدفت أراض لا يسيطر عليها تنظيم الدولة بل الكثير غيرها. يشار إلى أن هذا وقع في العام 2015، إذ إن روسيا نشرت في مراحل لاحقة المزيد من مقاطع الفيديو تظهر غارات على أراضٍ بالفعل يسيطر عليها تنظيم الدولة.

---

[61] وزارة الدفاع الروسية، فيديو على يوتيوب بعنوان: « Авиаудар по складу террористов в провинции PAKKA»، نوفمبر ٢٠١٥، https://www.youtube.com/watch?v=kW٩RqQYGa٠Y (تم الاطلاع عليه في ١٤ يوليو ٢٠١٧).

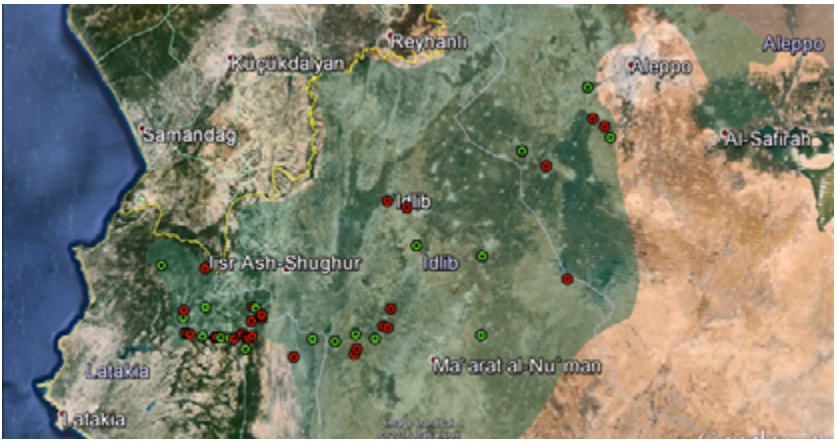

لقطة شاشة لـ"جوجل إيرث" مع صورتين متراكبتين. أولاً الألوان الخضراء والسوداء وغير الملونة هي مناطق خاضعة للسيطرة وفقاً لخريطة نشرتها وزارة الدفاع الروسية. ثانياً، الدوائر هي الغارات التي تم تحديد مواقعها الجغرافية حيث يحدد اللون الأخضر الموقع الصحيح الذي حددته الوزارة الروسية والأحمر للموقع غير الصحيح.

قد يكون أكثر فيديو مثير للصدمة بعد تحديد موقعه هو الفيديو الذي نشر في كانون الأول/ديسمبر 2015. فقد أصدرت وزارة الدفاع الروسية فيديو لما ادّعت أنها "غارة ضد معمل تكرير نفط قرب خفسة" [62]. غير أن هذا المعمل لم يكن سوى منشأة لمعالجة المياه "تنتج ما معدّله 18 مليون لتر من المياه يومياً" وفقاً لممثلة اليونيسيف في سوريا هناء سنجر [63]. وبدا الهيكل الذي يظهر في فيديو الغارة مطابقاً لصور "جوجل إيرث".

[62] وزارة الدفاع الروسية على تويتر @mod_ Russia، «سوريا: غارة ضد معمل تكرير نفط قرب خفسة كبير»، ٢ ديسمبر ٢٠١٥، https://twitter.com/modrussia/status/672131862521905153?ref_src=twsrc%5Etfw ، (تم الاطلاع عليه في ١٤ يوليو ٢٠١٧). ورابط «يوتيوب» المدمج في التغريدة يأخذ إلى فيديو الغارة المزعومة للمصفاة: https://www.youtube.com/watch?v=vKbA_g-4zEE ، (تم الاطلاع على الرابط في ١١ أغسطس ٢٠١٧).

[63] هناء سنجر، «يونيسف، بيان هناء سنجر ممثلة يونيسيف في سوريا حول الغارات ضد منشأة معالجة المياه في الخفسة بحلب»، أطفال سوريا. ١ ديسمبر ٢٠١٥. http://childrenofsyria.info/2015/12/01/statement-byhanaa-sing-er-unicef-representative-in-syria-on-air-strikesagainst-the-al-khafsa-water-treatment-facility-in-aleppo/ ، (تم الاطلاع على الرابط في ١٤ يوليو ٢٠١٧).

صور أقمار اصطناعية من "جوجل إيرث" (إلى اليمين) تكشف أن ما يفترض أنه معمل تكرير نفط قرب خفسة بسوريا (إلى اليسار) ليس سوى منشأة الخفسة لمعالجة المياه التي تقع عند 38.041224، 36.178345. الصورة (اليسار) من وزارة الدفاع الروسية والصورة الثانية (إلى اليمين) من "خرائط جوجل".

أكّد تحليل إضافي للصور التي التقطت على مستوى الأرض للمنشأة أنها بالفعل منشأة لمعالجة المياه وليست معملاً لتكرير النفط كما تدّعي وزارة الدفاع الروسية. بالإضافة إلى ذلك، فإننا باستخدام البحث عن ملفات على جوجل، حصلنا على وثيقة رسمية للشركة الألمانية التي أعادت تأهيل منشأة معالجة المياه ـ ما أضاف إلى الأدلة السابقة بأن ما استهدفه الطيران الروسي ليس معمل تكرير نفط كما زعمت وزارة الدفاع بل منشأة لمعالجة المياه.

تلك كانت جميعها أمثلة على كيفية تحليل اللقطات الجوية بالمقارنة مع صور الأقمار الاصطناعية لتبيان الحقائق. واليوم يعتبر تحديد الموقع الجغرافي مفيداً لمطابقة المشاهد الأرضية مع صور الأقمار الاصطناعية. وهذه الطريقة استخدمت أيضاً لإثبات وجود طفلة في السابعة من العمر في سوريا كما سوف تظهر دراسة الحالة التالية والأخيرة التي سنعرضها.

إثبات وجود طفلة في السابعة من العمر في حلب

مع تطويق قوات "الحكومة السورية" لمدينة حلب في أواخر العام 2016، أعطت طفلة اسمها بانا العابد صوتاً للعديد من المدنيين العالقين

في شرق المدينة الذي تسيطر عليه المعارضة. وبمساعدة والدتها فاطمة، الضليعة في استخدام المنصات الاجتماعية والتي تتحدث الإنجليزية بطلاقة، نشر حساب بانا على تويتر صوراً من حياتها اليومية لتجذب أكثر من 300 ألف متابع بينهم مؤلّفة سلسلة هاري بوتر، جاي كاي رولينغ.

ولكن للأسف سرعان ما جعل سطوع نجم بانا عالمياً منها هدفاً في المعركة على الإنترنت حول مسألة التضليل المزعوم حول سوريا. ففي مقابلة، خلط الرئيس بشار الأسد بين بانا العابد و"الإرهابيين وداعميهم" معتبراً أن حسابها على تويتر ليس سوى "لعبة" و"بروباغندا" [64]. واستغرب منتقدون على الإنترنت المستوى الممتاز لطفلة في السابعة في الكتابة بالإنجليزية أو وجود كهرباء وإنترنت في بيتها الواقع تحت الحصار في شرق حلب. ومع اتساع انتشار الشكوك حول حسابها، قرر اثنان من متطوّعي "بيلّينغكات" دراسة حساب بانا على تويتر، ليتحققا فعلياً من حياة ابنة السابعة من العمر.

استخدم التحقيق المعتمد على مصادر مفتوحة أساليب وأدوات مثل جمع الأخبار من الإعلام الاجتماعي وتحليل السياق والتحقق من عدة مصادر وتحديد الموقع الجغرافي وصور الأقمار الاصطناعية، لدراسة وجود بانا وأصالته. فتمكّنا مثلاً من الوصول إلى أن بانا تغرّد بالفعل من شرق حلب وليس من تركيا كما ادّعى بعض المنتقدين. ودرس فريق "بيلّينغكات" مقاطع الفيديو الخاصة بها والصور التي نشرتها على "بيريسكوب" Periscope وتويتر بينها لقطات تظهر فيها بانا شخصياً، وحدد موقعها الجغرافي في المنطقة المحيطة بمجمّع الشقق نفسه في شرق حلب حيث تدّعي بانا بأنها تعيش. واستعان الفريق بالصور المتوفرة مجاناً على "جوجل" و"خرائط بينغ" Bing Maps. ودعمت صور أحدث من الأقمار الاصطناعية أيضاً الادعاء بأن منزل عائلة بانا تعرّض للقصف في 27 نوفمبر 2016.

---

[64] "السيّد بشار الأسد، أنا لست إرهابية، أريد فقط أن أعيش"، طفلة السابعة تغرّد مخاطبةً الأسد من حلب». «آي تي في» ITV. ٦ أكتوبر ٢٠١٦. http://www.itv.com/news/2016-10-06/sir-assad-im-not-a-terrorist-i-just-want-to-live-girl-7-tweets-president-from-aleppo/ (تم الاطلاع على الرابط في الأول من أغسطس ٢٠١٧).

كذلك استطاع الفريق تحديد العديد من الحقائق المتعلقة بمزاعم أخرى:

1. عبر تحليل مقاطع فيديو بانا على "بيريسكوب"، ومراجعة التقارير الإخبارية حولها (من "بي بي سي" BBC و"سَت آه ويت" Sept à Huit) توصّلا إلى أن بانا وعائلتها يحصلون على الكهرباء بألواح الطاقة الشمسية المثبتة على سطحهم. وتلك الألواح تسمح لهم بشحن بطارية سيّارة كانوا يستخدمونها لشحن هواتفهم.

2. أما بالنسبة للاتصال بالإنترنت، فقد دقق الفريق في تغريدات وأخبار وتقارير من شركة حلول تكنولوجيا الاتصالات Dyn ليتوصّلوا إلى أنه ثمة طرق متعددة قد تكون استعملتها بانا وفاطمة للوصول إلى الإنترنت.

3. بحسب ما ذكر في حساب بانا على تويتر، فإن والدتها فاطمة التي تتحدث الإنجليزية، هي التي كتبت غالبية التغريدات. وكانت فاطمة صريحة وواضحة بخصوص كونها هي من تدير الحساب.

الصور ومقاطع الفيديو التي نشرتها بانا العابد على حسابي بيريسكوب وتويتر يمكن أن تحدد موقعها الجغرافي بأنه في حي شرق مدينة حلب باستخدام صور متوفرة من الأقمار الاصطناعية. وتساءل منتقدون على الإنترنت ما إذا كانت الطفلة البالغة من العمر سبعة أعوام فعلاً في سوريا أم تغرّد من تركيا أو بلد آخر؟[65].

[65] نيك ووترز، «العثور على بانا - إثبات وجود طفلة في السابعة في شرق حلب» Finding Bana – Proving the Existence of a Year-Old Girl in Eastern Aleppo-V. «بيلّينغكات»، ١٤ ديسمبر ٢٠١٦. https://www.bellingcat.com/news/mena/2016/12/14/bana-alabed-verification-using-open-source-information/ (تم الاطلاع على الرابط في ١٤ يوليو ٢٠١٧).

ولاحقاً سقط الحي الذي يقع فيه بيت عائلة بانا في قبضة "الحكومة السورية" والقوات الحليفة لها في 3 ديسمبر. وبالنتيجة تم نقل بانا وعائلتها إلى منطقة تسيطر عليها المعارضة في الجزء الغربي لمحافظة حلب في أواخر ديسمبر 2016 إلى جانب آلاف من الذين نقلوا من شرق حلب.

التفاصيل الكاملة حول التحقيق بالمصادر المفتوحة موجودة على موقع "بيلّينغكات" الإلكتروني [66].

بإمكانكم فعل ذلك!

في عالم اليوم حيث تتم مشاركة الكثير من المعلومات، من السهل أن تنتشر الأخبار غير الدقيقة، لا سيما على صفحات الإعلام الاجتماعي. لذلك، فإن التحقق والتدقيق وتأكيد المعلومات الآتية من مناطق الحروب بالغ الأهمية وأساسي لمستقبل الصحافة أكثر من أي وقت مضى.
ناقشنا كيف أن اللجوء إلى تحقيق يستند إلى مصادر مفتوحة، مدعوماً بأدوات رقمية ومهارات صحافية أساسية، يمكن أن يساعدك في البحث عن قصص وفي نقلها بشكل دقيق إلى جمهورك. ووجدنا أن بحثاً بسيطاً عن الصور بشكل عكسي ينفع في حال كنت تحاول فقط التأكّد من أنّ صورة ما ترتبط بالقصة التي ترافقها. غير أنه في حالات أخرى حين تحاول الإجابة على أسئلة حول الجهة والموضوع والموقع والسبب والوقت والكيفية، سيكون عليك اعتماد مقاربة شاملة أكثر وهذا يتطلّب استعمال العديد من الأدوات والمهارات لتبيان الحقائق. وعملية الاكتشاف هذه ستأخذك إلى الخطوة التالية أو الادّعاء التالي أو المحتوى الذي أنتجه المستخدم والذي يحتاج أن تتحقق منه. باختصار، ستعرف ما هي مجموعة الأدوات والمنهجيات التي يمكن استخدامها لتحديد أصالة ومصداقية كل "واقعة". ولا تنس أبداً إبقاء ذهنك متيقظاً دائماً، والتساؤل حول كل شيء واعتماد مقاربة مبتكرة للمحتوى للتحقق منه. فهدفك أن تبني صورة واضحة قدر الإمكان. وإن فشلت في ذلك، كن صريحاً مع جمهورك واعترف ببساطة بأنّك لا تعرف. وفي النهاية وقبل أن تنتبه، ستكون قد تحوّلت إلى محقق رقمي حقيقي.

---

[66] ووترز، المرجع ذاته، ديسمبر ٢٠١٦.

الفصل الثامن

قصص الحرب على صفحات الإعلام الاجتماعي: أخلاقيات الاستخدام والتفاعل مع الجمهور

صخر الماخذي

أصبحت ويلات الحرب اليوم في متناول الجماهير أكثر من أي يوم مضى. فقد أصبحوا يصلون إلى مقاطع الفيديو الأصلية من الناشطين ومقاطع الفيديو غير الخاضعة للرقابة بالسرعة ذاتها التي يصل إليها الصحافيون أو حتى قبلهم في بعض الأحيان. كذلك سمح انفتاح المراسلين على الجمهور، حتى العاملين في الصحافة التقليدية المطبوعة والمرئية والمسموعة، والذي انعكس في التفاعل بينهم وبين متابعيهم على تويتر، سمح للمشاهدين بأن يدخلوا إلى كواليس الأحداث. وأصبح الناس اليوم جزءاً من دورة الأخبار بدلاً من أن يكتفوا بمشاهدة تقارير معدّة سابقاً في نشرة الأخبار المسائية.

تسمح مشاهدة "الجزيرة بلس" AJ+ برؤية شيء مختلف جداً في طريقة تغطيتنا للنزاع. فنحن لا نصل عبرها فقط إلى جماهير جديدة على منصات جديدة، بل نغيّر أيضاً طريقتنا في إخبار القصص الصحافية. ويسمح لنا جمهور الأخبار على الشبكات الاجتماعية والجمهور الذي يتمتّع بثقافة إعلامية أكبر، لا بل يجبرنا على تجديد الطريقة التي نغطّي فيها الحرب والنزاع. ويطالبنا الجمهور بألاّ نحذف شيئاً من تغطياتنا الإخبارية. فقصصنا تظهر أولاً على صفحات التغذية الإخبارية لدى المستخدمين (News feed) ما يعني أنها هي التي تأتي إليهم وليس العكس. فجمهورنا لا يختار الجلوس ومشاهدة الأخبار المسائية، بل يصادفونها أثناء تصفّحهم الأخبار على فيسبوك أو على تويتر. ولذلك انعكاسات على كيفية قيامنا بعملنا.

مـاذا يعنـي ذلـك؟ يعنـي أن علينـا أن نحـرص علـى عـدم النشـر المفاجـئ للمقاطـع الصادمـة فـي بدايـة أي فيديـو. فمـن الأفضـل أن نحضّـر الجمهـور لمـا سيشـاهدونه سـواء عبـر مقدّمـة توضيحيـة أو عـن طريـق أسـلوب إخبارنـا القصـة الصحافيـة. وهـذا الجمهـور لا يقـدّر الفيديـو المجانـي الـذي لا يعالـج قضيـة اجتماعيـة أكبـر. ولكـن حيـن نعـرض مقطـع فيديـو يتضمّـن مشـاهد صادمـة يجـب أن يكـون لدينـا سـبب وجيـه لذلـك. كمـا أننـا أحيانـاً قـد نقـع فـي الخطـأ ويسـارع جمهورنـا إلـى لفـت نظرنـا.

حلقة ردود الفعل

لـدى الإعـلام الاجتماعـي بُعـد فريـد خـاص بـه بسـبب حلقـة ردود الفعـل التـي تنشـأ فيـه وانخـراط الجمهـور. ففـي "الجزيـرة بلـس"، تعتبـر لحظـة نشـر الفيديـو بمثابـة بدايـة حلقتنـا الإخباريـة علـى عكـس العديـد مـن الصحافييـن التلفزيونييـن الذيـن ينتهـي عملهـم بمجـرّد أن يبـث تقريرهـم علـى الهـواء. فبيـن المراسـلين التلفزيونييـن والجمهـور لا يوجـد تفاعـل فـوري ومباشـر، علـى الأقـل ليـس بالطريقـة ذاتهـا كمـا فـي الإعـلام الاجتماعـي.

غالبـاً مـا يعـرف جمهورنـا عـن القصـة الصحافيـة التـي نعمـل عليهـا أكثـر منّـا. فبمجـرّد أن ننشـر فيديـو مـا، يبـدأ الجمهـور بالتأكـد مـن الحقائـق التـي يتضمّنهـا، وفـي حـال وجـدوا أي أخطـاء يعلّقـون فـي غضـون دقائـق. وهـذه مـن اللحظـات الأكثـر رعبـاً للمنتجيـن، إذ إنهـا تزيـد علينـا عـبء التحقـق أكثـر مـن الإعـلام المرئـي التقليـدي. فخانـة التعليقـات تقـع مباشـرة تحـت عملنـا وتسـمح للمشـاهدين بمناقشـة الحقائـق الـواردة فـي الفيديـو وانتقادهـا والتأكّـد منهـا مـن مصـادر جماعيـة. وعلـى عكـس الأخبـار التلفزيونيـة، لا تسـير تغطيتنـا باتجـاه واحـد، فمقاطـع الفيديـو التـي ننتجهـا ليسـت سـوى بدايـة المحادثـة.

كذلـك قـد تكـون خانـة التعليقـات طريقـة مفيـدة لإيجـاد مصـادر لقصـص صحافيـة أو لتطويـر قصـص أخـرى. فعلـى سـبيل المثـال، عرضنـا قصـة عـن أطفـال ولـدوا مدمنيـن علـى الهيروييـن (لأن الأم مدمنـة) وعـن المسـائل

الأخلاقية التي تثيرها هذه الحالة. فسارع بعض الضحايا إلى الانضمام إلى النقاش الذي دار في خانة التعليقات، حيث تفاعلوا مع جمهورنا وأجابوا عن أسئلتهم وعن أسئلة كل شخص شاهد الفيديو مجدداً. وكلّفنا إحدى المعلّقات بالكتابة عن تجاربها [67].

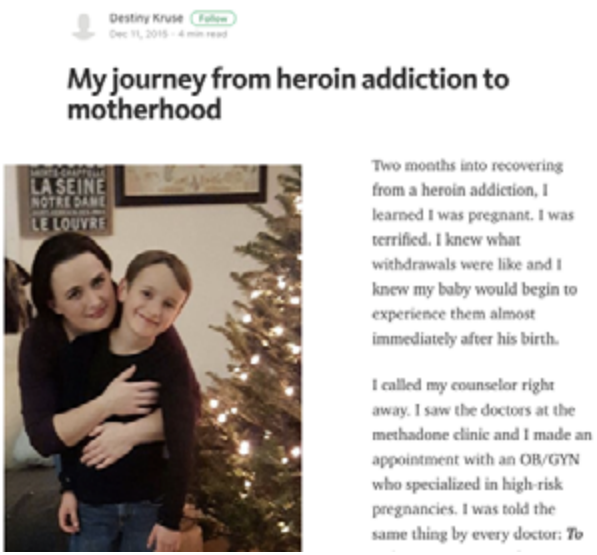

Destiny Kruse Follow
Dec 11, 2015 · 4 min read

My journey from heroin addiction to motherhood

Two months into recovering from a heroin addiction, I learned I was pregnant. I was terrified. I knew what withdrawals were like and I knew my baby would begin to experience them almost immediately after his birth.

I called my counselor right away. I saw the doctors at the methadone clinic and I made an appointment with an OB/GYN who specialized in high-risk pregnancies. I was told the same thing by every doctor: *To*

مقالة كتبتها دستني كروز عن شفائها من الإدمان على المخدرات وتجاربها كأم.

وحين نشرنا تقريراً عن عائلة سورية لاجئة تعيش بشكل غير قانوني في لبنان مع ولدين من ذوي الاحتياجات الخاصة يحتاجان إلى العلاج، وردتنا مئات عروض المساعدة. وكان الناس يعلّقون تحت الفيديو عارضين تقديم مساعدات مالية ومعدّات طبّية وحتى كفالة لتأشيرة الدخول. وتواصل هؤلاء المتبرعون مع منظمات غير حكومية في خانة التعليقات ونجحوا في مساعدة العائلة.

[67] دستني كروز، «رحلتي من الإدمان على الهيروين إلى الأمومة» My journey from heroin addiction to motherhood، ميديوم Medium، ١١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٥. تم الاطلاع على الرابط في ١٤ تموز/يوليو ٢٠١٧: https://medium.com/aj-story-behind-the-story/my-submission-for-aj-1bfc5cb3da1a

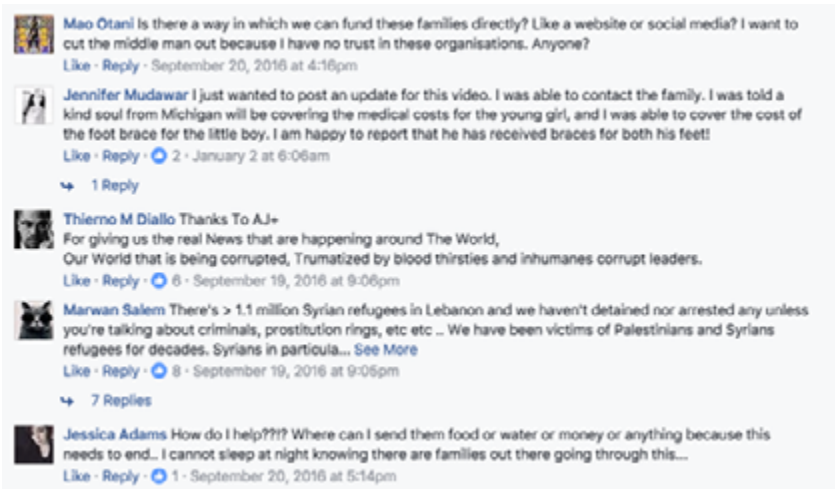

لقطة من الشاشة لخانة التعليقات على فيديو "لاجئون سوريون يعيشون بشكل غير قانوني".

نجحت حملة جمع التبرّع التي أطلقها "فريق محمد" في تخطّي هدفها المرسوم وهو 15 ألف دولار.

غطّينا قصّة طفل سوري لاجئ يعاني من مرض الشيخوخة (بروجيريا)، حيث كان يبدو كهلاً في جسم طفل. خلال شهرين شاهد فيديو الطفل 12 مليون شخص. من بين هؤلاء كان الرجل الذي سيصبح أول رائد فضاء مسلم والذي سافر إلى تركيا ليلتقي محمد البالغ من العمر 7 سنوات وسجّلنا اللقاء العاطفي حيث سلّمه الهدايا ورسم بسمة على وجهه. كذلك، تأثرت مجموعة نساء من الولايات المتحدة بالفيديو وقررن مساعدة

محمد. ونما فريق جمع التبرّعات من 10 أشخاص إلى أكثر من 100 داعم. وبدأوا حملة لمساعدة عائلة محمد لبدء عملية تقديم طلب لجوء لكي يعيش في بلد يؤمّن له الرعاية الصحية والتعليم الذي يحتاجه [68].

السلامة والأخلاقيات

يمكننا تقليص تكاليف تغطية الحروب والنزاعات من خلال إحالة جميع المخاطرات والمسؤوليات إلى موظفين مستقلّين لأن ذلك أقل كلفة من إرسال فريقك الخاص إلى الميدان. غير أن هذا النوع من القرارات دونه مسؤوليات كبيرة. لذلك فإن حماية فريقنا والعاملين بشكل مستقل معنا يجب أن يكون على رأس أولويّاتنا كمؤسسات إعلامية مرئية ومسموعة ومكتوبة. وللأسف كان مقتل مصوّر مستقل كان يلتقط صوراً لـ "رويترز" في حلب في العام 2013، درساً لنا جميعاً. فقد ذكّرنا بأنه ليس علينا أن نسعى وراء قصة صحافية مهما كان الثمن [69].

في "الجزيرة بلس"، تأتي معظم موادنا الأصلية من صحافيين مستقلّين. يثير ذلك بعض المسائل: حين يعرض الصحافيون المستقلّون أفكارهم علينا، وهم لم يخضعوا سابقاً ربما للتدريب على العمل في منطقة نزاعات أو لا يشملهم التأمين الذي نقدّمه لصحافيينا.

ولكنّ ثمة مسألة أكبر هنا، فالجزيرة هي واحدة من أكبر شبكات البث في العالم، وحتى لو تمكنّا من حماية أنفسنا والعاملين المستقلّين معنا، قد نخلق سوقاً خطرة. لذلك نتعامل بدقّة وحذر مع عملية تكليف صحافيين مستقلّين بحيث نأخذ في الاعتبار البلد الذي يأتون منه والمنطقة التي نفكّر في إرسالهم إليها. وبتنا لا نعيّن صحافيين مستقلّين في بعض

---

[68] «فريق حمد»، «حين نقرّ بأن الإعلام الاجتماعي ليس سيئاً تماماً» "When social media isn't all bad"، «ميديوم»، ٣١ كانون الثاني/يناير. تم الاطلاع على الرابط في ١٨ تموز/يوليو ٢٠١٧:
https://medium.com/aj-perspectives/when-social-media-isnt-all-bad-5fd3bc62e0d7

[69] «مقتل مصوّر سوري في حلب» Syrian photographer killed in Aleppo، «رويترز» ٢١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٣. تم الدخول إلى الرابط في ١٥ تموز/يوليو ٢٠١٧:
http://www.reuters.com/article/us-syria-crisis-photographer-idUSBRE9BK09T20131221

المناطق. ويعود ذلك إلى أنه إذا أصبح معروفاً أننا نأخذ مواد من صحافيين مستقلّين في سوريا مثلاً، فقد يتشجّع صحافيون عديمو الخبرة ليجرّبوا حظّهم أيضاً في الدخول إلى هذا البلد ومن ثم عرض أفكارهم علينا. لنأخذ مثلاً حالة سونيل باتيل الشاب البالغ من العمر 25 عاماً والذي دخل إلى سوريا ليتعلّم كيف يصبح صحافياً والذي نجا بأعجوبة فقط من الموت المحتّم [70]. وقصّة باتيل هي مثال على كيفية تحوّل بعض المناطق إلى مغناطيس للصحافيين الشباب. ولكنّها أيضاً تذكير بكيف يمكن أن تتضاعف مخاطر تغطية الحروب بسبب غياب التحضير والدعم من المنظمات الإعلامية والتأمين والتدريب.

ولكن رغم أننا غير قادرين على دخول بعض المناطق مثل سوريا، ورغم أنّي لا أعتقد أن علينا تكليف صحافيين من بعض الأماكن، إلاّ أنه يبقى بإمكاننا تغطية هذه القصص بفعالية. لا يجب أبداً أن نعتمد فقط على شبكة الناشطين. وعلينا أن نطوّر دائماً معايير تحقق خاصة بنا والتأكد من المصادر من أجل ضمان صحة المحتوى الذي ينتجه هؤلاء، أو يمكننا أن نستخدم مشاهد أنتجها مستخدمون وجرى التحقق منها من وكالات الأنباء. فمسؤوليتنا تقوم على التعامل مع الناشطين كموظفين مستقلّين. لذلك لا يمكننا أن نطلب منهم التقاط مشاهد لنا لمجرّد وجودهم في المكان والزمان المناسبين. ما يمكننا فعله هو دمج مشاهد من ناشطين مع مقابلات عبر سكايب نجريها من غرفة الأخبار. فنحن نجري مقابلات عبر سكايب مع أشخاص على الأرض ومن ثم نحررها بالطريقة ذاتها التي يتعامل معها الإعلام التقليدي مع مقابلات يجريها في الميدان.

هل يختصر ذلك الوقت والمال؟ لا أعتقد ذلك لأن مقاطع فيديو الناشطين يجب أن تخضع لعملية تحقق وتدقيق تماماً كمواد الصحافيين المستقلّين. ولكن الفرق أن ما نصوّره عادة بكاميرا احترافية في الميدان يمكن تصويره عبر سكايب (مشاهدونا يجيزون ذلك). وبالطبع فهناك دائماً رسالة شخصية يرغب الناشطون في إبرازها ولكننا دائماً نتحقق من مقاطع الفيديو المرسلة.

[70] سونيل باتيل، «ذهبت إلى سوريا لأتعلّم كيف أصبح صحافياً»، «فايس» Vice، ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٣. جرى دخول الرابط في ١٥ تموز/يوليو ٢٠١٧:
https://www.vice.com/sv/article/i-went-to-syria-to-learn-how-to-be-a-journalist

علينا أن نحافظ على سلامة زملائنا سواء كانوا موظفين دائمين أو مستقلين، من دون أن نفقد القصة. فالطريقة التي تتغيّر فيها الصحافة، بحيث يبني الصحافيون علاقات جديدة مع الجمهور الذي لم يعد مجرّد مشاهد بل أصبح مساهماً أيضاً، تعني أنّه لا يمكن أن نسمح بأن تفوتنا قصّة صحافية.

كيف تقرر التكليفات بشكل آمن؟

حين توزّع التكليفات أو المهام في منطقة نزاع، لا تدع المساهم المستقلّ يتحمّل مخاطر لا تسمح لأحد من موظفيك الدائمين أن يتحمّلها. ثمة بعض الأمور المهمة التي يجب أن تتحقق منها:

• هل لدى الصحافي المستقل الذي تتعامل معه بوليصة تأمين للعمل في منطقة نزاع؟ إن لم يكن لديه واحدة فهل يغطّيه تأمين مؤسستك؟ هل يجب أن تبلغ شركة التأمين؟ فالتأمين إجباري للصحافيين المستقلّين الذين يعملون من مناطق حرب.
• هل خضع الصحافي المستقل لتدريب على التغطية في مناطق النزاع؟ إن كان الجواب لا فهل تستطيع أن تضمن حصوله على التدريب قبل أن تعمل معه؟ تعتبر "ذا روري بيك تراست" The Rory Peck Trust مورداً جيداً جداً للصحافيين المستقلين [71].

• هل يتيح القانون لهذا الصحافي المستقل العمل في البلد الذي تكلّفه فيه؟ فحتى لو لم يكن الصحافي مستهدفاً من الأطراف المتحاربة، قد يواجه متاعب إن كان دخل البلد بتأشيرة سياحية، وهذا الأمر يمكن أن يشكّل خطراً على صحافيين مستقلين آخرين أو حتى على فريقك العامل في ذلك البلد.

• هل لديك مكتب في البلد الذي تكلّف فيه الصحافي المستقل أو متخصص في شؤونه في غرفة الأخبار؟ هل ثمة مخاطر خاصة فقط بهذا البلد عليك أنت والصحافي المستقل أن تحذرا منها؟ هل أبلغت مكتبك المحلّي بأنك تكلّف صحافياً مستقلاً في بلده؟ (في حال واجه متاعب فإن أول باب تطرقه السلطات هو باب مكتبك في هذا البلد. أضف إلى ذلك أن الصحافي سيشعر بأمان أكثر إذا كان مدعوماً من مكتبك المحلّي كما أنه سيتصّل بالمسؤولين فيه لطلب المساعدة).

• هل الصحافي يعمل مع منسق محلّي؟ إن لم تكن الحال كذلك فلمَ لا؟ هل تعرف أي منسقين في المنطقة يمكن الوثوق بهم؟

• هل المهلة والأجر الذي تدفعه مقبول وعادل؟ فقد يشجّع الأجر المنخفض أو المهلة الضيّقة بشكل غير ضروري الصحافي الحر على المخاطرة وتخفيض التكاليف.

[71] «روري بيك تراست» www.rorypecktrust.org: Rory Peck Trust

أصبحت مناطق الحروب أخطر الأماكن في العالم لعمل الصحافيين. ولكن لديها واجب مواصلة نقل القصص الصحافية لجماهيرنا. امتدت المأساة في سوريا لتصبح مقبرة للصحافيين، ولكنّ لا يجب أن نسمح بأن تتحوّل إلى مقبرة للصحافة.

الفصل التاسع

أكثر من شهود:
صحافة المواطن خلال الثورة المصرية

خالد فهيم

"قلْ ما تشاء ولكنّك ستدفع الثمن"
مدوّنة الفيديو سلمى الدالي [72]

مصوّر "رصد" مصعب الشامي أثناء تغطية احتجاج في مصر. قتل مصعب لاحقاً على يد الشرطة المصرية أثناء فض اعتصام ميدان "رابعة".

حكم مصر ثلاثة رؤساء منذ تأسيس الجمهورية بعد الحرب العالمية الثانية. تميّز كلٌ منهم من حيث الأسلوب والتركة، إلاّ أن أمراً واحداً جمع بينهم ألاّ وهو ازدراؤهم للمساءلة والصحافة الحرّة. وبلغ قمع المعارضة السياسية والإعلام ذروته في عهد الرئيس الأخير حسني مبارك ليتوّج بانتفاضة شعبية تدعو إلى سقوط نظامه [73]. وقادت البطالة المستفحلة في

[72] حنّة سيستك، «الصحافة الإلكترونية تزدهر في مصر ولكن القيود ترافقها» "Online Journalism Booms in Egypt, But Not Without Restriction"، «ميديا شيفت» Media Shift، ١٩ أيلول/سبتمبر ٢٠١١. تم الاطّلاع على الرابط في ١٤ تموز/يوليو ٢٠١٧:
http://mediashift.org/2011/09/online-journalism-booms-in-egypt-but-not-without-restriction262/

[73] يولاند نيل، «الثورة المصرية: ١٨ يوماً في ميدان التحرير» "Egypt›s revolution: 18 days in Tahrir Square"، «بي بي سي»، ٢٥ كانون الثاني/يناير ٢٠١٢. تم الاطّلاع على الرابط في ١٤ تموز/يوليو ٢٠١٧:

صفوف الشباب ووحشية الشرطة إلى نهاية حكمه الذي دام ثلاثة عقود. في الفترة التي سبقت ما أصبح يعرف بالربيع العربي، كان لأحداث رئيسية دور في تحديد ما قاد إلى الاحتجاجات الشعبية التي أطاحت بالرئيس المصري في العام 2011 [74]. وفي هذا السياق يجب قراءة هذا الفصل عن شبكة "رصد" الإخبارية الشبابية [75]. كيف تأسست "رصد"؟ والأهم لماذا تأسست وما هي الدروس التي يمكن أن نشاركها من تجربتنا؟

ولادة شبكة إخبارية رقمية جديدة

"رصد" هي اختصار للأحرف الأولى لثلاث كلمات: راقب وصوّر ودوّن [76]. تأسست في نهاية عام 2010 على يد مجموعة من الشباب المصريين الذين قرروا إنشاء صفحة على فيسبوك يقدّمون فيها تغطية إعلامية لانتخابات مجلس الشعب المصري في عام 2010. ففي تلك الفترة كانت معظم القنوات التلفزيونية الوطنية تخضع لسيطرة الحكومة المصرية. ولم يكن لأي من الأحزاب السياسية قناة خاصة باستثناء بعض الصحف وعدد محدود من المذيعين المعارضين لا سيما من اليسار والإخوان المسلمين.

قاد ظهور الإعلام الاجتماعي إلى إتاحة مساحة افتراضية للشباب الذي يرغب في كسر قيود الرقابة الحكومية. فـ "الحرية الافتراضية" التي حظينا بها سمحت لنا بإخبار العالم عن رأينا وعن مصر التي نريد. ومقابل استمرار سيطرة الحكومة على الإعلام، ولدت منصّة يمكن أن تكون لنا جميعاً. من هنا لا يمكن فهم ولادة "رصد" بشكل سليم من

http://www.bbc.com/news/world-middle-east-16716089

[74] جدول زمني: الثورة المصرية» "Timeline: Egypt›s revolution"، كانون الثاني ٢٠١١. تم الاطّلاع على الرابط في ١٤ تموز/يوليو ٢٠١٧: http://www.aljazeera.com/news/middleeast/2011/01/201112515334871490.html

[75] «رصد»: www.RASSD.com

[76] التغطية في منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا: التفاعل السيبيري ووسائل الإعلام الاجتماعي في العالم العربي Reporting in the MENA Region: Cyber Engagement and Pan-Arab Social Media، بقلم محمد عايش ونهى ميلور. يقال إنه كان لدى «رصد» مبادرات أخرى قادت إلى مبادرة «رصد» الرئيسية.

دون التفكير بالاتّصال والتقارب والتفاعل والتعبئة التي سهّلها الإعلام الاجتماعي.

وتمثّل هدفنا الأول في إطلاع الناس على حقيقة ما يجري في شوارعنا والكشف عن عمليات الاحتيال التي كنّا نشتبه بأنها شابت الانتخابات. فالحكومة أرادت الفوز في ذلك الاستحقاق لكسب الشرعية في عيون الشعب. ونظراً إلى أن الانتخابات السابقة شهدت الكثير من عمليات التزوير [77]، كنا على يقين بأن هذه الانتخابات لن تختلف كثيراً. وتشكّل فريقنا بشكل خاص من الطلاب. فنحن لم نكن صحافيين ولا حتى ندرس الصحافة والاتصال، بل كنّا آتين من جميع الخلفيات والمشارب. فبيننا طلاب في اختصاصات الطب والهندسة وإدارة الأعمال والتربية... إلخ. وكان البعض موظفاً بينما الباقون كانوا عاطلين عن العمل. والبعض كان يعيش في مصر والبعض الآخر كان يعمل في الخارج.

التقينا جميعاً على صفحات فيسبوك. ولا أخفي عليكم أننا لم نخض تجارب مكثفة في العمل الإعلامي ولم نكن نعرف إلى أين سيأخذنا هذا الطريق. ففي خضم حماسة وتوهّج الشباب يكون لدينا اعتقاد ثابت وساذج إلى حد ما بأنّ علينا أن نفعل شيئاً لبناء مستقبل أكثر إشراقاً لبلادنا. وما دفعنا بشكل خاص إلى خوض هذه المغامرة هو رغبتنا في تحفيز تغيير حقيقي في مصر. واعتبرنا الناس في الشارع حلفاءنا، فمعهم التغيير ممكن، وعبر قول الحقيقة وتسليط الضوء عليها بإمكاننا تأجيج حماسة الجمهور.

في المرحلة التالية بدأنا تعليم التصوير لمن يرغبون في نقل الأحداث وحتى تعليم كيفية استخدام كاميرا الهاتف المحمول بشكل سرّي لتوثيق الانتخابات المرتقبة، إضافة إلى كيفية استعمال تطبيقات البث المباشر.

---

[77] جاك شنكر، «حكّام مصر يشددون القبضة وسط ادعاءات بحصول عمليات احتيال وترهيب في الانتخابات»، Jack Shenker, "Egypt›s rulers tighten grip amid claims of election fraud and intimidation"، الغارديان ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٠. تم الاطلاع على الرابط في ١٤ تموز/يوليو ٢٠١٧:
https://www.theguardian.com/world/2010/nov/30/egypt-poll-electoral-fraud-claims

في الفترة التي سبقت الانتخابات، قمنا بحملة تعبئة عبر الإنترنت [78]. وفي النهاية نجحنا في تشكيل أكبر شبكة مراسلين متطوّعين في الذاكرة. وأسميناها "وحدة الرصد الميداني: برلمانيات 2010". هكذا بدأنا شبكتنا الإخبارية الرقمية التي اعتمدت على ما اعتبرنا أنه قيام مواطنين صحافيين بنشر أخبار بلدنا. كنّا نحن الناس وننتمي إليهم وأصبحنا صوتهم. وبالفعل عملنا تحت شعار: "من الناس وإليهم".

نجحت "رصد" في فضح التلاعب بالانتخابات في تلك السنة رغم أنّ الحكومة أعلنت فوزاً بنسبة 99% في الانتخابات كما هو متوقّع. وبالفعل أكسبت تغطية الانتخابات صفحتنا سمعة طيبة لنشرها حقائق موضوعية. ومهّد ذلك الطريق لنوع جديد وربما غير مسبوق من الصحافة في مصر والعالم العربي. فالأحداث التي تمخّض عنها ما يسمّى الربيع العربي في المنطقة بدءاً من تونس [79] تحوّلت إلى لحظات حاسمة في المشهد الإعلامي وكانت "رصد" في موقع جيّد للعب دور قيادي.

ورشة تدريب لمواطنين صحافيين في مكاتب شبكة "رصد" الإخبارية. الصورة من خالد فهيم.

[78] ماري كيت كاري، «مصر تقطع الإنترنت في وجه الثورة»، "Egypt Cuts the Internet in the Face of Revolution"، «يو إس نيوز»، ٢٨ كانون الثاني/يناير ٢٠١١. تم الاطّلاع على الرابط في ١٤ تموز/يوليو ٢٠١٧:
https://www.usnews.com/opinion/blogs/mary-kate-cary/2011/01/28/egypt-cuts-the-internet-in-the-face-of-revolution

[79] الربيع العربي: عام من الثورة»، "The Arab Spring: A Year Of Revolution"، «أن بي آر» NPR، ١٧ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١١. تم الاطّلاع على الرابط في ١٤ تموز/يوليو ٢٠١٧:
http://www.npr.org/2011/12/17/143897126/the-arab-spring-a-year-of-revolution

تغطية الثورة المصرية عبر الإنترنت: نموذج "رصد"

بعد تغطية الانتخابات المزوّرة في العام 2010، بدأنا تعزيز شبكتنا للمراسلين المتطوعين. وكان علينا الاعتماد على الناس لأخذ لقطات جيدة ودقيقة وهو ما شكّل تحدّياً لنا. فمهمّتنا الأساسية كانت أن ننقل إلى الجمهور الأخبار التي نتلقّاها بأكبر قدر ممكن من المهنيّة والموضوعية، وكانت الأخبار معظم الوقت من إنتاج مواطنين ليس لديهم أية خلفية في الصحافة [80].

لذلك كانت إحدى الطرق لتحسين تغطيتنا الإعلامية تقوم على تحسين مهارات مراسلينا. وبدأنا إعطاء تدريب إلكتروني مجاني على صحافة الهاتف المحمول واستخدام التطبيقات ذات الصلة لا سيّما "بامبيوزر" لنقل الأحداث بشكل حيّ كما ذكرت سابقاً. كذلك نشرنا سلسلة من المقالات حول كيفية استخدام الهواتف المحمولة بطرق صحافية، وكيفية التواصل بطريقة أكثر أماناً عبر رسائل فيسبوك أو البريد الإلكتروني.
نشرنا على منصّتنا مقاطع فيديو وصوراً التقطها متطوّعون ومراسلون. ولأهداف تتعلّق بالمصداقية وضعنا تصنيفاتنا الخاصة بالأخبار: الأخبار الموثّقة بالصور والفيديو نشرت تحت خانة "أخبار / مؤكّد / رصد"، وتلك بدون صور أو فيديو تحت " أخبار/ تقريباً مؤكد / رصد"، "RASSD/Almost confirmed/ News". وأسسنا غرفة أخبار في ميدان التحرير خلال التظاهرات. وكانت فرق أخرى من المراسلين في مدن مصرية مختلفة تغطّي الأحداث هناك عبر الإنترنت.

في اليوم الأول لتغطية ثورة 25 يناير في مصر، نجحنا في الوصول إلى 300 ألف متابع. وفي الأيام التالية تلقّينا أكثر من 20 ألف رسالة من مواطنين صحافيين أرادوا أن يخبروا ما يجري في مواقعهم عبر نشر أخبار على شبكتنا. غير أنّ النجاح السريع أصبح التحدّي الأكبر

---

[80] للاطلاع على نقاش حول فورة المنصات الإخبارية الإلكترونية اقرأ: حنّة سيستك، «الصحافة الإلكترونية تزدهر في مصر ولكن القيود ترافقها» "Online Journalism Booms in Egypt, But Not Without Restriction"، «ميديا شيفت» Media Shift، ١٩ أيلول/سبتمبر ٢٠١١. تم الاطّلاع على الرابط في ١٤ تموز/يوليو ٢٠١٧:
http://mediashift.org/2011/09/online-journalism-booms-in-egypt-but-not-without-restriction262/

لنـا. وكنّـا ملزميـن أن نبقـى مهنييـن وموضوعييـن قـدر الإمـكان أثنـاء تغطيـة الأحـداث. وتمثّـل أهـم إنجازاتنـا فـي ذلـك الوقـت فـي أنّ النـاس بـدأوا يؤمنـون بقدرتهـم علـى تغييـر الواقـع وبـأنّ لديهـم رأيًـا فيمـا يحصـل حولهـم. جـاء ذلـك نتيجـة تحـوّل صفحـات "رصـد" إلـى أكثـر مـن مصـدر للأخبـار، بـل أيضـاً إلـى مسـاحة للنـاس ليتفاعلـوا عبـر مناقشـة الظلـم الواقـع عليهـم وتسـليط الضـوء عليـه كـي يعرفـه الآخـرون.

خالـد فهيـم أثنـاء تغطيـة الاحتجاجـات فـي ميـدان التحريـر فـي كانـون الثانـي/ينايـر 2011. الصـورة مـن خالـد فهيـم.

اسـتخدمت شـبكات إعلاميـة كبـرى مثـل هيئـة الإذاعـة البريطانيـة "بـي بـي سـي" ورويتـرز والجزيـرة والعربيـة بعضـاً مـن أخبـار "رصـد" وصـورهـا وتابعتنـا علـى تويتـر. وبعـد أيـام فقـط مـن إطـلاق منصّتنـا الإلكترونيـة، أصبـح البـث الحـيّ لدينـا أساسـياً لوسـائل الإعـلام العالميـة الباحثـة عـن نقـل مـا يحصـل فـي مصـر.

أطلقنـا أيضـاً صفحـات بلغـات أخـرى غيـر اللغـة العربيـة وأسسـنا شـبكات بالإنجليزيـة والفرنسـية والتركيـة لتكـون أخبارنـا أيضـاً فـي متنـاول المصريين

الذين يتحدثون هذه اللغات. وما زالت معظم هذه الشبكات تغطّي أخبار الدول التي تأسست فيها، فيما توقّف الباقي بسبب غياب المتطوعين.
من المهام الأخرى التي أخذناها على عاتقنا كانت إجراء استطلاعات رأي حول الآراء السياسية وما يفضّله الناس. وأصبحت الآراء تتضح أكثر مع وصول الناس إلى معلومات لم تكن الحكومة هي التي تتحكّم فيها. ومنحت شفافيتنا واستقلالنا المواطنين الشعور بأن صفحتنا على فيسبوك هي صفحتهم بقدر ما هي صفحة من يديرونها.

وتضاعفت المشاكل حين قطعت السلطات خدمات الإنترنت والهاتف وهي خطوة نموذجية من النظام المتسلط لإسكات المعارضين [81]. فالتعتيم الإعلامي من شأنه أن يعيق الزخم. لذلك كان علينا الردّ والعثور على طريقة لاستمرار تدفّق المعلومات إلى جمهورنا. وقررنا أن نؤسس فريقاً خارج مصر يقوم دوره على جمع الأخبار ونشرها عبر ولوج صفحاتنا على فيسبوك وتويتر كي لا تكون دورة إنتاج الأخبار ونشرها مرهونة بأهواء الحكومة وسياسة الرقابة.

بعد تغطية الانتفاضة، أسسنا شبكات إخبارية مشابهة في الكثير من الدول العربية جميعها على مفهوم صحافة المواطن: شبكة شام الإخبارية في سوريا وشبكة القدس الإخبارية في فلسطين وشبكة برق في ليبيا وشبكة رصد الأردن و"رصد المغربية" في المغرب.

الاستقرار

تدريجياً تحوّل المتطوّعون معنا إلى موظفين. ونمت عملياتنا إلى أن أطلقنا في العام 2011 خدمات إخبارية متنوعة بينها الإشعارات الإخبارية على الهواتف المحمولة. وكنا نحقق مردوداً ضئيلاً من بيع صورنا ومقاطع الفيديو الإخبارية التي التقطناها. وقد منحتنا هذه الخدمات المزيد من

[81] مات ريتشل «مصر تقطع خدمات الإنترنت والهاتف»، "Egypt Cuts Off Most Internet and Cell Service"، «نيويورك تايمز» ٢٨ كانون الثاني/يناير. تمّ الاطلاع على الرابط في ١٤ تموز/يوليو ٢٠١٧:
http://www.nytimes.com/2011/01/29/technology/internet/29cutoff.html?mcubz=1

الاستقرار المالي وساعدتنا في التطوّر. فأسسنا مكتباً في وسط القاهرة وواصلنا تطوير مهارات مراسلينا وقدراتهم ولكن بوتيرة أبطأ.

استثمرنا في كاميرات ومعدات متطورة لاستبدال هواتفنا الذكية التي أفرطنا في استخدامها. وانطلق موقعنا الرسمي في نيسان/أبريل 2012. و"رصد" اليوم كيان إعلامي تنافسي ومهني جدّي في المشهد الإعلامي المصري.

توسّعنا بين العام 2011 وأواسط 2013، وأطلقنا إذاعة "رصد" الخاصة. وتوّجت جميع جهودنا في تأسيس مركزنا الإعلامي الخاص حيث استطعنا تدريب المزيد من المواطنين الصحافيين. ساعدتنا المصداقية والموثوقية اللتين طورّناهما في إطلاق برامج تعاون مع قنوات مثل الجزيرة ووكالات عربية وعالمية مثل وكالة الأناضول ودويتشه فيله الإخبارية ووكالة الشرق الأوسط الإخبارية. وكل ذلك يعتبر تأكيداً على تعطّش الناس للأخبار الحقيقية التي لا رقابة عليها. ومن دون مساندة هؤلاء الناس وهذه المنظمات لم يكن ذلك ممكناً.

"رصد" بعد انقلاب 2013

بعد الإطاحة بحكم الرئيس حسني مبارك، أصبحت تغطية الأخبار على الأرض أسهل [82]. فقد دخلنا مرحلة جديدة حيث كانت نسبة الحرية في مصر غير مسبوقة ولكن الأمور بدأت تتغيّر بعد الانقلاب العسكري في 3 تموز/يوليو 2013 [83]. وأصبح القتل والاعتقال والخطف والتهديد

---

[82] تقرير: مبارك يستقبل كرئيس للحزب الحاكم في مصر»، "Report: Mubarak resigns as head of Egypt›s ruling party"، «ويفز ٣ نيوز» Wave ٣ News، ٢٠١١. تم الاطلاع على الرابط في ١٤ تموز/يوليو ٢٠١٧:
http://www.wave3.com/story/13975907/report-mubarak-reisgns-as-head-of-egypts-ruling-party

[83] حاتم عزّام «الخونتا المصرية تفضّلها في يوليو» The Egyptian Junta Prefer it in July، «هافنغتون بوست». تم الاطلاع على الرابط في ١٤ تموز/يوليو ٢٠١٧:
http://www.huffingtonpost.com/hatem-azzam/the-egyptian-junta-prefer_b_5639590.html

بالعنف أموراً يواجهها جميع المساهمين في شبكتنا [84]. وكان ذلك جزءاً من حملة أوسع لفرض تعتيم إعلامي على الأحداث التي تشهدها مصر. ولكنّ "رصد" واصلت تحدّي الخطاب المهيمن رغم الترهيب بكل الطرق من خلال البقاء ملتزمة بمجموعة من القيم الأساسية: "أخلاقيات وميثاق الشرف الصحافي والالتزام بقيم الدقّة والتوازن والاستقلالية والنزاهة ونقل الحقيقة كما هي من دون أي انحياز أو تشويه" [85]. إلّا أن السلطات المصرية أغلقت مكاتبنا في القاهرة في تموز/يوليو 2013. وقتل زميلنا المصور الصحافي مصعب الشامي أثناء تغطية أحداث ميدان رابعة العدوية [86]. كما اعتقل العديد من زملائنا. وبحسب "هيومان رايتس ووتش"، "قاد استخدام قوات الأمن المصرية السريع والجماعي للقوة القاتلة لتفريق الاعتصامات في آب/أغسطس 2013 إلى أخطر حوادث القتل الجماعي غير القانونية في التاريخ المصري الحديث" [87]. أصبحت تغطية الأخبار في المرحلة اللاحقة أصعب، وازداد تشبّث السلطات بالسلطة. أصبح أي شخص يحمل هاتفاً محمولاً أو كاميرا ويسير في الشوارع مصدراً فورياً للشبهات من قبل السلطات. وفي هذه المرحلة، أصبحت شبكة المراسلين التي كانت لدينا في أنحاء المحافظات المصرية أهم من أي وقت لإبقاء الجمهور مطّلعاً على الأحداث. غير أن القمع الدموي الذي مارسته السلطات لم يؤذ ويعيق انتفاضة الشعب فحسب بل أيضاً سلامة

---

[84] شارلوت هاوسفيديل «الجيش المصري يواصل اعتقال الصحافيين الذين ينتقدونه» Egypt: Military continues detention of critical journalists، «أكاديمية دويتشه فيله» DW Akademie، ١٩ أيلول/سبتمبر ٢٠١٣، تم الاطلاع على الرابط في ١٧ تموز/يوليو ٢٠١٧:

http://www.dw.com/en/egypt-military-continues-detention-of-critical-journalists/a-17097666

مصوّر في «رصد» يدعى مصعب الشامي قتل أثناء تأديته عمله بأربع طلقات في الرأس والصدر أثناء قمع اعتصام رابعة. واتهمت السلطات بقتله.

http://www.dw.com/en/egypt-military-continues-detention-of-critical-journalists/a-17097666

اطّلع أيضاً على البيان الصحافي الذي أصدرته «رصد» في آب/أغسطس ٢٠١٣:

http://www.scoop.co.nz/stories/WO1308/S00486/rassd-news-network-brutal-killings-and-arrests.htm

[85] بيان «رصد» الصحافي «شبكة رصد الإخبارية: قتل وحشي واعتقالات»، RASSD News Network: Brutal Killings and Arrests، «رصد» ٢٧ أغسطس ٢٠١٣. تم الاطلاع على الرابط في ١٤ تموز ٢٠١٧:

http://www.scoop.co.nz/stories/WO1308/S00486/RASSD-news-network-brutal-killings-and-arrests.htm

[86] « مصر ـ قوات الأمن استخدمت القوة المميتة بإفراط» Egypt: Security Forces Used Excessive Lethal Force، ١٩ أغسطس ٢٠١٣. تم الاطلاع على الرابط في ١٤ تموز ٢٠١٧:

https://www.hrw.org/news/2013/08/19/egypt-security-forces-used-excessive-lethal-force

[87] هيومان رايتس ووتش»، ٢٠١٣، المرجع نفسه.

مراسلينا على الأرض. حكم النظام بيد من حديد، ومرة أخرى كان علينا أن نعتمد بالكامل تقريباً على مواطنين صحافيين خاطروا بحياتهم مع كل تقرير كانوا ينشرونه.

ملصق صممته "رصد" يعلن وفاة الصحافي مصعب الشامي في العام 2013. الصورة من "رصد".

المستقبل

كانت توجهاتنا التحريرية واضحة خلال التطورات السياسية والتغييرات في مصر. دعمنا الثورة وشبابها والشخصيات التي ولدت منها. بعد ذلك، بدأت "رصد" تخدم الثورة. وارتبط أساسها بمفهوم "الإعلام التصعيدي والموجّه" نظراً إلى أنها تأسست في وقت حرج وحساس، وهذا أمر يمكن أن نتفق أو نختلف بشأنه. قبيل اندلاع الثورة وتغطيتها الحية لحادث تفجير كنيسة القديسين في الإسكندرية ليلة رأس السنة 2011، تمّت تعبئة الناس للاحتجاج ضد النظام الحاكم قبل 25 يناير من عام 2011 بالتنسيق مع صفحة "كلّنا خالد سعيد" أشهر الصفحات التي عبأت الجمهور ضد حكم مبارك منذ مقتل الشاب خالد من الإسكندرية على يد الشرطة المصرية. أصبح خالد أيقونة في وجه استبداد الشرطة المصرية وظلمها. وهكذا لعبت "رصد" دوراً كبيراً في تغطية أحداث الثورة [88].

[88] مختار عوض: «دور الإعلام التقليدي والجديد في صراع السلطة داخل جماعة الإخوان المسلمين المصرية» The role of traditional and new media in the Egyptian Muslim Brotherhood's internal power struggle، «مشروع العلوم السياسية للشرق الأوسط» Project on the Middle East Political Science، ٢٨ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٦. تم الاطلاع على الرابط في ١٤ يوليو ٢٠١٧: https://pomeps.org/2017/01/23/the-role-of-traditional-and-new-media-in-the-egyptian-muslim-brotherhoods-internal-power-struggle/#_ednref2

زاد كلّ ذلك من طموحنا وإرادتنا لتحدّي تغيير مصر إلى الأفضل. فنظام مبارك واليوم نظام السّيسي يعتبراننا شبكة إعلامية معارضة. ومنذ الثورة المضادة، انزلقت مصر مجدداً إلى نموذج قمعي من الحكم وأصبحت الصحافة الحرة وحرية التعبير في أدنى مستوى لها منذ سنوات [89]. وتقول "هيومان رايتس ووتش" إن انتقاد الجمهور في مصر محظور عملياً [90]. لذلك أنا اليوم أعيش في المنفى في تركيا.

حاول النظام المصري تجريدنا من الشرعية عبر وصفنا بالمنحازين وأصحاب التوجهات السياسية [91]. واتهمنا كثيرون بالانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين. ولكنّ ليس في نيّتي الدخول في هذا السجال وبدلاً من ذلك سأشارككم دروساً استقيناها من تجربتنا في تغطية أحداث مصر والربيع العربي. فمقابل اتهامات الحكومة، وصفنا البعض بأننا ناشطون مناصرون للديمقراطية، بينما اعتبر آخرون ببساطة أننا لا ننقل الأخبار بل نحاول فبركتها.

---

[89] «مصر: صحافي شبكة رصد الإخبارية رهن الاحتجاز التعسفي منذ أغسطس ٢٠١٣»، Egypt: RASSD News Network Journalist Arbitrarily Detained Since August ٢٠١٣، «الكرمة»، ٢ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٤. تم الاطلاع على الرابط في ١٤ يوليو ٢٠١٧:
https://www.alkarama.org/en/articles/egypt-RASSD-news-network-journalist-arbitrarily-detained-august-2013

[90] «مصر أحداث عام ٢٠١٦»، Egypt Events of ٢٠١٦، «هيومان رايتس ووتش». تم الاطلاع على الرابط في ١٤ يوليو ٢٠١٧: https://www.hrw.org/world-report/2017/country-chapters/egypt

[91] «مصر تحكم على ثلاثة صحافيين بالسجن المؤبد» Egypt sentences three journalists to life in prison، لجنة حماية الصحافيين، ١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٤. تم الاطلاع على الرابط في ١٤ يوليو:
https://cpj.org/2015/04/egypt-sentences-three-journalists-to-life-in-priso.php

Journalists' appeal accepted in Rabaa trial

Abdullah Al-Fakharany, Samy Mostafa and others were sentenced to life imprisonment

Amira El-Fekki December 3, 2015 0 Comments

قصاصة جريدة تتحدث عن محاكمة صحافيي "رصد" في العام 2015. حينها اتهم العديد من الصحافيين بـ "تعكير صفو الأمن وإثارة الفوضى" أثناء تغطية تفريق الاعتصامات المناهضة للانقلاب العسكري. كذلك اتّهم صحافيو "رصد" بـ "إعداد غرفة عمليات لتوجيه الإخوان المسلمين بهدف مواجهة الدولة". وبالطبع نفى الصحافيون جميع التهم الموجّهة إليهم. الصورة من "غيتي" Getty Images.

أعتقد أن تصنيف وسائل الإعلام ليس المشكلة ولا حتى جزءاً منها. فأنت لا يمكنك أن تكون حيادياً بالكامل في وضع سياسي معقد مثل الوضع في مصر [92]. فعلى سبيل المثال أعلنت "نيويورك تايمز" تأييدها لهيلاري كلينتون خلال الانتخابات الرئاسية الأميركية. ولكن الأهم أن تحافظ على مصداقيتك وموضوعيتك وأن تبقى أخلاقياً أثناء تطبيق المعايير الصحافية في تغطية الأحداث [93]. عليك أن تبقى ملتزماً بالحقيقة وأن تحمي حق

[92] الكرمة، المرجع نفسه. ٢٠

[93] «هيئة مفوضي الدولة تعارض حظر شبكة رصد الإخبارية» Egypt›s State Commissioners oppose banning RASSD News Network، «الأهرام أونلاين»، ٦ سبتمبر ٢٠١٥. تم الاطلاع على الرابط في ١٤ يوليو ٢٠١٧: http://english.ahram.org.eg/NewsContent/1/64/139803/Egypt/Politics-/Egypts-State-Commissioners-oppose-banning-RASSD-Ne.aspx:

الناس في الوصول إلى المعلومات. عليك لعب دور رئيسي في تسليط الضوء على الأخبار المفبركة والكاذبة [94]. عليك أن تحافظ على دورك في إرساء حالة من الوعي من خلال توعية القرّاء على الأحداث التي تحصل في المجتمع. تجربة "رصد" مثرية لنا ولمتابعينا. وتعلّمنا وما زلنا نتعلّم من نجاحاتنا ومن أخطائنا أكثر. ونأمل أن تكون تجربتنا إلهاماً ومنصة لانطلاق نجاحات مقبلة وتجارب جديدة في منطقتنا والعالم.

[94] «رصد تتحدّى صحيفة لنشر مقابلة السيسي كاملة» RASSD challenges newspaper to publish full Al-Sisi interview، «ميدل إيست مونيتور» Middle East Monitor، ٥ شباط/فبراير ٢٠١٤. تم الاطلاع على الرابط في ١٤ يوليو ٢٠١٧:
https://www.middleeastmonitor.com/20140205-RASSD-challenges-newspaper-to-publish-full-al-sisi-interview/

القسم الثالث

نحو صحافة أفضل وأكثر أماناً

الفصل العاشر

حماية الصحافيين بموجب قانون حقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي

أبو عباس

البحث في مسألة حماية الصحافيين بموجب القانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني في زمن السلم والحرب، هي مهمة على كل صحافي يغطّي الحرب أو النزاع أن يقوم بها [95]. فصحيح أن الاطّلاع على الأحكام القانونية ذات الصلة وفهمها قد يكون أحياناً مملاً ومربكاً، إلاّ أن هذه المعرفة من شأنها أن تساعدك للحفاظ على سلامتك.

ستستعرض هذه الصفحات وتناقش مراجعة إطار العمل القانوني الذي من الضروري قراءته قبل التوجّه إلى مناطق الحروب. ويوضح القسم الأول كيف يشكّل القانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني إطار عمل لحماية الصحافيين وحقوقهم. ويسلّط الضوء على المعاني التي تحملها مفاهيم: الصحافيون والقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني والروابط بينها. ويشرح عرض النظام القانوني الذي يحكم حماية الصحافيين. أما القسم الثاني فيظهر كيف أن سلامة الصحافيين، بغض النظر عن ذلك النظام القانوني لا تزال مصدر قلق أساسي وتحدٍ للمجتمع الدولي لا سيما في العالم العربي. فهذه المنطقة تعتبر مسرح العمليات الأخطر على الصحافيين [96]. لذلك فهي تتطلّب بعض التبصّر نظراً إلى غياب الاستقرار في المنطقة.

[95] اقرأ تعريف القانون الإنساني الدولي: https://www.icrc.org/en/document/what-international-humanitarian-law.
تعريف الأمم المتحدة للقانون الدولي لحقوق الإنسان: http://www.un.org/en/sections/universal-declaration/foundation-international-human-rights-law/index.html
تمت مراجعة الرابط في أيار/مايو ٢٠١٧.

[96] لجنة حماية الصحافيين تفصّل عدد الصحافيين الذين قتلوا في الشرق الأوسط وشمال افريقيا منذ العام ١٩٩٦. ستة من بين الدول العشرين الأخطر في العالم موجودة في هذه المنطقة: https://cpj.org/killed/

I. القانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني كإطار عمل لحماية الصحافيين

الصحافيون هم «رجال ونساء يقدمون المعلومات كأخبار لجماهير الصحف والمجلات والقنوات الإذاعية والتلفزيونية والإنترنت [97]. ويشمل الصحافيون جميع موظفي الإعلام وموظفي الدعم فضلاً عن الموظفين في الوسط الإعلامي و"المواطنين الصحافيين" حين يلعبون هذا الدور بشكل مؤقت» [98].

أما حقوق الإنسان فهي حقوق أساسية وحريات متأصلة في جميع البشر، مهما كانت جنسيتهم، أو مكان إقامتهم، أو نوع جنسهم، أو أصلهم الوطني أو العرقي، أو لونهم، أو دينهم، أو لغتهم، أو أي وضع آخر. ويتم التعبير عنها في مجموعة من القواعد الدولية التي أنشئت بواسطة معاهدة أو عرف، لا سيما القانون الدولي لحقوق الإنسان، والتي على أساسها يمكن للأفراد والجماعات أن يتوقعوا من الحكومة و/أو يطالبونها بالعمل بطريقة معيّنة أو بمنحهم امتيازات معينة. في المقابل، ثمة عدد كبير أيضاً من المبادئ والتوجيهات التي لا تستند إلى معاهدة وهي تندرج تحت معايير

---

[97] The News Manual: A Professional Resource for Journalists and Media (دليل الأخبار: مورد مهني للصحافيين ووسائل الإعلام) يمكن الاطّلاع عليه على:
http://www.thenewsmanual.net/Manuals%20Volume%201/volume1_02.htm
اقرأ أيضاً: «مصطلح 'صحافي' يشمل جميع ممثلي وسائل الإعلام لا سيما العاملين في جمع الأخبار والمعلومات ومعالجتها ونشرها، من بينهم المصورون التلفزيونيون والفوتوغرافيون فضلاً عن موظفي الدعم مثل السائقين والمترجمين»، كما ورد في كتيّب الصحافيين الذي أدرج في ورقة بحثية بعنوان «صحافيون في النزاعات المسلّحة ـ إجراءات الحماية في القانون الدولي الإنساني» عُرضت في مؤتمر العلاقات الدولية الأوروبي السابع الذي نظمته «المجموعة الدائمة في العلاقات الدولية» 7th Pan-European International Relations Conference SGIR في ستوكهولم من ٩ حتى ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠١٠ صفحة ٢. يمكن الاطلاع عليها على:
http://www.eisa-net.org/be-bruga/eisa/files/events/stockholm/Journalists%20in%20armed%20conflict%20-%20protecting%20measures.pdf

[98] دليل اليونسكو «التدريب على احترام حرية التعبير وحفظ النظام « Freedom of Expression and Public Order Training manual، ٢٠١٥، صفحة ٣. تقرير المقرر الخاص للأمم المتحدة حول حرية الرأي والتعبير فرانك لارو، الفقرة ٤. (٤ June ٢٠١٢ – A/HRC/٢٠/١٧).

حقوق الإنسان الدولية [99]. القانون الدولي الإنساني هو مجموعة قواعد دولية أنشئت بواسطة معاهدة أو عرف، تهدف بشكل خاص إلى حل المشاكل الإنسانية الناتجة مباشرة عن نزاعات مسلحة دولية أو غير دولية. وهو يحمي الأشخاص والممتلكات التي تتأثر، أو قد تتأثر بنزاع مسلّح ويحد من حقوق أطراف النزاع لاستخدام طرق ووسائل حربية يختارونها [100]. ورغم اختلافهما، تتشارك مجموعتا القواعد هذه بعض الخاصّيات والأهداف. فالقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني يسعيان بشكل متوازٍ إلى حماية أرواح الأفراد والجماعات وصحتهم وكرامتهم ولكن من زوايا مختلفة [101].

والصحافيون بصفتهم بشرًا وبحكم مهنتهم ودورهم، مرتبطون بشكل وثيق بالقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني. وهم من أصحاب حقوق الإنسان الأساسية. وهم مضطلعون بدور خاص يقوم على ضمان حماية بعض الحقوق لا سيما حرية التعبير والرأي وهما حقان مترابطان ارتباطاً وثيقاً ويعتبران شرطان لا غنى عنهما للتطوّر الكامل للفرد، وهو أمر ضروري لأي مجتمع من أجل تحقيق مبدئَي الشفافية والمحاسبة اللذين يعتبران أساسيان أيضاً لتعزيز حقوق الإنسان وحمايتها [102].

تعتبر الصحافة كنشاط ومهنة تشكّل خدمة ضرورية لأي مجتمع، ويجب أن ينظر إليها كذلك. فهي تزوّد الأفراد والمجتمع ككل بالمعلومات الضرورية التي تسمح لهم بتطوير أفكارهم الخاصة والوصول بحرية إلى خلاصاتهم وآرائهم [103]. ويستفيد الصحافيون من حماية القانون الدولي الإنساني من ناحية لأنهم مدنيون غير مشاركين في النزاع، ومن ناحية أخرى لأهمية الدور الذي يقومون به.

---

[99] الصليب الأحمر «القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان: أوجه الشبه والاختلاف»، 1/2003: file:///C:/Users/aabou/Downloads/ihl-and-ihrl.pdf

[100] المرجع نفسه.

[101] المرجع نفسه، قواعد القانون الدولي الإنساني تعالج قضايا كثيرة تخرج عن نطاق القانون الدولي لحقوق الإنسان مثل سير الأعمال العدائية والوضع القانوني للمقاتلين وأسرى الحرب وحماية شارتي الصليب الأحمر والهلال الأحمر. وبالمثل يعالج القانون الدولي لحقوق الإنسان جوانب للحياة في زمن السلم لا يغطيها القانون الدولي الإنساني كحرية الصحافة والحق في الاجتماع والتصويت والإضراب.

[102] لجنة حقوق الإنسان، جنيف، ١١-٢٩ تموز/يوليو ٢٠١١، التعليق العام رقم ٣٤، المادة ١٩: حريات الرأي والتعبير، الفقرة ١.

[103] تقرير المقرر الخاص للأمم المتحدة حول حرية الرأي والتعبير، ٤ حزيران/يونيو ٢٠١٢، الفقرة الرابعة.

نظام حماية الصحافيين بموجب القانون الدولي

لدى جميع المهنيّين العاملين في مجال الإعلام الحقُّ في الحياة والحرّية وفي الأمان على شخصه والمحاكمة العادلة والمساواة أمام القانون والاعتراف أمام القانون والحق في الخصوصية والحق في تأسيس أسرة وامتلاك منزل وحق السلامة البدنية... إلخ. وتُعدّ الهجمات ضد الصحافيين التي تنتهك أحد هذه الحقوق وأياً من المحظورات (التعذيب والمعاملة أو العقوبة القاسية أو غير الإنسانية أو الحاطة بالكرامة والاختفاء القسري على سبيل المثال)، انتهاكات لحقوق الإنسان. وقد يرقى بعضها بما في ذلك القتل والتعذيب والمعاملة القاسية أو غير الإنسانية أو الحاطة بالكرامة والاختفاء القسري، إلى جرائم دولية تقع على مسؤولية الدول ومسؤولية جنائية فردية للجناة.

ومن الأساسي أيضاً فهم الحقوق التي يتمتع بها الصحافيون في زمن الحروب فضلاً عن حدود الحماية والقيود المفروضة عليها. والأمر نفسه ينطبق على الحقوق والحريات التي تعترف بها التشريعات الوطنية. وهذا يعطي الصحافيين صورة واضحة عمّا هو مسموح وغير مسموح من وجهة نظر قانونية أثناء تغطية النزاعات. وحتى لو كان من غير الممكن ضمان الحماية إلاّ إذا احترم أطراف النزاع المعاهدات الدولية التي تحدد قواعد الحروب وجميع الوثائق الموجّهة لحماية الصحافيين، فإن معرفة هذه المعلومة يعزز ممارسات الحماية. فقد لا يعرف العديد من الصحافيين ما عليهم فعله عند التعرّض للاعتقال أثناء تغطية نزاع أو قد يعتقدون أنهم يتمتّعون بحماية خاصة مختلفة عن تلك المكفولة للمدنيين. لذلك فإن فهم الصحافي الميداني لحقوقه أمر حاسم. وفيما يلي ستجدون حقوقاً أساسية ذات صلة ومفاهيم وموجبات مرتبطة بحماية الصحافيين.

أ - الحق في حرية التعبير

يتمتع الصحافيون بالحرية التي يتمتّع بها الجميع في «اعتناق الآراء دون أي تدخّل» وفي «حرية التعبير» التي تتضمن «حرية السعي وراء

المعلومات وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية، وذلك إما شفهياً أو خطياً أو طباعة أو بشكل فني أو من خلال أي نوع آخر يختاره وسائل من الإعلام» [104].

الحق في حرية التعبير ليس حقاً مطلقاً. وممارسته «تنطوي على واجبات ومسؤوليات خاصة» و«يمكن أن يخضع لقيود معينة». إلا أن هذه القيود «لا تكون قيوداً إلا حسب القانون، وهي ضرورية: (أ) لاحترام حرية الآخرين أو سمعتهم، (ب) لحماية الأمن القومي أو النظام العام أو الصحة العامة أو الأخلاق». ووفق الميثاق الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية في المادة 20:

1) يحظر القانون أي دعاية للحرب.
2) يحظر القانون أي تأييد للكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية التي قد تشكل تحريضا على التمييز أو العداوة أو العنف. فعلى الصحافيين أن يمارسوا حقّهم في التعبير بشكل مسؤول.

ب - أسرى الحرب

يحق للصحافيين، بموجب القانون الدولي الإنساني، الحصول على جميع أنواع الحماية المتوفرة للمدنيين في النزاعات. تنص المادة 79 من الملحق (البروتوكول) الأول الإضافي إلى اتفاقيات جنيف [105]: «يعد الصحافيون الذين يباشرون مهمات مهنية خطرة في مناطق النزاع المسلح أشخاصاً مدنيين» (...) و«أنه يجب حمايتهم» بموجب القانون الدولي الإنساني «شريطة ألا يقوموا بأي عمل يسيء إلى وضعهم كأشخاص مدنيين وذلك دون الإخال بحق المراسلين الحربيين المعتمدين لدى القوات المسلحة» في الاستفادة من الوضع المنصوص عليه في المادة 4 (أ – 4) من

[104] المادة ١٩ من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية. الفقرة الأولى والثانية.

[105] البروتوكول الإضافي إلى اتفاقيات جنيف بتاريخ ١٢ آب/أغسطس ١٩٤٩ والمرتبط بحماية ضحايا النزاعات المسلحة (الملحق الأول)، ٨ حزيران/يونيو ١٩٧٧. للحصول على مراجعة جيدة لمسألة حماية الصحافيين بموجب القانون الدولي الإنساني، اقرأ: ألكسندر بالغي غالوا: «Protection des journalistes et des médias en période de conflit armé» (حماية الصحافيين ووسائل الإعلام خلال النزاع المسلح)، مراجعة دولية للصليب الأحمر، المجلّد ٨٦، رقم ٨٥٣، آذار/مارس ٢٠٠٤، من الصفحة ٣٧ حتى ٦٧. متوفّر بالإنجليزية على الرابط:
https://www.icrc.org/eng/resources/documents/article/review/review-853-p37.htm

الاتفاقية الثالثة [106]. تتناول هذه المادة «أسرى الحرب» وهو مفهوم يشمل عدة فئات بينها المراسلون الحربيون شريطة أن يكون لديهم تصريح من القوات المسلحة التي يرافقونها. هذا يعني أن المراسلين الحربيين يحق لهم الاستفادة من وضع «أسير حرب» إذا ما وقعوا في أيدي العدو[107]. في الواقع يميّز القانون الدولي الإنساني «الصحافيين المدنيين» عن «المراسلين الحربيين» ولا يجب الخلط بينهما. فالمراسلون الحربيون هم صحافيون يرافقون القوات المسلحة لدولة ما دون أن يكونوا أعضاء في تلك الدولة. إنهم مدنيون ويجب ألاّ يكونوا هدفاً للهجوم. غير أن المراسلين الحربيين على عكس الصحافيين، يستفيدون من وضع أسير حرب عند الوقوع في قبضة العدو [108]. الفئة الأخرى المرتبطة بشكل وثيق بالمراسلين الحربيين هم «الصحافيون المرافقون» [109]، وهم الصحافيون الذين يرافقون القوات العسكرية من دون أن يكونوا جزءاً من تلك القوات. ولكن في إطار النزاعات المسلّحة غير الدولية، لا يميّز القانون الدولي الإنساني بين المراسلين الحربيين وغيرهم من الصحافيين، ويحظى الصحافيون بالحماية نفسها التي يحظى بها المدنيون الآخرون.

المدنيون هم أشخاص ليسوا أعضاء في قوات مسلّحة [110]. والصحافيون مثل غيرهم من المدنيين، يخسرون الحماية ضد الهجمات حين يشاركون

[106] اتفاقية جنيف الثالثة بشأن معاملة أسرى الحرب، جنيف ١٢ آب/أغسطس ١٩٤٩، Convention (III) relative to the Treatment of Prisoners of War. Geneva, 12 August 1949.

[107] القاعدة ٣٤ من القانون الدولي الإنساني العرفي على الرابط: https://www.icrc.org/customary-ihl/eng/docs/v1

[108] المرجع نفسه.

[109] وفقاً لروبن غايس من اللجنة الدولية للصليب الأحمر، فإن: «مصطلح «صحافي مرافق» تعبير حديث. وقد استعمل للمرة الأولى على ما يبدو خلال غزو العراق عام ٢٠٠٣، وأخذ استخدامه في الانتشار منذ ذلك الحين. ولا يرد ذكره في أي حكم من أحكام القانون الدولي الإنساني كما أنه لا يقوم، حسب علمي، على تعريف دقيق. لكن بالإمكان القول إن مفهوم مراسل الحرب بشكل عام مرادف لما يعرف باسم «صحافي مرافق» وإن لم ينطبق ذلك بالضرورة على جميع الحالات. ولكي يصبح الصحافي مراسل حرب بالمفهوم المحدد في القانون الدولي الإنساني، يكون شرط اعتماده لدى القوات العسكرية إلزامياً. وبالتالي يصبح «الصحافي المرافق» مراسلاً حربياً بحكم القانون عندما يكون معتمداً رسمياً لدى القوات المسلحة» في مقابلة بعنوان: «كيف يحمي القانون الدولي الإنساني الصحفيين في حالات النزاع المسلح؟»، ٢٧-٧-٢٠١٠. اقرأ أيضاً: ورقة بحثية لهيلد فارذوفر (درجة ماجستير) بعنوان «الصحافيون في النزاعات المسلحة ـ إجراءات الحماية في القانون الدولي الإنساني»، قدّمت في مؤتمر العلاقات الدولية الأوروبي السابع الذي نظمته «المجموعة الدائمة في العلاقات الدولية» 7th Pan-European International Relations SGIR Conference في ستوكهولم من ٩ حتى ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠١٠ صفحة ١.

[110] https://www.icrc.org/customary-ihl/eng/docs/v1_cha_chapter1_rule5 المادة ٥٠، من البروتوكول الإضافي الأول.

بشكل مباشر في الأعمال العدائية (المادة 79 (2) من الملحق (البروتوكول) الأول الإضافي إلى اتفاقيات جنيف). ويجب على الصحافيين، مثل أي شخص يدخل بلداً أجنبياً، أن يحترموا التنظيمات المحلية للبلد في ما يخص الدخول إلى أراضيه. وقد يخسر حقه بالإقامة والعمل في بلد أجنبي إذا دخله بشكل غير قانوني [111].

ج ـ جرائم الحرب

يعتبر أي هجوم دولي يستهدف المدنيين بمن فيهم الصحافيين، جريمة حرب. ويخسر الصحافيون هذه الحماية إذا شاركوا بشكل مباشر في أعمال عدائية. ولكن المشاركة لا تشمل أنشطة مثل إجراء مقابلات مع مدنيين أو مقاتلين والتقاط صور ثابتة أو فيديو وأخذ التسجيلات الصوتية أو أي نوع آخر من المهام الاعتيادية التي تدخل ضمن الممارسة الصحافية. وحتى نشر الصحافي للبروباغندا لا يصنّف مشاركة مباشرة.

د ـ واجبات تعزيز وحماية حقوق الإنسان للصحافيين

تتحمّل الدولة ككل واجب احترام وضمان احترام حقوق الإنسان للصحافيين وغيرهم من المهنيين في مجال الإعلام. ويشمل هذا الواجب مهمة إيجابية من الدول لضمان حماية الأشخاص من أي عمل من شأنه أن يعيق تمتّعهم بحقوقهم بما في ذلك اتخاذ تدابير فعالة وممارسة أقصى درجات الحذر لتفادي أي أذى يسببه أشخاص أو مؤسسات مستقلة. ويعدّ واجب الحماية هذا مهماً بشكل خاص في حال وقوع تهديدات وهجمات ضد الصحافيين من قبل جهات غير حكومية [112] يمكن أن تحاسب أيضاً على الهجمات ضد الصحافيين. وحين ترتكب انتهاكات للقانون الدولي لحقوق الإنسان أو القانون الدولي الإنساني، يقع على الدولة واجب التحقيق في الادعاءات بشكل فعال ومحاكمة المسؤولين عن ذلك.

هكذا يقدم القانون الدولي للصحافيين نظام الحماية الممنوح للمدنيين في سياق نزاع مسلّح سواء كان ذي طابع دولي أو غير دولي، مع

[111] القاعدة ٣٤ من القانون الدولي الإنساني العرفي التي سبق ذكرت كمرجع.

[112] تقرير لمكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة حول حماية الصحافيين، ٢٠١٤.

بعض الخصوصية. وعلى ضوء التهديدات التي يواجهها الصحافيون في النزاعات الحديثة، يعتقد البعض أن هذه الحماية تحتاج إلى تعزيز عبر تخصيصها أكثر وتصميمها على قياس الصحافيين، في حين يرى البعض الآخر أن الحماية المتوفرة حالياً للصحافيين كافية إذا ما طبّقت جيداً. مهما كان الخيار الأمثل، من المؤكد أن تطبيق البنود القانونية المرتبطة بحماية الصحافيين على الأرض ليس فعالاً في معظم الحالات وهو ما تشهد عليه الهجمات ضد الصحافيين كغيرهم من المدنيين. ووفق المقرر الخاص للأمم المتحدة حول حرية الرأي والتعبير فإن «المشكلة فيما يخص العنف المستمر والمتزايد ضد الصحافيين ليست غياب المعايير القانونية بل غياب التطبيق للمعايير والأعراف الموجودة» [113].

I. سلامة الصحافيين: مصدر قلق عالمي وتحدٍّ يواجه المنطقة العربية

سلامة الصحافيين: مصدر قلق متزايد للمجتمع الدولي

لا تخلو مهنة الصحافة من الخطر. في الواقع، يجد العديد من الصحافيين أنفسهم في نضال مستمر من أجل الحصول على المعلومات وصون حريّتهم أو يجدون أنفسهم أمام تهديدات تطال حقوقهم الإنسانية بينها الحق في السلامة البدنية. وفيما يعتبر ذلك شائعاً بشكل خاص في المناطق المضطربة لا سيما التي تشهد حرباً أو أشكالاً أخرى من الاضطرابات، إلاّ أنّ الأمر لا يقتصر على هذه الحالات. فالصحافيون المحلّيون يواجهون المزيد من التهديدات على حياتهم ويدفعون حريتهم وحياتهم ثمناً لأداء واجبهم المهني. غالباً ما تلفت التحديات التي يواجهها الصحافيون في حالات النزاع المسلّح انتباه المجتمع الدولي. فهؤلاء يواجهون تحديات في أوضاع لم تصل بعد إلى عتبة النزاع المسلّح

[113] تقرير المقرر الخاص للأمم المتحدة حول حرية الرأي والتعبير، ٤ حزيران/يونيو ٢٠١٢، الفقرة ٦٥. تقرير المقرر الخاص المعني بتعزيز وحماية الحق في التعبير والرأي، ١١ آب/أغسطس ٢٠٠٨، الفقرة ٨٣.

ولكنها تتّسم بالعنف وغياب القانون و/أو القمع [114]. من هنا يأتي الاهتمام المتنامي للمجتمع الدولي لا سيما الأمم المتحدة باتخاذ إجراءات لضمان حماية الصحافيين سواء في سياق السلم أو الحرب كاستجابة في الغالب لدعوات من منظمات إعلامية وحقوقية.

أبدت الهيئات الرئيسية في الأمم المتحدة التي تعمل في مجال حقوق الإنسان قلقاً متزايداً حيال مسألة حماية الصحافيين في زمن السلم والحرب [115]. ففي كانون الأول/ديسمبر 2006، أبدى مجلس الأمن قلقه العميق من تزايد أعمال العنف في أجزاء كثيرة من العالم ضد صحافيين وإعلاميين وموظفين مساعدين خلال النزاعات المسلحة وبخاصة الهجمات المتعمّدة التي تنتهك القانون الدولي الإنساني. وصنّف المجلس مسألة حماية الصحافيين خلال نزاع مسلّح بأنها مسألة ملحّة ومهمة [116]. وشدد على الحاجة إلى مراقبة القانون المعمول به والذي يدعو الأطراف في النزاعات إلى احترام واجباتهم التي ينص عليها القانون الدولي لحماية الصحافيين والمدنيين [117].

ولفت المجلس إلى التحدي الأساسي الذي يقف في وجه حماية

[114] تتراوح هذه التحديات بين القيود على الحركة بما يشمل الترحيل ومنع الدخول إلى بلد أو منطقة ما؛ والاعتقال والتوقيف التعسفي لا سيما خلال الأزمات العامة أو التظاهرات، والتعذيب وغيره من المعاملة القاسية واللاإنسانية أو الحاطة بالكرامة بينها العنف الجنسي ضد الصحافيات، ومصادرة المعدات أو إلحاق الضرر بها، وسرقة المعلومات والمراقبة غير القانونية واقتحام المكاتب والترهيب بما يشمل الاستدعاء إلى أقسام الشرطة للاستجواب ومضايقة أفراد العائلة والتهديدات بالقتل وحملات التشهير وتشويه السمعة بحق الصحافيين والخطف أو الاختفاء القسري وصولاً إلى القتل. انظر: تقرير المقرر الخاص للأمم المتحدة حول حرية الرأي والتعبير، ٤ حزيران/يونيو ٢٠١٢، الفقرة ٤٨.

[115] انظر على سبيل المثال: تقرير المقرر الخاص للأمم المتحدة حول حرية الرأي والتعبير، ٤ حزيران/يونيو ٢٠١٢، تقرير مجلس الأمن «سلامة الصحافيين ومسألة الإفلات من العقاب»، ٦ آب/أغسطس ٢٠١٥، قرار مجلس حقوق الإنسان ١١٦/٢٤ حول تنظيم حلقة نقاش بشأن سلامة الصحافيين، ملخص حلقة النقاش في مجلس حقوق الإنسان حول حماية الصحافيين، ٢٣ تموز/يوليو ٢٠١٤، قرار الجمعية العامة رقم ١٦٣/٦٨ حول سلامة الصحافيين ومسألة الإفلات من العقاب (٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٣)، تقرير المقرر الخاص للأمم المتحدة حول حرية الرأي والتعبير بشأن حماية الصحافيين (٢٣/٢٤/A/HRC)، ٢٣ تموز/يوليو ٢٠١٤، قرار مجلس حقوق الإنسان حول المساعدة التقنية وبناء القدرات لتحسين وضع حقوق الإنسان في ليبيا، ٢٢ آذار/مارس ٢٠١٦.

[116] مؤخراً، ذكّر المجلس في قراره (٢٢٢٢) الصادر في ٢٧ أيار/مايو ٢٠١٥ المخصص لمسألة حماية الصحافيين في النزاعات المسلحة، بالقوانين المعمول بها وأعاد التأكيد على قلقه إزاء تكرار أعمال العنف في أجزاء من العالم ضد الصحافيين والإعلاميين والأفراد المرتبطين بوسائل الإعلام في النزاع المسلح وذكّر بالدول الذي يمكن أن يلعبوه في حماية المدنيين ومنع نشوب النزاعات.

[117] قرار مجلس الأمن رقم ١٧٣٨ بتاريخ ٢٣ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٦.

الصحافيين وهو إفلات مرتكبي الجرائم ضد الصحافيين من العقاب في النزاع المسلّح. وشدد قرار المجلس على أن ضمان تحقيق المحاسبة على الجرائم المرتبكة ضد الصحافيين والإعلاميين والأفراد المرتبطين بوسائل الإعلام عنصر أساسي في منع وتفادي هجمات مستقبلية ضدّهم [118].

ومن بين المنظمات الأممية المتخصصة، تنشط منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) بشكل ملفت في نشر الوعي حول مسألة حماية الصحافيين [119]. وحشدت المنظمة مجموعة من الوكالات الأممية للتوصّل إلى خطة عمل للأمم المتحدة بشأن «حماية الصحافيين ومسألة الإفلات من العقاب» [120].

كما أن منظمات حقوقية غير حكومية بينها منظّمات مكرّسة لحماية الصحافيين مثل «مراسلون بلا حدود» و«لجنة حماية الصحافيين» و«الاتحاد الدولي للصحافيين»، تدافع بشكل نشيط عن حماية الصحافيين وتنشر الوعي حول مسألة إفلات مرتكبي الهجمات ضد الصحافيين من العقاب. ولا شك أن تحرّك بعض هذه المنظمات لعب دوراً في إدراج مسألة حماية الصحافية على جدول أعمال هيئات الأمم المتحدة. وبالتوازي، وضعت منظمات إقليمية لا سيما منظمة الدول الأميركية ومنظمة الأمن

[118] قرار مجلس الأمن ٢٢٢٢ في ٢٧ أيار/مايو ٢٠١٥. وفي هذا القرار يدين المجلس أيضاً الانتهاكات المرتكبة ضد الصحافيين، ويذكّر بضرورة اعتبار الصحافيين أشخاصاً مدنيين وأقرّ بدور الإعلام المستقل والمحايد كركيزة للديمقراطية وأدان حالة الإفلات من العقاب. وذكّر أيضاً بمسؤولية الدول في الامتثال بالالتزامات ذات الصلة بموجب القانون الدولي لوضع حد للإفلات من العقاب ومحاكمة المسؤولين عن الانتهاكات الخطيرة للقانون الإنساني الدولي وحثّها على اتخاذ الخطوات المناسبة لكفالة المساءلة عن الجرائم المرتكبة ضد الصحافيين والإعلاميين والأفراد المرتبطين بوسائل الإعلام في حالات النزاع المسلح ومن خلال إجراء تحقيقات محايدة ومستقلة وفعالة في إطار اختصاصها القضائي وتقديم مرتكبي هذه الجرائم إلى العدالة.

[119] في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٤، أصدرت «اليونسكو» تقريراً حول «سلامة الصحافيين وخطورة الإفلات من العقاب»، تضمّن تحليلاً لمقتل ٥٩٣ صحافياً وإعلامياً ومنتجاً في الإعلام الاجتماعي بين الأول من كانون الثاني/يناير ٢٠٠٦ و٣١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٣ والتي أثارت اهتمام الرأي العام وأدانها المدير العام لـ «اليونيسكو».

[120] أقرّت خطة عمل الأمم المتحدة بشأن «حماية الصحافيين ومسألة الإفلات من العقاب» من قبل مجلس الرؤساء التنفيذيين للأمم المتحدة في ١٢ نيسان/أبريل ٢٠١٢. وتم التحضير للخطة خلال اجتماع لوكالات الأمم المتحدة حول المسألة عقده المدير العام لـ «اليونسكو» بطلب من المجلس الدولي الحكومي للبرنامج الدولي لتنمية الاتصال IPDC) http://www.unesco.org/new/fileadmin/MULTIMEDIA/HQ/CI/CI/pdf/official_documents/UN-Plan-on-Safety-Journalists_EN_UN-Logo.pdf

والتعاون في أوروبا والاتحاد الإفريقي هذه المسألة على أجندتها أيضاً. في أيلول/سبتمبر 2014، أصدر مقرر الأمم المتحدة الخاص بحرية الرأي والتعبير ونظراؤه في هذه المنظمات الإقليمية بياناً مشتركاً حول مسألة حماية الصحافيين. ودعا الخبراء الأربعة إلى تحسين الحماية الدولية لأي شخص منخرط في الصحافة لا سيما في حالات النزاع وشددوا على ضرورة منح الصحافيين أعلى درجات الحماية من قبل الدول والجهات غير الحكومية [121].

تحديات حماية الصحافيين في العالم العربي

يعتبر العنف والتهديدات أموراً شائعة في العديد من مناطق العالم لا سيما التي تشهد حالة عدم استقرار. ودول منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ليست استثناءً. فخلال الحرب الباردة وبعدها، واجه الصحافيون في المنطقة وما زالوا يواجهون العديد من التحديات نظراً إلى غياب ضمانات حماية حقوق الإنسان بشكل عام، وبسبب النزاع لا سيما في بلدان مثل سوريا وتركيا ولبنان والعراق. وليست شمال أفريقيا أيضاً بالملاذ الآمن للصحافيين لأسباب مماثلة. فالصحافيون والعاملون في المجال الإعلامي دفعوا ثمناً باهظاً خلال الحرب الأهلية الجزائرية في تسعينيات القرن الماضي حيث كانوا هدفاً للمجموعات المسلحة، ما عقّد المشكلة أكثر بسبب غياب الضمانات لحرية التعبير في المنطقة منذ سنوات عديدة. ومنذ بداية الثورات العربية في العام 2010 وما تبعها من زعزعة للاستقرار، زاد تعرّض الصحافيين في دول مثل ليبيا واليمن وسوريا إلى شتى أشكال العنف. وحتى في تونس التي شهدت تحقيق مكاسب جديدة مهمة على صعيد حرية التعبير، بقي التهديد على الصحافيين مشكلة كبرى [122]. وتشكّل تونس مسرحاً للجوء القوى الأمنية إلى العنف الجسدي والتهديد بالعنف لعرقلة الصحافيين أو محاولة ترهيبهم [123].

---

[121] بيان صحافي، ١ أيلول/سبتمبر ٢٠١٤.

[122] انظر تقرير «صحافة تحت التهديد»، التقرير السنوي حول الانتهاكات في تونس ضد الإعلام والصحافيين أعدّه مركز تونس لحرية الصحافة بالتعاون مع «منظمات المجتمع المفتوح» و«المرصد» ومؤسسة دعم الإعلام الدولي، تشرين الأول/أكتوبر - أيلول/سبتمبر ٢٠١٣، من صفحة ٤٩ حتى ٦١.

[123] https://cpj.org/reports/2015/10/in-tunisia-press-freedom-erodes-amid-security-fear.php#recommendations

أ. قبل الربيع العربي وبعده

كانت دول المنطقة التي تعاني من غياب الاستقرار والنزاع منذ ما قبل الربيع العربي مثل العراق وفلسطين أو بعده مثل تونس واليمن ومصر وسوريا على وجه الخصوص، ولا تزال ـ بمستويات متفاوتة ـ مكاناً خطيراً للصحافيين. وتشير بيانات مختلفة بينها بيانات صادرة عن «لجنة حماية الصحافيين»، إلى أن الصحافيين والعاملين في المجال الإعلامي يتعرّضون بشكل متعمّد للمضايقات والهجمات العنيفة التي تؤدي إلى مقتلهم أو إصابتهم بجروح. وبالفعل، قتل وفقاً للجنة، 174 صحافياً في العراق منذ العام 2003 [124] و16 في إسرائيل والأراضي الفلسطينية المحتلة منذ العام 1992. أما مصر التي قتل فيها 11 صحافياً منذ العام 2011، فقد أصبحت أحد أسوأ الدول في سجن الصحافيين [125] في السنوات الست الأخيرة [126].

في العام 2014، ذكرت تقارير أن صحافيَّيْن تونسيَّيْن اختطفا في ليبيا على يد عناصر في تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» [127] وما زالا مفقودين حتى الآن. فالصحافيون والعاملون في المجال الإعلامي في ليبيا يتعرضون منذ العام 2011 للاعتقال والتهديد والهجمات التي أدت أحياناً إلى سقوط قتلى وجرحى في صفوفهم. وفي النصف الأول من شباط/ فبراير 2011، اعتقلت الحكومة الليبية العديد من النشطاء والصحافيين المؤيدين للديمقراطية في محاولة لقمع الاحتجاجات [128]. وتضمنت تقارير لبعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا ومكتب المفوض الأعلى لحقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة حالات لصحافيات تعرّضن للعنف والترهيب بسبب عملهنّ [129]. وخلص تقرير نشره مكتب المفوض الأعلى حول ليبيا

---

[124] https://cpj.org/killed/mideast/iraq

[125] https://www.cpj.org/reports/2015/12/china-egypt-imprison-record-numbers-of-journalists-jail.php

[126] https://www.cpj.org/mideast/egypt

[127] https://www.cpj.org/killed/mideast/yemen

[128] تقرير لجنة التحقيق الدولية حول ليبيا، ٢٠١٢، الفقرة ٧٦.

[129] تقرير «المدافعون عن حقوق الإنسان تحت الهجوم» لبعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا والمفوضية السامية لحقوق الإنسان، ٢٥ آذار/مارس ٢٠١٥ من الصفحة ٤ حتى الصفحة ٦.

إلى أن هذا البلد ما زال أحد أكثر الدول عدائية للصحافيين [130]. فهؤلاء يتعرّضون لمضايقات خطيرة ولتهديدات بالقتل، حتى إن بعضهم تعرّضوا للاعتقال التعسّفي والخطف ومحاولات الاغتيال[131]. أما الصحافيات فقد تعرّضن للاستهداف بسبب جنسهنّ [132] (...). كما أن الصحافيين يواجهون الملاحقة القضائية بتهم التشهير بسبب كتاباتهم السياسية [133]. أما في اليمن، فقتل 12 صحافياً بسبب عملهم منذ العام 2010.

ب. تحديات وحلول محتملة

تظهر هذه المعطيات تهديداً متزايداً للصحافيين في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، لا سيما في السنوات الست الأخيرة. يبقى هذا تحدّياً أساسياً لحقوق الإنسان في الدول العربية والعالم. وفي الواقع، يعتبر مثل هذا العنف فضلاً عن تهديد حقوق إنسانية مثل حرية التعبير والحق في السلامة والأمن، ضربة قاسية لقواعد القانون الدولي الإنساني.

ويبقى النقص في حماية الصحافيين مشكلة مردّها بشكل رئيسي غياب تطبيق الأعراف والمعايير ذات الصلة على المستوى الوطني [134]. فمن التحديات التي تواجه حقوق الإنسان الخاصة بالصحافيين هو إطار العمل التشريعي غير المناسب في العديد من الدول، والذي يعيق حرية التعبير المكفولة في القانون الدولي لحقوق الإنسان لا سيما المادة 19 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية. يترافق ذلك مع عدم مصادقة الدول على الوثائق الدولية الخاصة بحقوق الإنسان والقيود الدستورية والتشريعية التي تهدد سلامة الصحافيين. فرغم أن معظم الدول تقدّم ضمانات دستورية لحرية التعبير والصحافة، إلاّ أن هذه الضمانات تبطل بفعل شروط يفرضها النص الدستوري نفسه مثل التحذيرات التي تحتوي على «في إطار حدود القانون» كما في القوانين الجنائية وغيرها من

---

[130] تحقيق للمفوضية السامية لحقوق الإنسان حول ليبيا، تقرير صادر في ١٥ شباط/فبراير ٢٠١٦، الفقرة ٢٣٦.

[131] تحقيق للمفوضية السامية لحقوق الإنسان حول ليبيا، تقرير صادر في ١٥ شباط/فبراير ٢٠١٦، الفقرة ٥٠.

[132] المرجع نفسه.

[133] المرجع نفسه.

[134] تقرير المقرر الخاص للأمم المتحدة حول حرية الرأي والتعبير، ٤ حزيران/يونيو ٢٠١٢، الفقرة ٦٥.

القوانين وفي الممارسة أيضاً [135].

كشفت دراسة أن التشريعات المرتبطة بالقانون الجنائي والإعلام والجريمة الإلكترونية في معظم دول مجلس التعاون الخليجي تحدّ من التواصل وتعرّض الصحافيين لشتّى أنواع القيود التي تذهب أبعد مما يتيحه الميثاق الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية [136]. وتشمل هذه القيود الترخيص لوسائل الإعلام والصحافيين وحظر انتقاد الحكّام والمسؤولين الحكوميين وحظر المحتوى الذي يؤذي الاقتصاد الوطني وفرض الحصول على إذن رسمي لبث الحقائق وغيرها من المحظورات الواسعة جداً [137]. ويقال أيضاً إن هناك سوء فهم جوهري لحرية التعبير وآثارها في العديد من مناطق العالم ولا سيما العالم العربي [138]. هذه العوامل وغيرها من العوامل المماثلة تشكّل تحدياً للحقوق المذكورة آنفاً للصحافيين في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ما يعرّضهم لمعاملة تعسّفية مثل السجن وإغلاق المواقع إعلامية [139].

وعلى جميع المعنيين الاضطلاع بدور مهم لمعالجة هذا الوضع، فالمسؤولية الأساسية تقع على الدول لأن واجبها الأول ضمان احترام ما ينص عليه القانون الدولي ومنع انتهاكه ومحاسبة مرتكبي الانتهاكات. ويتطلب ذلك المصادقة على الوثائق الدولية ذات الصلة وإرساء إطار

---

[135] «الاتجاهات العالمية في حرية التعبير وتطوير الإعلام»: نظرة عامة عن المنطقة العربية، اليونسكو، ٢٠١٤، الصفحة ٨.

[136] مات جاي. دافي، «التنظيمات الإعلامية العربية: تحديد القيود على حرية الصحافة في قوانين دول شبه الجزيرة العربية الستة»، Berkeley J. Middle E. & Islamic L ٦. ١ (٢٠١٤)، الصفحة ٦ وما يليها. http://scholarship.law.berkeley.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1036&context=jmeil

[137] المرجع نفسه.

[138] وفقاً للصحافية سمر فتاني: «للأسف، المفهوم العالمي لحرية التعبير غير مقدّر أو مفهوم في أجزاء عديدة من العالم والعالم العربي بشكل خاص. ولا تحترم الكثير من الحكومات مبادئها وتنظر إليها بريبة. وهي تواصل قمع الحق في التعبير الحر من خلال الرقابة والقوانين الإعلامية التقييدية ومضايقة الصحافيين والمدونين والناشطين الذين يعبرون عن آرائهم ضد انتهاكات حقوق الإنسان أو عن مصادر قلق كبرى لا بدّ من علاجها. وفي المقابل لا تدرك غالبية الجمهور أن الحق العالمي لحرية التعبير ليس مطلقاً وهو خاضع لبعض القيود. فممارسة هذه الحقوق «تنطوي على واجبات ومسؤوليات خاصة» و«يمكن أن تخضع لقيود معينة» مثل «حماية حقوق الآخرين أو سمعتهم» أو «احترام حقوق الآخرين أو سمعتهم، أو حماية الأمن القومي أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة». انظر أيضاً: سمر فتاني: «العالم العربي يسيء فهم حرية التعبير»، Saudi Gazette، السبت ٢ آذار/مارس ٢٠١٣، متوفر على الرابط: http://english.alarabiya.net/views/2013/03/02/269126.html.

[139] انظر على سبيل المثال: حرية التعبير في مصر والعالم العربي، التقرير السنوي ٢٠١٥، للشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، متوفّر على http://anhri.net/?p=159575&lang=en. يوثق هذا التقرير مجموعة واسعة من الممارسات التي تقيّد حرية التعبير بعيداً عن القيود التي تسمح بها معايير حقوق الإنسان الدولية والتي تهدد سلامة الصحافيين.

عمل تشريعي مناسب يضمن حماية فعالة تخضع لمعايير حقوق الإنسان. أما خلال الأزمات المسلحة التي غالباً ما تتورط فيها مجموعات مسلحة، فإن هذه الأخيرة تحمل أيضاً مسؤولية مراقبة تطبيق القانون الدولي وضمان حماية الصحافيين. وقد أصبح راسخاً أن «جميع الأطراف في أي نزاع مسلّح سواء كانوا دولا أو جماعات مسلحة منظمة من غير الدول، ملزمون بالقانون الدولي الإنساني، رغم أن الدول فقط يمكنها أن تكون طرفاً في المعاهدات الدولية» [140].

في الوقت نفسه، يجب على المجتمع الدولي، ممثلاً بالأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية، أن يضاعف جهوده وإجراءاته لضمان احترام أكبر لحقوق الإنسان وبنود القانون الدولي الإنساني المرتبطة بحماية الصحافيين. لذلك يجب أن يضع مثل هؤلاء اللاعبين أيديهم في أيدي الدول لتقوية النظام القانوني والأهم لضمان تنفيذه الفعّال على المستوى المحلي. ثمة دور أيضاً على الصحافيين والمنظمات الإعلامية والمجتمع الدولي لعبه في هذا الإطار. فهذه الجهات تحتاج إلى مواصلة الاضطلاع بدورها في حماية حقوق الإنسان بمسؤولية. ويجب أن تكون منظّمة بشكل يضمن أن تكون أصواتها مسموعة ويحسب لها المعنيون حساباً. ومن الضروري أن تنخرط في استراتيجيات الدول والمنظمات الدولي الهادفة إلى ضمان حماية أفضل لحق الصحافيين في حرية التعبير وحقوقهم الإنسانية. ويجب على منظمات المجتمع المدني والمدافعين عن حقوق الإنسان أن يواصلوا ممارسة دورهم في النهوض بقضية حماية حقوق الإنسان بصفتها قضية حيوية.

وبالطبع فإن التنسيق والتآزر حيويان لكي تصل جهود جميع هؤلاء الأطراف إلى نتائج إيجابية. وفي الوقت نفسه، ثمة حاجة إلى تنويع المقاربات والإجراءات لمعالجة هذه التحديات:

1 ـ الوقاية من خلال تعميم ونشر المعايير الدولية المعمول بها.
2 ـ تجريم انتهاك حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني في القوانين المحلية.

---

[140] المدعي ضد سام هينغا نورمان (القضية رقم SCSL-٢٠٠٤-١٤-AR٧٢(E))، الحكم Decision on preliminary Motion (حكم المحكمة الخاصة بسيراليون). انظر أيضاً: أندرو كلافام، موجبات حقوق الإنسان للاعبين من غير الدول في حالات النزاع، مراجعة دولية للصليب الأحمر، المجلّد ٨٨ رقم ٨٦٣، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٦، صفحة ٤٩١ حتى ٥٢٣.

3 ـ تطوير استراتيجيات لحماية الصحافيين في السلم والحرب على المستويات الوطنية والإقليمية والعالمية.
4 ـ تطبيق القانونين الوطني والدولي على المستويين المحلي والعالمي من أجل محاربة حالة الإفلات من العقاب.

ثمة حاجة أساسية إلى أخذ هذه الإجراءات في الاعتبار بشكل جدّي من أجل محاربة انتهاكات حقوق الإنسان التي نشهدها يومياً والقضاء عليها. ويجب استخدام وتطبيق نهج يستند إلى احترام حقوق الإنسان ويأخذ في اعتباره بالكامل دور أصحاب الحقوق والواجبات، ويضع في حساباته الأبعاد الجندرية وغير ذلك من الأبعاد ذات الصلة. وفي الوقت نفسه، يجب أن تكون الاستراتيجية المطوّرة شاملة وتشاركية بحيث تُشرك جميع أصحاب المصلحة المعنيين واللاعبين المؤثرين من بينهم ممثلي القيادات التقليدية والدينية.

وفي حين تتوفّر هذه العناصر في جميع أنحاء العالم، إلاّ أن المعنيين في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا يحتاجون إلى تأسيس منتديات مناسبة لحل مثل هذه المشاكل مستفيدين من الإجراءات والمقاربات الموضوعة لهذا الغرض. وعلى جميع اللاعبين ذوي الصلة في المنطقة التحرك بشكل مركّز ومنسّق ومشترك. ولكن من دون خطة تحرك مطوّرة داخلياً فإن جميع الجهود ستبوء بالفشل. وفي الوقت ذاته، من المهم جداً التعاون مع النظراء في مناطق أخرى من العالم بما يضمن تبادل وتلاقح الخبرات. كما يجب تطوير وتعزيز التعاون مع منظمات دولية مثل مؤسسات الأمم المتحدة واللجنة الدولية للصليب الأحمر. ويجب أن يكون التعاون التقني والحوار والمقاربات المشتركة والتآزر والقيم المشتركة التي تشكّل أساس معايير حقوق الإنسان الدولية والقانون الدولي المعمول به، اللغة المشتركة وعوامل التماسك التي تضمن تحقيق نتائج إيجابية. وتبقى حماية الصحافيين مرتبطة بحماية الحقوق الإنسانية بشكل عام وحماية المدنيين خلال الأزمات المسلحة. ومن دون تحقيق تقدّم على مستوى الديمقراطية وإرساء حكم القانون وتعزيز حقوق الإنسان وحمايتها داخل الدول العربية كخطوات أساسية ومهمة، قد تبقى حماية الصحافيين بعيدة المنال.

الفصل الحادي عشر

كيف يتفادى الصحافي خطاب الكراهية والتحريض على العنف

إبراهيم صابر

ما هو خطاب الكراهية؟

لا يوجد تعريف موحّد لخطاب الكراهية ولكنّ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونيسكو) تعرّفه بأنّه "[...] عبارات تؤيد التحريض على الضرر (بخاصة التمييز أو العدائية أو العنف) حسب الهدف الذي تم تحديده وسط مجموعة اجتماعية أو ديموغرافية. فقد يشمل على سبيل المثال لا الحصر، الخطاب الذي يؤيد الأعمال العنيفة أو يهدد بارتكابها أو يشجعها" [141].

بعض السّمات الأكثر شيوعاً التي يبنى عليها خطاب الكراهية هي: الدين والعرق والأصل الإثني والنوع الاجتماعي والتوجّه الجنسي والطبقة الاجتماعية والإعاقة. ويتّخذ أشكالاً تتراوح بين المقالات المكتوبة والصور ورسوم الكرتون وصولاً إلى الفيديوهات والتعليقات على الإعلام الاجتماعي.

وبالتالي يمكن لخطاب الكراهية أن يعرّض سلامة بعض أفراد المجتمع للخطر كالصحافيين العاملين في مناطق النزاع والحروب. فعلى من هم على خطوط النار أن يتعاملوا مع وجهات نظر وروايات متضاربة أحياناً إلى حد كبير.

---

[141] اليونيسكو، «مكافحة خطاب الكراهية في الإنترنت» Countering Online Hate Speech، منشورات اليونيسكو، ٢٠١٠، ص ١٠ http://unesdoc.unesco.org/images/0023/002332/233231e.pdf ، (تم الاطلاع عليه في ١٥ يوليو ٢٠١٧) رابط التقرير بالعربية: http://unesdoc.unesco.org/images/0023/002332/233231a.pdf

وبالفعل ترك خطاب الكراهية العديد من الصحافيين في حيرة، فبعضهم يشعر بالخوف ولا يعلم كيفية التعامل معه، وبعضهم الآخر يفتقد إلى الأدوات لرصده، بينما قلّة تستخدم خطاب الكراهية كجزء من أجندة وطنية أو حزبية أوسع.

ونحن إذ ننطلق مما قالته الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان الأخرى ذات الصلة في هذا الخصوص، نضع نصب أعيننا همّاً أساسياً ألا وهو توعية الصحافيين بمخاطر خطاب الكراهية، وتقديم المشورة لهم حول كيفية رصده ومكافحته.

خطاب الكراهية على الإنترنت

تكشف نظرة سريعة إلى وسائل الإعلام الدولية المعاصرة من ضمنها العربية، أن خطاب الكراهية أصبح مرضاً منتشراً في العديد من غرف الأخبار، ويشهد زيادة في الإعلام الاجتماعي. وبالتوازي مع ذلك، يحوز خطاب الكراهية على الإنترنت على الاهتمام الكامل لمجموعات ومنظمات حقوقية. أما اشكال خطاب الكراهية في العالم الافتراضي لا سيما الإعلام الاجتماعي، فهي غالباً التعليقات أو المنشورات.

ولكن من الملاحظ أن بعضاً من أكثر المنصات الاجتماعية شعبية لديها تعريفها الخاص بخطاب الكراهية، وتدّعي أنها تستند إليه في سياستها وإجراءاتها الخاصة بمراقبة المحتوى.

يعرّف فيسبوك خطاب الكراهية ويؤكّد أنه "لا يُسمح بالمحتوى الذي يهاجم الأشخاص على أساس عرقهم الفعلي أو المتصوّر أو الإثنية أو الأصل القومي أو الديانة أو الجنس أو النوع الاجتماعي أو الهوية الجنسية أو التوجّه الجنسي أو الإعاقة أو المرض" [142]. كما يؤكد الموقع على ما يلي: "ولكننا في الوقت ذاته نسمح بالتعبيرات التي تُنشر على سبيل الدعابة أو السخرية والتي قد يعتبرها البعض تهديدًا أو هجوماً. ويتضمن هذا المحتوى الذي

[142] «ما الحديث الذي يعتبره فيسبوك يحض على الكراهية؟ What does Facebook consider to be hate speech?»، «فيسبوك»، ٢٠١٧، https://www.facebook.com/help/135402139904490?helpref=uf_permalink (تم الاطلاع عليه في ١٥ يوليو ٢٠١٧). الرابط بالعربية:https://ar-ar.facebook.com/help/135402139904490?helpref=uf_permalink

قد يعتبره العديد من الأشخاص مفتقداً إلى الذوق (مثال: النكات أو الأعمال الكوميدية القصيرة أو كلمات الأغاني الشعبية، وما إلى ذلك) [143].

في المقابل، يعتبر يوتيوب أن "الكلام الذي يحضّ على الكراهية هو كل محتوى يروّج للعنف أو يهدف أساساً إلى التحريض على الكراهية ضدّ أفراد أو مجموعات على أساس سمات معينة، على سبيل المثال العرق أو الجذور العرقية أو الدين أو الإعاقة أو الجنس أو العمر أو حالة الخدمة في السلك العسكري أو الميول الجنسية/الهوية الجنسية" [144]. ولكنّه يسلّط الضوء على احترام المنصة وترويجها الفاعل لحرية التعبير، وتشير بشكل خاص إلى هدفها بالدفاع عن حق المستخدم في "التعبير عن الآراء غير الشائعة" [145] طالما لا تصنف بأنها خطابات كراهية.

يتّفق التعريفان مع تعريف اليونيسكو ويعكسان علاقة متنافرة بين خطاب الكراهية وحرية التعبير مع هدف واضح يقوم على حماية الأخيرة.

وتعتبر اليونيسكو أن خطاب الكراهية على الإنترنت لا يختلف عنه خارجه، ولكنّه في الوقت نفسه يتسم بخصائص من المفيد للصحافيين أن يعرفوها [146]، ومنها أنه:

- مرئي لجمهور أوسع.
- يمكنه البقاء على الإنترنت لفترة طويلة مما يمدد ضرره.
- يمكنه التنقّل من مكان إلى آخر.
- ذو كلفة منخفضة.
- يمكن إخفاء هوية ناشره مما يبعد عنه أية تداعيات.
- منتشر على النطاق الدولي، ما يثير مسائل ترتبط بالتعاون بين عدة نطاقات قضائية.

---

[143] «فيسبوك»، ٢٠١٧، المرجع نفسه.

[144] «يوتيوب»، «السياسات والأمان والإبلاغ» Policies, Safety and Reporting. «يوتيوب» ٢٠١٧.
https://support.google.com/youtube/answer/2801939?hl=en ، (تم الاطلاع عليه في ١٥ يوليو ٢٠١٧) الرابط بالعربية:
https://support.google.com/youtube/answer/2801939?hl=ar

[145] «يوتيوب»، ٢٠١٧، المرجع نفسه.

[146] منشورات اليونيسكو، ٢٠١٥، المرجع نفسه.

فـي العالـم العربـي، غالبـاً مـا يتبـع الإعـلام التقليـدي خطـاً تحريريـاً مؤيـداً للحكومـة سـواء كان إعلامـاً حكوميـاً أو خاصـاً. وذلـك يعنـي أن أصـوات المعارضـة نـادراً مـا تجـد مسـاحة فـي وسـائل الإعـلام الرئيسـية التقليديـة وهـو مـا "يخلـق نوعـاً مـن الإحبـاط داخـل جماعـات المعارضـة ويسـفر عـن لجـوء هـذه الجماعـات إلـى وسـائل الإعـلام الأخـرى مثل وسـائل الإعـلام الاجتماعية. وقـد يكـون لهـذا الأمـر أثـر مزعـزع للاسـتقرار؛ حيـث إن وسـائل الإعـلام الاجتماعيـة تفتقـر إلـى المسـاءلة ولا يمكـن تتبعهـا، مـا يعـد مشـكلة حينما تنشـر هـذه الوسـائل خطـاب كراهيـة أو تحريـضٍ علـى العنـف" [147].

خطاب الكراهية في القانون الدولي

الكراهيـة موجـودة منـذ القـدم. فقـد تشـتمل بعـض النصـوص الدينيـة علـى مـا يشـجع هـذا الخطـاب أحيانًـا، وفـي أحيـان أخـرى نجـد أنهـا ترسـم حـدوداً لمـا يمكـن للنـاس التعبيـر عنـه. أمـا فـي عصرنـا فقـد بـدأت المحـاولات المنهجيـة لوضـع تشـريعات وتعريفـات لخطـاب الكراهيـة. وترتبـط بدايـات خطـاب الكراهيـة بتأسـيس محكمـة نورمبـرغ بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة. حينهـا اتّهـم شـخصان بارتـكاب جرائـم ضـد الإنسـانية (التّهـم تقـع اليـوم ضمـن تعريـف التحريـض علـى الإبـادة [148]) همـا "يوليـوس شـترايخر" مؤسـس وناشـر مجلـة "ديـر شـتورمر" المعاديـة للسـامية، و"هانـز فريتشـه" الـذي كان مسـؤولاً رفيـع المسـتوى فـي وزارة التنويـر والدعايـة. اعتبـر الأول مذنبـاً بإنتـاج ونشـر دعايـة كراهيـة حرّضـت الألمـان علـى الاضطهـاد، بينمـا بـرّأت المحكمـة الثانـي غيـر أنـه حوكـم لاحقـاً واعتبـر مذنبـاً أمـام محكمـة ألمانيـة بتهـم مماثلـة [149].

---

[147] محمـود شريـف بسـيوني ونايجـل رودلي وبدريـة العـوضي وفيليـب كـيرش وماهنـوش أرسـنجاني، تقريـر اللجنـة البحرينيـة المسـتقلّة لتقـصّي الحقائـق»، المنامـة، البحريـن، ٢٣ نوفمـبر ٢٠١١. http://www.bici.org.bh/BICIreportEN.pdf (الرابـط بالعربيـة http://www.bici.org.bh/BICIreportAR.pdf) في
https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/2016/06/sunni-shia-abdo.pdf، (تـم الاطـلاع عـلى الرابـط ١٥ يوليـو ٢٠١٧).

[148] كريسـتن ويبـكي تيمرمـان، «التحريـض في القانـون الجنـائي الـدولي» Incitement in international criminal law، مراجعة دوليـة للصليـب الأحمـر، المجلّـد ٨٨ رقـم ٨٦٤، ديسـمبر ٢٠٠٦، صفحة ٨٣٢.
https://www.icrc.org/eng/assets/files/other/irrc_864_timmermann.pdf ، (تم الاطلاع عليه في ١٥ يوليو ٢٠١٧).

[149] تيمرمان، ٢٠٠٦، المرجع نفسه، صفحة ٨٢٧ - ٨٣١.

القانون الدولي لحقوق الإنسان والمعايير الدولية

في المادّتين 19 و20 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية [150]، نجد الأحكام التي تحمي حرية التعبير. فهما تقتضيان من الدول حظر خطاب الكراهية، وتنصّان على معايير إدراج مثل هذا الحظر في تشريعاتها الوطنية. وتنصّ المادة 19 على الحق في حرية التعبير وتفصّل الحالات الاستثنائية التي يجب فيها تقييد هذا الحق. وتضيف المادة 20 على ذلك بروباغاندا الحرب وأي تحريض على الكراهية القومية أو العرقية أو الدينية بإعلانها غير قانونية؛ ما يرسي أسساً لتعريف خطاب الكراهية ومنطلقاً لحظر التحريض على الكراهية.

في المقابل، تعتبر الموازنة بين تعزيز الحق في حرية التعبير واحترامه من جهة، وحماية الكرامة الإنسانية لجميع الأفراد من التمييز والعنف ـ ما يضمن المساواة بالتالي ـ من جهة أخرى، واجباً دائماً للدول بموجب القانون الدولي لحقوق الإنسان [151].

وفي الواقع، إن الحق في المساواة هو الذي يحث في المقام الأول على وضع قيود على حرية التعبير. بهذا المعنى تدرس "مبادئ كامدن حول حرية التعبير والمساواة" العلاقة بين هذين الحقّين. وتعترف الوثيقة بالتناقض بينهما، ولكنها تبني قضية لتظهر أنّ خصائصهما التأسيسية وحقيقة أنهما يدعمان ويعززان بعضهما البعض حقيقة لا تزول [152].

---

[150] الأمم المتحدة، «العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية» المفوض السامي لحقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، ١٩٩٦ (تم الاطلاع على الرابط ١٥ يوليو ٢٠١٧).
http://www.ohchr.org/EN/ProfessionalInterest/Pages/CCPR.aspx

[151] الأمم المتحدة، ١٩٦٦، المرجع نفسه.

[152] «مبادئ كامدن حول حرية التعبير والمساواة» The Camden Principles on Freedom of Expression and Equality، الحملة العالمية لحرية التعبير، أبريل ٢٠٠٩.
https://www.article19.org/data/files/pdfs/standards/the-camden-principles-on-freedom-of-expression-and-equality.pdf
(تم الاطلاع عليه في ١٥ يوليو ٢٠١٧). للاطلاع على الرابط بالعربية:
https://www.article19.org/data/files/medialibrary/1214/Camden-Principles-ARABIC-web.pdf

وحتى لو اعترف القانون الدولي لحقوق الإنسان بأن مبدأ مكافحة التمييز والحق في المساواة قد يقيّدان حرية التعبير ويتيحان للدول القيام بذلك بشكل قانوني في بعض الظروف، فلا يوجد إجماع على متى تعتبر حرية التعبير خطاب كراهية.

تعتبر منظمة "أرتيكل ناينتين" Article 19 غير الحكومية أن المخاوف المحيطة بالتشريعات الخاصة بخطاب الكراهية تنبع من المخاوف من أن الحكومات أو غيرها من النافذين سيستخدمونها لقمع حرية التعبير أو إعاقة المواطنين من المشاركة في النقاشات الديمقراطية [153]. انطلاقاً من هذا المنطق، أدخلت العديد من الدول من بينها بلجيكا والدنمارك وفنلندا وآيسلندا والولايات المتحدة تحفّظات على المادة 20 [154].

التحريض على الإبادة في رواندا: "قضية الإعلام"

منذ تسعينيات القرن الماضي، شكّلت جريمة "التحريض المباشر والعلني على ارتكاب الإبادة الجماعية" حجر الأساس في المحكمة الجنائية الدولية لرواندا التي أسستها الأمم المتحدة في العام 1994 رداً على إبادة أقلية التوتسي العرقية في البلاد [155]. ويدلّ الدور الذي لعبه الإعلام في هذه الأحداث المروّعة على قدرته على مفاقمة خطاب الكراهية والعواقب الوخيمة المترتّبة على هذا التزاوج السيئ.

حكم ثلاثة قضاة على فرديناند ناهيمانا مؤسس ومنظّر "محطة الإذاعة والتلفزيون الحرة للتلال الألف" Radio Télévision Libre des Mille Collines (RTLM)، وجان بوسكو بارياغويزا، العضو الرفيع

---

[153] منظمة «أرتيكل ناينتين» غير الحكومية https://www.article19.org/pages/en/contact-us.html (تم الاطلاع على الرابط في ١١ أغسطس ٢٠١٧).

[154] الأمم المتحدة، «العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية»، ١٩٩٦
https://treaties.un.org/Pages/ViewDetails.aspx?src=IND&mtdsg_no=IV-4&chapter=4&clang=_en (تم الاطلاع على الرابط ١٥ يوليو ٢٠١٧).

[155] آلية الأمم المتحدة للمحاكم الجنائية الدولية، «المحكمة الجنائية الدولية لرواندا باختصار»، ديسمبر ٢٠١٥.
http://unictr.unmict.org/en/tribunal (تم الاطلاع على الرابط ١٥ يوليو ٢٠١٧).

المستوى في مجلس إدارة المحطة ومؤسس حزب سياسي [156]، وحسن نغيزي، مؤسس ومدير صحيفة "آنغورا"، لتحريضهم على قتل أقلية التوتسي العرقية [157]. وشدد القضاة في حكمهم على أن هؤلاء الرجال الثلاثة "استخدموا المؤسسات التي يسيطرون عليها ونسّقوا جهودهم باتجاه هدف مشترك: القضاء على التوتسي". وقال القضاة إن ما كانت تبثّه المحطة وتنشره الصحيفة لا يندرج ضمن حماية الحق في حرية التعبير [158].

كانت المحكمة الخاصة برواندا، الحالة الثانية بعد نورمبرغ التي تدان فيها شخصيات إعلامية بموجب القانون الدولي للتحريض على الإبادة.

تشريعات عربية حول خطاب الكراهية

وثائق إقليمية

يعترف الميثاق العربي لحقوق الإنسان 2004 بحرية التعبير ويضع قيوداً عليها انسجاماً مع المعايير الدولية التي يتضمّنها العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية. وتنص المادة 32 من الميثاق العربي على أنّ:

1- هذا الميثاق يضمن الحق في الإعلام وحرية الرأي والتعبير وكذلك الحق في استقاء الأنباء والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين بأي وسيلة ودونما اعتبار للحدود الجغرافية.

---

[156] كان العضو المؤسس للتحالف من أجل الدفاع عن الجمهورية (CDR). لتفاصيل كاملة راجع:
https://trialinternational.org/latest-post/jean-bosco-barayagwiza/ (تم الاطلاع على الرابط في ١٢ أغسطس ٢٠١٧).

[157] هيئة الإذاعة البريطانية. «رواندا: كيف حصلت الإبادة»، «بي بي سي نيوز»، ١٧ مايو ٢٠١٧.
http://www.bbc.co.uk/news/world-africa-13431486 (تم الاطلاع عليه ١٥ يوليو ٢٠١٧)، و
http://news.bbc.co.uk/1/hi/world/africa/3257748.stm (تم الاطلاع عليه في ١٢ أغسطس ٢٠١٧).

[158] مركز أنباء الأمم المتحدة». «محكمة الأمم المتحدة تدين ٣ مسؤولين إعلاميين روانديين لدورهم في أعمال الإبادة في العام ١٩٩٤» Rwandan media executives for their role in 1994 genocide ٣ UN tribunal convicts، الأمم المتحدة. ديسمبر ٢٠٠٣. http://www.un.org/apps/news/story.asp?NewsID=9053&Cr=rwanda&Cr1= ، (تم الاطلاع عليه ١٥ يوليو ٢٠١٧).

2- هذه الحقوق والحريات تمارس في إطار المقومات الأساسية للمجتمع ولا تخضع إلا للقيود التي يفرضها احترام حقوق الآخرين أو سمعتهم أو حماية الأمن الوطني أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة [159].

رغم ذلك، غالباً ما نرى في إطار هذا التعريف الإقليمي، صحافيين يحتشدون حول الأنظمة السياسية مبررين انتهاكها للقانون فيما يتعلّق بتقييد حرية التعبير، نظراً إلى كون معظم وسائل الإعلام إما تخضع لرعاية الحكومات أو تابعة لها. وفي الكثير من الحالات، تبرر الدول التدخّل غير الضروري في حرية التعبير لإخفاء الفساد وغيره من سوء السلوك المستشريَين في المؤسسات الحكومية. وفي أغلب الأحيان، تحافظ هذه الدول على قوانين عفا عنها الزمن حيث تستخدم قواعد تجرّم التشهير ونشر الأخبار الكاذبة كحجج ضد منتقدي الحكومة، ولفرض رقابة على الإعلام المستقل وعلى المواطنين الذين يتعرّضون لخطر العقاب.
وقد حللت دراسة حديثة أجرتها "مؤسسة الحدود الإلكترونية" كيف تستخدم الحكومات في الأردن ومصر والسعودية وتونس القانون لإسكات حرية التعبير على الإنترنت. ووجدت النتائج أن الأردن والسعودية تستخدمان قوانين مكافحة الإرهاب والجريمة الإلكترونية لمحاكمة الناشطين على الإنترنت، فيما تستخدم مصر قانون منع التظاهر كحجة. أما تونس فتلجأ إلى قوانين التشهير ومكافحة المخدرات [160].

على صعيد خطاب الكراهية، يجعل ذلك الإعلام عرضة للتحوّل إلى ناقل للبروباغندا الرسمية وهو ما قد يقود، كما حصل في التاريخ القريب، إلى إعادة إنتاج القوالب النمطية للتمييز والتحريض على العنف ضد المعارضة وغيرها من المجموعات المستهدفة. وهذا الأمر أخطر بكثير في البيئات العدائية والنزاعات والحروب، كما سنرى لاحقاً أثناء دراسة المزيد من

---

[159] لميثاق العربي لحقوق الإنسان ٢٠٠٤ المشار إليه هنا: http://carnegieendowment.org/sada/?fa=23951 (تم الاطلاع على الرابط في ١١ أغسطس ٢٠١٧).

[160] وفاء بن حسين، «كيف تستخدم الحكومات العربية القانون لإسكات التعبير على الإنترنت» How Arab Governments Use the Law to Silence Expression Online، 2016. https://www.eff.org/pages/crime-speech-how-arab-governments-use-law-silence-expression-online، (تم الاطلاع على الرابط ١٥ يوليو ٢٠١٧).

الحالات في الإعلام المصري ما بعد الربيع العربي.

ثمة وثيقة أخرى إقليمية تتناقض في الواقع مع المادة 32 من الميثاق العربي والمادة 19 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية هي "مبادئ تنظيم البث الفضائي في المنطقة العربية" التي تبنّاها وزراء الإعلام العرب في شباط/فبراير 2008. والوثيقة كما تنصّ المادة 6 منها، تحدد القواعد الخاصة بمحتوى البث المعروض. فعلى هيئات البث ضمان احترام حقوق الإنسان وكرامته والخصوصية الفردية، والامتناع عن انتهاكها والامتناع عن التحريض على الكراهية والتمييز القائم على أساس الأصل العرقي أو اللون أو الدين، ومنع التحريض على الإرهاب إضافة إلى قواعد أخرى [161].

يبدو ذلك جيّداً نظرياً. غير أن الوثيقة تعرض في الوقت نفسه مجموعة من المعايير المبهمة والمفتوحة على نطاق واسع من التأويلات التي يمكن أن تستخدم لتقييد حرية التعبير. وهنا بعض البنود الفضفاضة التي تحتمل التأويل:

- الالتزام بالقيم الدينية والأخلاقية للمجتمعات العربية.
- الامتناع عن بث كل ما يسيء إلى الذات الإلهية والأديان السماوية والرسل والمذاهب والرموز الدينية الخاصة بكل فئة.
- الامتناع عن بث مواد تحتوي على مشاهد إباحية أو جنسية صريحة.
- صون الهوية العربية.
- الالتزام بالموضوعية والأمانة واحترام كرامة الدول والشعوب وسيادتها الوطنية وعدم تناول الرموز الوطنية والدينية.

لذلك فإنه بناء على هذه النظرة العامة للتشريعات الوطنية والإقليمية في العالم العربي، فإن المهمة الرئيسية في المنطقة مرتبطة بشكل وثيق

---

[161] «الإعلام العربي والمجتمع»، Arab Media & Society ، ميثاق الجامعة العربية للبث الفضائي، ١٤ مارس ٢٠٠٨. http://www.arabmediasociety.com/?article=648، (تم الاطلاع على الرابط ١٥ يوليو ٢٠١٧). للنسخة العربية راجع: «مبادئ تنظيم البث الفضائي في المنطقة العربية»: http://www.arabmediasociety.com/UserFiles/AMS%20Charter%20Arabic.pdf

بضمان الوصول إلى حرية التعبير والحصول على المزيد من الاستقلالية والتنوّع في الوسط الإعلامي.

وطالما لا يحصل ذلك، ستبقى المعارضة السياسية والدينية مصنّفة كخطاب كراهية وتخضع للرقابة بموجب أطر عمل قانونية وتشريعية غامضة مثل التشهير والإرهاب. فتصنيف المعارضة على أنها خطاب كراهية واعتبارهما مفهومين متقاطعين يقلل فعالية التوعية بين المجتمعات حول ما يعنيه خطاب الكراهية نفسه ومكافحة انتهاكات حقوق الإنسان. ولا يجب أن يغيب ذلك عن بالنا بصفتنا صحافيين.

قوانين عربية محلية

غالباً ما تتضمن التشريعات الوطنية في الدول العربية قوانين يمكن أن تستخدم بشكل مباشر أو غير مباشر لقمع حرية التعبير لا سيما على أساس الدين والعرق والأصل الإثني.

من الأمثلة الحديثة على ذلك المرسوم بقانون اتحادي الذي أصدرته الإمارات العربية المتحدة في العام 2015 لمكافحة التمييز والكراهية. ينظّم المرسوم ثلاثة مفاهيم أساسية: ازدراء الأديان والتمييز وخطاب الكراهية. ويعرّف خطاب الكراهية على أنه "كل قول أو عمل من شأنه إثارة الفتنة أو النعرات أو التمييز بين الأفراد أو الجماعات" [162]، والتمييز على أنه "كل تفرقة أو تقييد أو استثناء أو تفضيل بين الأفراد أو الجماعات على أساس الدين أو العقيدة أو المذهب أو الملة أو الطائفة أو العرق أو اللون أو الأصل الإثني". مع الإشارة إلى أن النوع الاجتماعي بقي خارج هذه الفئة.

في العام 2016، بحث مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية

[162] الإمارات العربية المتحدة، مرسوم بقانون رقم ٢ لسنة ٢٠١٥ بشأن التمييز والكراهية، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٥ يوليو ٢٠١٥.
http://ejustice.gov.ae/downloads/latest_laws2015/FDL_2_2015_discrimination_hate_en.pdf ، (تم الاطلاع على الرابط في ١٥ يوليو ٢٠١٧) للاطلاع على الرابط بالعربية:
http://ejustice.gov.ae/downloads/latest_laws2015/legislation_decree_2_2015_discrimination%20and%20hate.pdf

مشروع قانون يعاقب على التمييز و"بث الكراهية" من قبل الأفراد والجماعات على أساس اللون والجنس والعرق والطائفة، ويعاملهما كجريمة. ويلعب الدين دوراً أساسياً في مشروع القانون حيث ينصّ على السجن لمدة 10 سنوات لكل من تثبت إدانته بالتمييز أو بث الكراهية في المساجد، حيث يشدد على حماية أماكن أداء الشعائر الدينية من الأفعال التمييزية. ويتناول أيضاً الإساءة على الإنترنت ويهدف إلى التحكم في استخدام منصات الإعلام الاجتماعي بحجة الأمن الوطني [163].

وفي الأردن، حين أُبلغت وزارة شؤون الإعلام الأردنية بأن الحكومة تناقش إمكانية سنّ قانون جديد يمنع خطاب الكراهية على الإعلام الاجتماعي، حذر ناشطون اجتماعيون وسياسيون فضلاً عن مركز الدفاع عن حرية الصحافيين من الخطورة التي يشكّلها ذلك على حرية التعبير [164].

مهما تم توجيه هذه الجهود نحو مكافحة خطاب الكراهية والتمييز، سيظهر الخطر نفسه مجدداً: يمكن استخدامها أيضاً لإسكات حرية التعبير وقمع المعارضين. وكثيراً ما تتضمن قوانين العقوبات الوطنية في العديد من الدول العربية أحكاماً مبهمة تجرّم انتقاد الحكومة، وتقود أيضاً إلى معاقبة التقارير الصحافية التي تتناول مواضيع دينية واجتماعية وسياسية تعتبر حساسة للحكومة [165].

---

[163] العربي الجديد»، «الرياض تدرس عقوبات مشددة على مروجّي الكراهية في المساجد» Riyadh considers tough penalties for inciting hatred in mosques، «العربي الجديد»، ١٣ يونيو ٢٠١٦.
https://www.alaraby.co.uk/english/news/2016/6/13/riyadh-considers-tough-penalties-for-inciting-hatred-in-mosques ،
(تم الاطلاع على الرابط في ١٥ يوليو ٢٠١٧).

[164] «جوردان تايمز»، «ناشطون يحذرون من أن قانون محاربة خطاب الكراهية قد يضّر بحرية التعبير» Law to combat hate speech could harm freedom of expression, activists warn، «جوردان تايمز» ١٠ يناير ٢٠١٧. (تم الاطلاع على الرابط في ١٠ يوليو ٢٠١٧).

[165] الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، «حرية التعبير في مصر والعالم العربي»، التقرير السنوي ٢٠١٥. الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، ٢٠١٥.-http://anhri.net/wp-content/uploads/2016/02/Freedom-of-Expression-in-Egypt-and-the-Arab-World...-Annual-Report-2015.pdf، (تم الاطّلاع على الرابط في ١٥ يوليو ٢٠١٧). للاطلاع على الرابط بالعربية: http://anhri.net/wp-content/uploads/2016/02/----------.pdf

مواجهة خطاب الكراهية في العالم العربي: التحقق من الواقع

ليس خطاب الكراهية وانتهاكات الحق في حرية التعبير تحدياً محصورا بالعالم العربي. غير أن بيئة النزاع التي تلت ثورات الربيع العربي حفّزت، وفقاً لمراقبين، خطاب الكراهية على الإنترنت وخارجه، وأصبحت الأجواء مناسبة للتعصّب والطائفية.

وبالفعل استعرضت دراسة حول خطاب الكراهية والطائفية بعنوان "إنّي أكرهك"، روايات وخطابات خلال ثورات الربيع العربي وتخلص إلى أن وسائل الإعلام لم تكن مجرّد أبواق للأنظمة العربية لقمع أصوات المعارضة والتظاهرات، بل كانت أحياناً "متواطئة بممارستها أو صمتها عن تفشي خطاب الكراهية" [166].

حلل "مرصد الإعلام في شمال إفريقيا والشرق الأوسط"، وهو منظمة رصد إعلامي، خطاب الكراهية في أكثر من 25 صحيفة من عدة دول عربية بدءاً من العام 2014 لا سيّما الجزائر والأردن وليبيا وتونس والمغرب واليمن، على مدار ثلاثة أسابيع [167]. وركّزت الدراسة على الصحف فقط نظراً لمحدودية التمويل. واستخدم المرصد أساليب بحث كمّية ونوعيّة أثناء رصد خطاب الكراهية على شكل محتوى يحرّض على الكراهية. كانت النتائج صادمة؛ حيث سجّل المرصد 3086 حالة خطاب كراهية خلال فترة الأسابيع الثلاثة للدراسة. وبذلك تكون كل صحيفة عربية نشرت ما معدّله 124 مادة تتضمّن خطاب كراهية خلال فترة الدراسة. وهذا يعني أن كل قارئ تعرّض لحوالي ست مواد تتضمن خطاب كراهية في اليوم في كل صحيفة [168].

---

[166] مركز حماية وحرية الصحافيين https://goo.gl/sFeAGM
تم الاطلاع عليه في ١١ أغسطس ٢٠١٧.

[167] مرصد الإعلام في شمال إفريقيا والشرق الأوسط. http://menamediamonitoring.com/wp-content/uploads/2016/03/تقرير-رصد-خطابات-الكراهية-في-تونس-ومصر-والعراق-واليمن-والبحرين-.pdf (تم الاطلاع عليه في ١١ أغسطس ٢٠١٧).

[168] مرصد الإعلام في شمال إفريقيا والشرق الأوسط. http://menamediamonitoring.com/wp-content/uploads/٢٠١٦/٠٣/تقرير-رصد-خطابات-الكراهية-في-تونس-ومصر-والعراق-واليمن-والبحرين-.pdf (تم الاطلاع عليه في ١١ أغسطس ٢٠١٧).

كانت النسبة الأعلى في اليمن. وهو ما قاد الباحثين إلى خلاصة مفادها أن الدول التي تواجه حرباً أو نزاعاً أو توتّراً تواجه خطراً أعلى لتكون ضحية خطاب كراهية. وكانت أشكال خطاب الكراهية الأكثر انتشاراً في الأخبار المنشورة في الدول محلّ البحث، الوصم والإهانات ضد جماعات وأفراد. أما التمييز والتحريض المباشر فقد كانت نسبتهما مرتفعتين لا سيما في الصحف العراقية على سبيل المثال. في تونس، كان أبرز ما تمّ رصده حقيقة مقلقة للغاية تمثّلت في أن المقالات تضمّنت تحريضاً مباشراً على القتل. وبشكل عام، كانت افتتاحيات الصحف والأعمدة والبيانات الافتتاحية في الصحف التي تم تحليلها أسوأ المحرّضين على الكراهية.

دراسة حالة: خطاب الكراهية في الإعلام المصري

لا تزال مصر ما بعد الربيع العربي بيئة مستقطبة وعدائية. فالخطابات المتجابهة التي قد تبلغ مستويات خطابات الكراهية، ليست فقط سائدة في الإعلام بل غالباً ما تحرّض عليها وتعززها وسائل الإعلام نفسها. والأمثلة التالية مأخوذة من مقالة تناقش ما إذا كانت مصر تشبه رواندا أم لا. وتعرّضت بعض وسائل الإعلام للانتقاد بسبب تحريضها على العنف ضد المتظاهرين.

تقول إحدى الصحف: "الأقباط يقتلون الجنود"، محرّضة المواطنين على المحتجّين المسيحيين في مجزرة "ماسبيرو" التي قتل فيها 82 شخصاً، والتي قام بعدها هؤلاء المواطنون أنفسهم بمهاجمة المسيحيين في المناطق المحيطة "بماسبيرو" [169]. فالتعميم في تلك الحالة بالقول: "الأقباط" التي تعني جميع المسيحيين الأقباط والتحريض بالتالي على استهدافهم، شرّع الهجمات على مجموعة فئوية بأكملها سواء لفظياً أو جسدياً [170]. وكصحافي،

---

[169] موقع «إضاءات»: http://ida٢at.com/hate-speech-repeat-egypt-experience-ronda (تم الاطلاع على الرابط في ١١ أغسطس ٢٠١٧.

[170] اندلعت أعمال العنف خلال تظاهرة تركّزت حول مبنى التلفزيون والإذاعة في ميدان ماسبيرو في القاهرة. للتفاصيل راجع: http://www.aljazeera.com/news/middleeast/2012/10/201210916741376710.html (تم الاطلاع عليه في ١٢ أغسطس ٢٠١٧).

على المرء ألاّ يحكم أو يعلن أن شخصاً قتل شخصاً آخر إذا لم يتخّذ إجراء قانوني يجده مذنباً بموجب القانون. فعليك دائماً أن تسند معلوماتك إلى مصدر رسمي مثل الهيئات الحكومية أو الطبية.

في حالة أخرى، قال الصحافي أحمد موسى في برنامج على قناة "صدى" في ذكرى ثورة 25 يناير، التي قتل فيها 17 شخصاً: "أتمنى لو أن الشرطة قتلت 400 إرهابي اليوم" [171]. فبعد الإطاحة بالرئيس المنتخب محمد مرسي، أطلقت وسائل إعلام رسمية وشبه رسمية وحتى خاصة حملة تحريض وكراهية ضد المعارضة لا سيما الإخوان المسلمين التي كان مرسي قيادياً فيها. كما وصف أعضاء الجماعة بـ "الخرفان" من قبل شخصيات إعلامية بارزة مثل عمرو أديب في برنامجه "كل يوم" [172].

فالتجريد من الصفات الإنسانية هو أحد التفسيرات لخروج مواطنين مصريين إلى الشوارع للاحتفاء بمقتل ألف مواطن على يد الشرطة المصرية فيما أصبح يعرف بـ "مجزرة رابعة" [173]. غير أنّ على المؤسسات الإعلامية أن تضع سياسة تحريرية واضحة تحدد مصطلحات من المحتمل أن تصنّف خطاب كراهية في كل منطقة مثل عدم استخدام أسماء حيوانات للإشارة أو تصنيف مجموعات فئوية.

---

[171] الصحافي هو أحمد موسى لديه برنامج على قناة تلفزيونية مصرية اسمها «صدى البلد». اطّلعوا على التفاصيل: http://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=25012015&id=9b767115-12ef-4804-a040-990d635d083 (تم الاطّلاع عليه في ١٢ أغسطس ٢٠١٧). وhttp://www.elbaladtv.net/Program/GetProgram/127 (تم الاطّلاع عليه في ١٢ أغسطس ٢٠١٧).

[172] «عربي21». https://medium.com/arabi-21/%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%B3%D9%8A-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A3%D8%B2%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A8%D8%B2-%D8%B4%D9%8A%D8%B7%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AE%D9%88%D8%A7%D9%86-%D9%85%D8%AC%D8%AF%D8%AF%D8%A7-%D8%B4%D8%A7%D9%87%D8%AF-c5035ce97d8a

https://www.youtube.com/watch?v=IRRyPZ-nRDY و (تم الاطلاع على الرابطين في ١٢ أغسطس ٢٠١٧).

[173] «هيومان رايتس ووتش»، ٢٠١٣. «حسب الخطة، مذبحة رابعة والقتل الجماعي للمتظاهرين في مصر» All According to Plan The Rab'a Massacre and Mass Killings of Protesters in Egypt، « هيومان رايتس ووتش»، ٢٠١٣. https://www.hrw.org/report/2014/08/12/all-according-plan/raba-massacre-and-mass-killings-protesters-egypt (تم الاطلاع عليه في ١٥ يوليو ٢٠١٧).

"أقولها على الهواء، اقتلوا ضباط الشرطة" هي عبارة أخرى قالها صحافي على قناة "مصر الآن" المؤيدة للإخوان المسلمين [174]، داعياً بشكل مباشر إلى قتل الناس وبالتالي تحريض الناس على النزول إلى الشارع وممارسة العنف.

دراسة حالة: خطاب الكراهية الطائفية على الإنترنت

حلل برنامج كارنيغي للشرق الأوسط في العام 2015 في تقرير، خطاب الكراهية الطائفية على تويتر. ودرس التقرير الذي حمل عنوان: "حروب تويتر الطائفية: الصراع والتعاون السنّي - الشيعي في العصر الرقمي"، حوالي 7 ملايين تغريدة من فبراير حتى أغسطس 2015.

وخلصت الدراسة إلى أن الإعلام الاجتماعي هو إحدى الوسائل الرئيسية لنقل الخطاب الطائفي والمناهض للطائفية. ورأت أن أعمال العنف التي تحصل على الأرض تؤجج خطاب الكراهية الطائفية على الإنترنت. فحين تقع أحداث معيّنة مثل التدخّل في اليمن بقيادة السعودية أو الهجوم على مدينة تكريت في العراق الذي نفّذته الميليشيات الشيعية ضد تنظيم الدولة في العراق والشام (داعش)، نشهد ارتفاعاً حاداً في خطاب الكراهية على تويتر.

بالإضافة إلى ذلك، استخدم تويتر لإثارة العواطف وتعبئة المجتمعات لتتحرك [175]. ومن النتائج البارزة الأخرى أن الخطاب المعادي للشيعة كان على ما يبدو أكثر انتشاراً من الخطاب المعادي للسنّة أو الرافض للطائفية. ويعزو التقرير ذلك بشكل أساسي لأسباب ديموغرافية [176].

---

[174] موقع «إضاءات» http://ida٢at.com/hate-speech-repeat-egypt-experience-ronda، (تم الاطّلاع عليه في ١١ أغسطس ٢٠١٧).

[175] ألكسندرا سيغل، حروب تويتر الطائفية: الصراع والتعاون السنّي - الشيعي في العصر الرقمي»، برنامج كارنيغي للسلام الدولي، ٢٠ ديسمبر ٢٠١٥. http://carnegieendowment.org/2015/12/20/sectarian-twitter-wars-sunni-shia-con-flict-and-cooperation-in-digital-age-pub-62299 ، (تم الاطلاع على الرابط في ١٥ يوليو ٢٠١٧).

[176] سيغل، ٢٠١٥، المرجع ذاته.

Anti-Sunni	Translation
ناصبي	Nasabi
نواصب	Nuwasib
الأموي	Umayyad

Anti-Shia	Translation
الرافضة	Rejectionist
الروافض	Rejectionists
حزب الشيطان	Party of the Devil
حزب اللات	Party of Laat
مجوس	Majous
نصيرية	Followers of Nusayr
صفوي	Safavid

Countersectarian	Translation
وحدة وطني	National Unity
انا سني انا شيعي	I'm Sunni, I'm Shia
وحدة اسلامية	Islamic Unity
لا سنية لا شيعية	Not Sunni, Not Shia
لا للطائفية	No to Sectarianism

الصورة مأخوذة من تقرير يعرض بعض المصطلحات الأساسية المستخدمة على الإنترنت سواء للتحريض على خطاب الكراهية أو مواجهته.

بالإضافة إلى ذلك، يلعب رجال الدين وقادة الجماعات ووسائل الإعلام والشخصيات المعروفة دوراً مهماً في سلوك الناس. ويبدو أنّهم يحرّكون النقاش على الإنترنت، وهم عوامل أساسية في أي ارتفاع لمستوى خطابات الكراهية بعد اندلاع أعمال عنف على الأرض أو بعد حدث سياسي معيّن.[177]

رغم كلّ ما سبق ليس الوضع سيئاً بالكامل. فالدراسة تعطي أمثلة حيث لعبت حملات الإعلام الاجتماعي دوراً إيجابياً في تخفيف التحريض الطائفي بعد هجومين على مسجدين للشيعة في الكويت والسعودية.

مكافحة خطاب الكراهية

السؤال الأهم الذي يجب أن يطرحه الصحافيون على أنفسهم مرة أخرى

[177] سيغل، ٢٠١٥، المرجع ذاته.

هو: هل أنا أنجرّ أو أروّج لخطاب الكراهية بطريقة ما؟ فكّر في ذلك عند تغطية النزاع أو الحرب. هل من الممكن تغطية حرب وتفادي الترويج لخطاب الكراهية حين يكون هناك، على سبيل المثال، مجموعات تطلق التصريحات المعادية ضدّ بعضها البعض؟ هل علينا إدراج هذه التصريحات في تغطيتنا أم علينا إزالتها عند التحرير؟ ولكن إذا قمنا بإزالتها، ألا نكون عندها ننقل الأخبار بتحيّز أو بشكل ناقص؟

قد تبقى هذه الأسئلة معلّقة دون إجابات حاسمة عليها. لذلك من المهم الاستمرار في طرحها بشكل متكرر مع كل خبر ننوي نشره.

ولكن ثمة معايير يجب أن توجّه إجاباتك لمساعدتك في التحوّل إلى ناقل لبروباغندا الكراهية. ولكن رغم أن هذه المعايير ليست شاملة ولا كاملة بأي حال من الأحوال، إلاّ أنه يمكن استعمالها كمدخلات لتطوير بروتوكولات أو إجراءات يجب أن تتبعها دائماً كصحافي:

• احترم حقوق الإنسان المنصوص عليها في القانون الدولي لحقوق الإنسان والتشريعات الوطنية. قد تتناقض هذه القوانين أحياناً لا سيما في دول العالم العربي. وفي هذه الحالة، عليك أن تنتبه اولاً لسلامتك وتقيّم أهمية الخبر إزاء التحريض المحتمل على العنف الذي قد ينطوي عليه.

• حاول دائماً أن تكتب أخباراً من زاوية تروّج للسلم الاجتماعي وتحميه.

• لا تنشر أي محتوى من شأنه أن يحث على الاغتصاب أو التعذيب أو المعاناة أو الموت أو إيذاء النفس.

• ابتعد عن التنميط أثناء تقييم الناس والأماكن والأحداث.

• اعرف السياق من أجل تمييز الأجندات وتفادي الانجرار وراء الشعارات الوطنية ذات الأهداف التمييزية الخفية.

• لا تستخدم الأمور الخلافية والإثارة لمجرد زيادة المشاهدات أو القراءات. قيّم الأخبار وفقاً لجدارتها.

• يجب أن يكون مدراء أقسام الأخبار على اطلاع على التوجّهات السياسية للصحافيين لديهم لضمان دقّة الأخبار وسلامتها.

• حين تكون غير متأكد من ضرورة كشف حقيقة ما أو إخفائها ـ لأن ذلك من شأنه أن يؤجج النزاع ـ اسأل نفسك: هل هذا الخبر مهم إلى درجة يستحق تعريض الناس للخطر من أجله؟

• امتنع بشدّة عن نشر التهديدات التي تحرّض على العنف.

• لا تدعم أياً كان لقتل آخرين.

• لا تدعم منظمات أو أفراداً يؤيدون الكراهية على أي أساس كان.

• يجب على وسائل الإعلام صياغة ميثاق للصحافيين مع آليات تطبيق محددة لتفادي خطاب الكراهية.

• تحقق من خبرك بناء على اختبار النقاط الخمسة للصحافيين الذي طوّرته "شبكة الصحافة الأخلاقية" لتقييم محتواك قبل نشره وتفادي خطاب الكراهية [178].

قد تبدو بعض هذه النصائح بديهية، ولكن كما رأينا في الأمثلة السابقة، فإنه من الشائع جداً أن ينتهك الصحافيون هذه المعايير الأساسية في أجواء الحرب والنزاع.

تقف عوامل كثيرة وراء انتشار خطاب الكراهية في الإعلام بما في ذلك التطورات السياسية في المنطقة والظروف المحيطة بها. ولكن خيبة الأمل الأكبر هي انجرار بعض وسائل الإعلام والصحافيين بشكل أعمى وراء التيار التحريضي على الكراهية. كذلك فشلت العديد من وسائل الإعلام في القيام بدورها كضمانة للمحاسبة. ولم تتمكّن من المساهمة في حماية السلم الاجتماعي وتعزيز قيم الحوار والتسامح في أوقات بات فيها الاستقطاب ونفي الصفات الإنسانية عن الآخرين ظواهر آخذة في الارتفاع في العالم.

يجب أن يتدرّب الصحافيون على منهجية وآليات لرصد خطاب الكراهية وتفاديه ومكافحته. وأنت كصحافي عليك أن تدرس خطابك وخطواتك كل يوم لا سيما حين تكون على الخط الرفيع بين نقل الخبر وتضخيم الأصوات المضرّة التي قد تقوّض السلام وتهدد كرامة الآخرين وحياتهم.

[178] شبكة الصحافة الأخلاقية، ٢٠١٥، «موارد لتحديد خطاب الكراهية».
http://ethicaljournalismnetwork.org/resources/publications/hate-speech (تم الاطّلاع على الرابط في ١٧ يوليو ٢٠١٧).

دليل لتحديد أنواع خطاب الكراهية

في ظل التعريفات المتعددة لخطاب الكراهية، كيف يعلم الصحافي ما الذي يندرج تحت هذا التصنيف وما الذي لا يندرج؟

تقترح منظمة "أرتيكل ناينتين" تصنيفاً نموذجياً لخطاب الكراهية وفقاً لشدّته:

1. خطاب الكراهية الذي يجب حظره.
2. خطاب الكراهية الذي يمكن حظره.
3. خطاب الكراهية القانوني.

وتعتبر هذه المنظمة المدافعة عن حرية التعبير أن التعابير العدائية والتجديف أو ازدراء الأديان، وتمجيد الهجمات الإرهابية، وإنكار الأحداث التاريخية، والتشهير والخطاب المعادي للدولة والمسؤولين الحكوميين، لا يجب أن تعتبر خطاب كراهية.

راجع الدليل كاملاً: https://goo.gl/qQGw3H

الفصل الثاني عشر

النزاهة المهنية أهم ضامن لحماية الصحفيين

بيتر غريستي

البروباغندا والرقابة مفهومان قديمان بقدم الحرب نفسها ولكن التحكّم بالقصة الصحافية بشكل عام يعد أصعب من استهداف الشخص الذي يرويها. في عالم مثالي، لا يفترض أن تكون الصحافة مهنة خطيرة. صحيح أنها دائماً تنطوي على مخاطر ولكننا كرواة للقصص الصحافية لا يفترض بنا أن نكون ناشطين بل وسطاء، ولا يفترض أن نكون مشاركين بل مراقبين.

غير أن نظرة على الإحصاءات تظهر بعض الأرقام المقلقة. فقد كانت لجنة حماية الصحافيين ومقرها نيويورك ترصد عدد الصحافيين والعاملين في قطاع الإعلام الذين قتلوا منذ العام 1991 [179]. وتظهر رسومها البيانية بعض السنوات السيئة في مطلع تسعينيات القرن الماضي حين قتل العديد من المراسلين في نزاعين بارزين هما رواندا ويوغوسلافيا السابقة. وهناك كان معظم الضحايا صحافيون محليون قتلوا بسبب عرقهم أكثر منه بسبب عملهم. ولاحقاً، بدأ العدد يتضاءل تدريجياً حيث قتل 30 و40 صحافياً سنوياً حتى العام 2004 قبل أن ترتفع الأرقام مجدداً لتبلغ ما بين 70 و110 سنوياً. ويمكن إرجاع التصاعد في العنف ضد الصحافيين منذ منتصف العقد الأول من القرن الجاري، إلى أسباب مختلفة من بينها الحرب طبعاً. فالأرقام تظهر أنّ عدداً أكبر من الصحافيين يقتلون في النزاعات المفتوحة.

---

[179] وثقت لجنة حماية الصحافيين أيضاً وفاة داعمين لوسائل الإعلام اعترافاً بالدور الذي يلعبونه في دورة إنتاج الأخبار. وتشمل هذه الفئة المترجمين والسائقين والحراس والمرشدين والعمال الإداريين. للاطّلاع على المصطلحات التي تستخدمها اللجنة أدخل إلى الرابط التالي: https://cpj.org/killed/terminology.php

أما في العالم العربي فشهد العنف ضد الصحافيين ارتفاعاً كبيراً بعد هجمات 11 سبتمبر. فالصحافيون الذين قتلوا في العراق وسوريا يمثلون 20% من مجموع القتلى في صفوف هذه الفئة الذين وثّقتهم لجنة حماية الصحافيين منذ العام 1992[180]. وهما البلدان الأكثر دموية في العالم للصحافيين. ولكن هجمات 11 سبتمبر و"الحرب على الإرهاب" التي تلتها، أثرت على سلامة الصحافيين في مناطق معينة من العالم. ولطالما فكرت بهما على أنهما نقطتا تحوّل للصحافة لا سيما لحظة قال الرئيس جورج دبليو بوش "إمّا أن تكونوا معنا أو أنتم مع الإرهابيين". وهذا التصريح لوحده جعل النزاع خياراً من اثنين. فأنت إما مع أحد الجانبين في المعركة أو مع الآخر ولا يمكنك أن تلتزم الحياد. وترتّب على ذلك تداعيات عميقة على الصحافيين، فمساحة الحياد والاستقلالية التي تتطلّبها معاييرنا المهنية تبخّرت فجأة بين ليلة وضحاها[181].

"الحرب على الإرهاب"

وصف أحد أصدقائي المقربين بسخرية "الحرب على الإرهاب" بأنها حرب على اسم مجرّد يعني ما يريده أي شخص. وهي حرب ذات نهاية مفتوحة حيث من المستحيل تعريف "النصر" فيها ولا وصفه. وعلى مر التاريخ، تمّ تأطير أكثر من حرب أو نزاع بروايات تسهّل انتهاك حقوق الإنسان بشكل ممنهج لا سيما لأن الخط الذي يفصل بين المواطن أو المدني والعدوّ يصبح غير واضح نهائياً.

---

[180] لجنة حماية الصحافيين: «مقتل ١٢٤٦ صحافياً منذ العام ١٩٩٢/الدافع مؤكّد»، "1246 Journalists Killed since 1992/Motive Confirmed"، ٢٠١٧. تم الاطّلاع على الرابط في ١٨ تموز/يوليو ٢٠١٧: https://cpj.org/killed/

[181] ملاحظة من المحرر: لا شك أن الحرب على الإرهاب غيّرت قواعد اللعبة ولكنّ العديد من الصحافيين قتلوا لأسباب أخرى. مثلاً في العام ٢٠٠٩، سُجّل مقتل ٧٥ صحافياً من بينهم ٣٣ أي حوالي النصف قتلوا في الفليبين. لذلك فإن إعادة العنف ضد الصحافيين، كظاهرة، إلى الحرب على الإرهاب ليس سوى تبسيطاً للأمور. فالمكسيك من أخطر الدول للعمل الصحافي. وحتى الآن في العام ٢٠١٧، تعتبر حصيلة القتلى في صفوف الصحافيين في هذا البلد من بين الأعلى في العالم. فهناك يقتل الصحافيون نتيجة الحرب على المخدرات. ويبدو أن العنف يتصاعد حين تعلن الدولة حرباً مفتوحة على هذه المسألة أو تلك. لذلك فإن المبالغة في تبسيط الأسباب وراء ارتفاع عدد الصحافيين القتلى لا يخدم القضية. لا يمكننا أن نضع الأوضاع في مصر والمكسيك والفليبين والصومال وباكستان مثلاً في الخانة ذاتها. فذلك من شأنه أن يصعّب تشخيص المشكلة والخروج باستراتيجيات استباقية. علينا أيضاً أن نأخذ في الاعتبار أن التقدم التكنولوجي في الحروب يساهم في زيادة عدد القتلى والجرحى في صفوف الصحافيين. كما أنّ ازدياد الناشطين الإعلاميين يعني زيادة الضحايا بينهم أيضاً.

ومن الأمثلة على ذلك الديكتاتوريات العسكرية في الأرجنتين وتشيلي حيث الادعاء أن تعريف من هو "العدو" [182] كان صعباً. الفرق بين هذه الأنواع من النزاعات و"الحرب على الإرهاب" هو أن الأخيرة لديها بعدٌ دولي ونطاق وتأثير عالميين. ونحن في الغرب نميل إلى التفكير بشكل واضح بما يعنيه خوض حرب ضد الإرهاب. فهو يعني وقف القتل في أماكن مثل باريس والتفجيرات العشوائية في كابول وبغداد أو الحوادث التي تم التخطيط لها وتنفيذها داخلياً مثل الهجوم على "لينـدت كافيه" في أستراليا، أو إطلاق النار في ملهى ليلي في أورلاندو في الولايات المتحدة. ولكن لا بد أن أفكّر في ما قاله لي بعض الإسلاميين الذين التقيتهم في السجن. فـ "الحرب على الإرهاب" بالنسبة إليهم تعني وقف غارات طائرات الاستطلاع على مستشفى في أفغانستان أو حفلات زفاف في وزيرستان أو البراميل المتفجرة في حلب وطبعاً الاعتقالات العشوائية والضرب والتعذيب في سجون القاهرة.

في الحرب، تمتد ساحة المعركة إلى حيث الأفكار حتى تتعرّض للاضطهاد وهذا يشمل الإعلام. فمختلف الأطراف أو الفصائل تتصارع للفوز بتأييد الجمهور. غير أنه في النزاعات الأخيرة، نرى بشكل متزايد أن الصحافيين لا يكتفون بأن يكونوا شهوداً أو مراسلين في هذه الصراعات بل أصبحنا، من حيث التعريف، أدوات تستخدم لخوض الحرب نفسها.

وهذا ليس مفهوماً مجرداً. فإحدى الطلقات الأولى في هذه الحرب على الأفكار، جاءت من سلاح الجو الأميركي الذي قصف مكتب الجزيرة في كابول في تشرين الثاني/نوفمبر 2011 [183]. يومها، أعلنت الولايات المتحدة رسمياً أن ما حصل كان خطأ ولكن من الصعب الهروب من الخلاصة بأنّها هاجمت المكتب لأنها أرادت منع وصول الصحافيين في

---

[182] مثلًا في الأرجنتين، كان العدو عبارة عن مفهوم ألا وهو «المخرّبون» بدلًا من مجموعة عدوانية ملموسة ومعرّف عنها ومحددة جيداً. وكان «قتال التخريب» مفهوماً ملأته الحكومة بمحتوى وفقاً لتقديرها الخاص. واستخدم بشكل عشوائي لتعريف كل ما تريد الحكومة التخلص منه.

[183] مات ولز، «الجزيرة تتهم الولايات المتحدة بقصف مكتب كابول»، "Al-Jazeera accuses US of bombing its Kabul office"، الغارديان، ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١. تم الاطلاع على الرابط في ١٨ تموز/يوليو ٢٠١٧: https://www.theguardian.com/media/2001/nov/17/warinafghanistan2001.afghanistan

الخدمة العربية إلى مصادر في طالبان والقاعدة. وبغض النظر عمّا كنت تفكّر في الصواب أو الخطأ الذي قد تقوم به هذه المجموعات، تبقى الحقيقة هي أن الولايات المتحدة استهدفت مؤسسة إعلامية لأنها لم توافق على الأفكار التي تطرحها. هذا أحد الأمثلة على كيف يكون تطبيق التقسيم الزائف "إمّا أن تكونوا معنا أو أنتم مع الإرهابيين".

على الجانب الثاني يمكن رؤية الديناميكية ذاتها. فبعد أسابيع قليلة، أوقفت طالبان مجموعة من أربعة صحافيين على الطريق من باكستان إلى كابول وقتلتهم ببساطة بسبب ما هم عليه وليس بسبب شيء فعلوه. وبعدها أعدم دانيل بيرل مراسل "وول ستريت جورنال" الذي تعرّض لحادثة الخطف الشهيرة في باكستان وقطع رأسه بعد أشهر قليلة. وجاء نشر عملية الإعدام على الإنترنت، بمثابة أسلوب إعلامي جديد استخدمته القاعدة لنشر رسالتها الخاصة وهي أن الذين يتحدون وجهة نظرها حول الطريقة التي يجب أن يعمل بها المجتمع سيتعرّضون للإعدام. وما بدأته القاعدة احترفه "تنظيم الدولة في العراق والشام" مع مقاطع فيديو الإعدام المثيرة للغثيان، واستعماله الإعلام الاجتماعي للتعبئة والترهيب. في هذه الحرب، أصبح الإعلام الاجتماعي سلاحاً إرهابياً مثله مثل أي قنبلة.
وبالطبع فإن ردة الفعل البديهية الأولى لأي حكومة وبالتالي أي مجتمع - يجد نفسه معرّضاً للهجوم - هو إغلاق الصفوف وتقديم الأمن على كل شيء آخر، وإسكات المنشقّين والتحكّم بالرأي العام. ولكن اليوم مع تذرّع الحكومات حول العالم بـ "الحرب على الإرهاب" و"الأمن القومي"، نجدها تحدّ من حرية التعبير وتفرض رقابة على الصحافة.

وفيما يلي بعض الأمثلة التي قدّمتها لجنة حماية الصحافيين إلى لجنة في الكونغرس الأميركي:

- في تونس، اقترحت الحكومة مشروع قانون في العام 2015 يجرّم تشويه سمعة الشرطة أو قوات الأمن. ويسمح قانون مكافحة الإرهاب بإنزال عقوبات بالسجن حتى خمس سنوات لأي شخص أشاد بعمل إرهابي أو أي شخص ارتبط به. فهذه الأحكام واسعة النطاق والتي تحاكي قوانين

فـي دول أخـرى بالمنطقـة تنتهـك حـق الحصـول علـى المعلومـات ونقلهـا بحريـة وحـق حريـة التعبيـر.

ـ فـي الكاميـرون، كان الصحافـي المسـتقل سـيمون أتيبـا يعـدّ تقاريـر عـن حـال النيجيريين فـي مخيمـات اللجـوء فـي الكاميـرون وتشـاد حيـث أجـرى مقابـلات مـع أشـخاص فـروا مـن قبضـة "بوكـو حـرام". وقـد اعتقـل أتيبـا واتّهـم بالتجسـس لصالـح "بوكـو حـرام".

ـ تمنـح اسـتراتيجيات الحكومـة لمكافحـة التشـدد هيئـة تنظيـم البـث فـي المملكـة المتحـدة "أوفكـوم" Ofcom سـلطة متزايـدة لاتخـاذ إجـراء ضـد قنـوات الإذاعـة التلفزيـون التـي تبـث محتـوى "متشـدداً". كمـا أنهـا تطلـب مـن مقدّمـي خدمـات الإنترنـت القيـام بالمزيـد مـن الجهـد لإزالـة أي محتـوى متشـدد وملاحقـة مـن ينشـره. وشـهدنا أيضـاً حـالات انتهـاك لحريـة الصحافـة بموجـب تشـريع بريطانـي لمكافحـة الإرهـاب. ففـي آب/أغسـطس 2015، اسـتخدمت الشـرطة البريطانيـة صلاحيـات خاصـة بموجـب "قانـون الإرهـاب" لعـام 2000 لمصـادرة الحاسـوب المحمـول لسـيكوندر كرمانـي مراسـل برنامـج "نيـوز نايـت" Newsnight الإخبـاري الـذي تعرضـه "بـي بـي سـي 2". كمـا اعتـرض "مقـر الاتصـالات الحكوميـة البريطانيـة" British Government Communications Headquarters رسـائل إلكترونيـة تبادلهـا صحافيـون يعملـون لـدى بعـض مـن كبريـات وسـائل الإعـلام فـي الولايـات المتحـدة والمملكـة المتحـدة.

ـ فـي روسـيا خضعـت "دوشـد" Dozhd TV القنـاة المسـتقلة الوحيـدة المتبقّيـة فـي البـلاد لمراجعـة حسـابات للتحقـق مـن وجـود أي انتهـاكات لقانـون مكافحـة الإرهـاب مـن ضمـن انتهـاكات قانونيـة مزعومـة أخـرى، وهـو مـا اعتبرتـه لجنـة حمايـة الصحافييـن وجهـات أخـرى هجومـاً مسيّسـاً. ولكـن محـاولات اسـتخدام قوانيـن مكافحـة التطـرف لتقييـد الأخبـار والتغطيـات الإخباريـة ليـس جديـداً. ففـي العـام 2006، وسّـع مشـروع قانـون روسـي تعريـف التطـرف ليضـم انتقـاد الإعـلام للمسـؤولين الحكومييـن.

تغطية النزاع من مصر: شهادة شخصية

تعود تجربتي الشخصية المباشرة إلى تغطية الأحداث الأخيرة في مصر. ففي سياق الربيع العربي، اعتقلنا أنا وزميلاي المنتجان محمد فهمي وباهر محمد ووجّهت لنا تهم الانتماء إلى منظمة إرهابية ودعم منظمة إرهابية وتمويل منظمة إرهابية وبث أخبار كاذبة تقوّض الأمن القومي. ولكنّ الواقع أن كل ما كنّا نفعله هو تغطية الصراع السياسي المتكشّف بكل نزاهة مهنيّة بما يشمل نقل ما اعتقدنا أنه دقيق ومتوازن. وفي حالتنا كان النقل المتوازن للأحداث يشمل مقابلة أعضاء في جماعة الإخوان المسلمين الذين لم يمر سوى شهرين على إزاحتهم من السلطة بعد تشكيل أول حكومة منتخبة ديمقراطياً في البلاد. أي بعبارة أخرى كنّا نتحدث إلى المعارضة.

لذلك زعم المحققون المصريون بأننا استغلّينا دورنا كصحافيين كغطاء للعمل كمروّجين لبروباغندا الإخوان المسلمين. ولكنّ هذا التوصيف لا يفاجئ الكثير من الناس لا سيّما أن معظم الناس في مصر يرونه متّسقاً مع الطريقة التي تنظر فيها الحكومة الحالية إلى كيفية عمل معظم الصحافيين.

لو أنّنا فعلاً ارتكبنا بعضاً من تلك التّهم لما كنت اعترضت على الاعتقال. أي لو أننا فعلاً نشرنا أخباراً كاذبة مثلاً أو كنّا فعلاً أعضاء في منظمة إرهابية. ولكن لم يقدّم الادعاء في أي مرحلة من مراحل المحاكمة أيّ شيء لتأكيد التهم. ومجدداً لم يكن كلّ ذلك بسبب شيء فعلناه بل بسبب الأفكار التي كنّا متّهمين بنقلها.

من اليسار إلى اليمين، المنتج باهر محمد والصحفي السابق في الجزيرة محمد فهمي والمراسل بيتر غريستي في المحكمة. الصورة من "الجزيرة".

الصورة من "الجزيرة".

واستمرّت مصر على هذا المنوال إلى أن صدر تشريع جديد يجرّم نشر أي شيء يتناقض مع الرواية الرسمية لأي حادث إرهابي. فإذا تحققت من الوقائع واكتشفت أن الحكومة تحاول إخفاء بعض الحقائق غير المناسبة ونشرت ما اكتشفته، فقد تغرّم بأكثر من 50 ألف دولار أميركي.

ولكن مع بدء تكشّف الحقائق في قضيتنا، بدأت موجة هائلة من الدعم الاستثنائي لنا على يد زملائنا في المهنة بينهم بعض من أشرس خصومنا. ووقف مئات الأشخاص من منظمات مثل "سي إن إن" و"بي بي سي" بأفواه مغلقة بشريط لاصق حاملين لافتات كتب عليها "الحرية لفريق الجزيرة".

حملة عالمية لإطلاق سراح موظفي "الجزيرة". الصورة من "الجزيرة".

بعدها تحرّك الجمهور لدعمنا، أولاً بالمئات ثم بالآلاف ثم بالملايين وحتى بمئات الملايين. وحصل وسم #FreeAJStaff (الحرية لفريق الجزيرة) على حوالي ثلاثة مليارات مشاركة على تويتر وهو رقم استثنائي بكل المقاييس. وتالياً، جاء دور السياسيين الذين اصطفوا وراءنا بإجماع استثنائي أيضاً وهو أمر نادر هذه الأيام [184].

النزاهة المهنيّة كدرعك الأقوى

في هذه الأجواء الجديدة، كيف يجب أن يكون ردّنا؟ ما هي الطريقة الأسرع لحماية أنفسنا وأداء عملنا بنزاهة ومهنيّة؟ رد الفعل المغري هو بالطبع الاستسلام للضغط من الجانبين وترك الساحة للمتحاربين

[184] دومينيكا ليم «#الحرية لفريق «الجزيرة»: يوم عالمي للتحرّك»، "#FreeAJStaff: A global day of action"، «الجزيرة» ٢٧ شباط/فبراير ٢٠١٤. تم الاطلاع على الرابط في ١٨ تموز ٢٠١٧:
http://america.aljazeera.com/articles/2014/2/26/free-aj-staff.html

موظفو الجزيرة يحتجّون داخل قناة الجزيرة الإنجليزية. الصورة من "الجزيرة".

والاعتماد على كل ما تطلعنا عليه القنوات الرسمية. فببساطة من السهل الاقتباس من طرف أو آخر من دون محاولة الوصول إلى الحقيقة. ويمكننا أن نمنح الهواء للسياسيين من دون أن نجادلهم بحجة أننا "نقوم بعملنا" عبر نقل ما يقولونه.

هكذا نصبح حرفياً "الوسيط" أي الوسيلة التي ينقل بها الآخرون رسالتهم ولكن ذلك لا يجعلنا أفضل من الإعلام الاجتماعي حيث نلعب دور مكبّر صوت للتصريحات الكاذبة والمحرَّفة للآخرين. وهذا يعطي شعوراً بالأمان لأنه لا يغضب أحدٌ منّا ولكن هذه ليست صحافة جيّدة. وتجربتنا في مصر تؤكد أن هذا الأسلوب ليس آمناً كما يبدو. ففي النهاية، درعنا الأكبر كمراسلين ـ وهو في الواقع الوحيد ـ هو نزاهتنا المهنية.

في الخلاصة، إن الدعم الواسع الذي حصلنا عليه أُثناء المحاكمة جاء نتيجة إدراك الجميع أننا كنّا دائماً أوفياء لأعلى المعايير الأخلاقية ليس في تغطيتنا لمصر فحسب بل أيضاً طيلة مسيرتنا. فلو أنّ أياً منّا ارتكب أيّ سقطة في الماضي، ولو أننا استسلمنا بطريقة ما ونشرنا تقارير منحازة أو غير دقيقة، لكان منتقدونا في مصر استخدموها ضدّنا ولما

كان أحد، سواء زملاؤنا أو الجمهور أو السياسيون، لديه ثقة بنزاهتنا المهنية، ولكانوا بدأوا يتساءلون عمّا إذا كانت الادعاءات صحيحة. ولكان الدعم الذي حظينا به تلاشى ولكنّا ما زلنا في السجن.

ورغم المواقف السلبية من الصحافة والإعلام بشكل عام، ما زال ثمة فهم بين الجمهور بأن ما نفعله في الواقع أساسي جداً لكيفية عمل مجتمعاتنا. فهم يعلمون وأنتم تعلمون أنه رغم كل الانتقاد الذي يطال الإعلام، فإن الديمقراطية لن تأخذ مجراها إلاّ إذا حصل تبادل حر للأفكار والمعلومات وبوجود رقيب يتتبّع الذين يتخذون القرارات باسمنا. دعمنا الناس جزئياً لأنهم غضبوا مما نمرّ به على المستوى الشخصي ولكنّهم رفعوا الصوت لأنهم اعترفوا وآمنوا بأهمية القيم التي نمثّلها أي حرية التعبير وحرية الصحافة وحكم القانون في مجتمع يعمل بشكل سليم.

الفصل الثالث عشر

الإدارة السليمة في المؤسسات الإعلامية

أيدن وايت

قد تكون التغطية الصحافية من قلب المعارك أو تغطية المآسي والخراب بعد الكوارث الإنسانية محفوفة بالمخاطر. ولكن كل ذلك سيكون أقل خطورة إذا استعدّ الإعلاميون جيداً للمهمّة. فكل العاملين في الإعلام الإخباري عليهم واجب الحذر، فلو حصل مكروه يتحمّل الإعلام المسؤولية لا سيما إذا أصيب أشخاص أو قتلوا. لذلك عليهم أن يستعدّوا بشكل جيد للتحديات التي تنطوي عليها التغطية الخطرة وذلك عبر إرساء أنظمة داخلية من الإدارة السليمة وإدارة التحرير التي تضع السلامة في صلب أولوياتها، وعبر احترام الصحافيين الميدانيين للأخلاقيات الصحافية.

غني عن القول إن أي صحافي مكلّف بمهمة خطرة عليه أن يقوم بواجباته: حزم المعدّات المناسبة، تنبيه جهات الاتصال الموثوق بها في الميدان، وتكوين خلفية وافية عن الوضع السياسي والثقافي فضلاً عن الإلمام بالقوانين المحلية والقانون الإنساني الدولي، كما ذُكر في الفصلين الأول والثاني من هذا الكتاب من خلال تجارب زملاء صحافيين والدروس التي تعلّموها.

على الصحافيين الاستعداد جسدياً وعقلياً ببعض المعرفة بالإسعافات الأولية والخضوع على الأقل لدورة تدريبية واحدة للتعامل مع الظروف التي قد تواجههم في بيئات النزاع. ونحن نصرّ على ذلك دائماً لأن العديد من الصحافيين للأسف لا يفعلون ذلك. فغالباً لا يتجهز الصحافيون بشكل ملائم للمهام الخطرة وقد يقومون بمخاطرات غير مقبولة ويعرّضون حياتهم وحياة من حولهم للخطر. ويعمل البعض من دون أي تأمين صحي أو من دون عقد عمل واضح أو من دون تكليف من وسيلة

إعلامية مسؤولة. كما أن البعض يسافر إلى مناطق ساخنة من دون أي فهم جدّي لما ينتظره هناك. وبالإجمال، فإن من خضعوا لتدريب على الحفاظ على السلامة هم أقلّية فقط.

من الضروري جداً عدم التشجيع على هذه الممارسات ولكن حين تكون ميزانيات غرف الأخبار قليلة، قد تلجأ بعض وسائل الإعلام غير المسؤولة إلى تقليل الإنفاق على سلامة موظفيها لتوفير المال. لذلك نجد الصحافيين يضطرون بشكل متزايد للانتباه إلى أنفسهم.

كما أن الوضع يصبح أصعب في مواجهة المنافسة الإعلامية. فاندفاع الصحافيين ليكونوا السبّاقين إلى إجراء تغطية خاصة لأحداث عنف مثلاً تجعلهم يقدمون على المزيد من المخاطرات. وحتى أفضل وسائل الإعلام قد تغضّ النظر أحياناً عن سلوك ينتهك القواعد إذا كان يقود إلى الحصول على لقطات مهمة وحصرية. وبالطبع لا توجد ضمانات للسلامة، فالحوادث تحصل وحين ينهمر الرصاص أو تثور الحشود، يمكن لأيّ كان أن يتعرّض للأذى، ولكن بوسع الإعلام والعاملين فيه الحدّ من التهديدات التي قد تلحق بهم.

انطلاقاً من كل ما سبق، وضعت "شبكة الصحافة الأخلاقية" EJN الإرشادات التالية التي استلهمتها من تجارب ونصائح عاملين في قطاع الإعلام على مدار السنوات الثلاثين الماضية ومن منظمات مثل "معهد السلامة الإخبارية الدولي" INSI و"الاتحاد الدولي للصحافيين" IFJ [185].

وتشمل هذه الإرشادات بعض الاقتراحات لمساعدة وسائل الإعلام في تقليص المخاطر التي تواجه موظفيها. ولكنّها ليست شاملة، لذلك يجدر بالمؤسسات أن تحضّر أنظمتها الخاصة للسلامة بناء على أهدافها إلاّ أنه في جميع الأحوال يجب أن تتضمن السياسات الخاصة بالسلامة ما يلي:

---

[185] «معهد السلامة الإخبارية الدولي»، «دليل السلامة» INSI Safety Code، ٢٠١٧. تم الاطلاع على الرابط في ١٨ تموز/يوليو ٢٠١٧: http://www.newssafety.org/about-insi/insi-safety-code/ and http://ifj-safety.org/en/contents/international-code-of-practice-for-the-safe-conduct-of-journalism

• توجيه المدراء الإعلاميين إلى الخطوات التي يحتاجون إلى اتخاذها لإتاحة ظروف العمل الآمنة لممارسة الصحافة.

• قائمة تتضمن ما هو مطلوب من المحررين المسؤولين عن التكليفات لضمان حصولهم على القصة الصحافية من دون أن يضحّي المراسلون بسلامتهم.

• الحد الأدنى من المعايير للعمل مع المنسقين المحليين وموظفي الدعم في الميدان.

• نصائح لجميع العاملين على جميع المستويات حول السلوك الأخلاقي وبشكل خاص حول كيفية التعامل مع البروباغندا وخطاب الكراهية والتحريض على العنف لا سيما في ظروف الحرب.

البداية مع مراجعة داخلية لشروط السلامة

صحيحٌ أن المؤسسات الإعلامية الكبيرة تمتلك أقساماً للموارد البشرية لإدارة شؤون الموظفين، إلا أن لدى معظم وسائل الإعلام اليوم عمليات صغيرة أو متوسطة الحجم وجميعها بميزانيات مقلّصة. وغالباً ما توظّف هذه المؤسسات أشخاصاً بعقود مرنة أو قصيرة الأجل ولكن ذلك لا يبرر عدم ضمان حصول جميع من هم عرضة للخطر على الحماية التي يحتاجون إليها للعمل بأمان.

لذلك يجب على وسائل الإعلام أن تجري مراجعة سنوية لحاجات السلامة لديها والتي تحدد ما هي المخاطر التي يواجهها موظفوها وحاجاتها من معدّات وتجهيزات السلامة وتدريب الموظفين. ويجب أن ترسي هذه المراجعة معايير أساسية لموظفيها من جهة التأمين والتدريب والتجهيز. ولا يجب أن تنحصر المراجعة بالمكتب الرئيسي بل أيضاً بالمكاتب الخارجية لفحص قدرتها وأدائها.

ومـن المفتـرض أن تتـم مراجعـة أعـداد الموظفيـن (بمـن فيهـم المسـتقلون) المعرّضيـن للخطـر وتدقـق فـي أداء الشـركة وقدرتهـا فـي المجـالات التاليـة:

• تأمين التدريب والحماية الأمنية.

• توفير التأمين الصحي والتأمين على الحياة للموظّفين المعرّضين للخطر.

• إجـراءات أخـرى تتعلـق بالتعليـم والتدريـب وتقديم المشـورة والوقايـة وإدارة المخاطـر التـي تغطـي الأمـراض الخطيـرة والظـروف الأخـرى المسـببة للإجهـاد إضافـة إلـى الاعتـداءات الجسـدية.

• إجراءات خاصة لدعم الموظفات.

• تغطيـة مواضيـع تتعلـق بالصحـة والسـلامة فـي الاتفاقـات الرسـمية مـع الاتحـادات التجاريـة والنقابـات الصحافيـة.

• الانخـراط فـي أنشـطة مرتبطـة بالسـلامة علـى المسـتويين الوطنـي والدولـي مـن بينهـا "معهـد السـلامة الإخباريـة الدولـي".

الإدارة الإعلامية

صحيـح أن المـدراء الإعلامييـن قـد لا يتواجـدون شـخصياً فـي الميـدان إلاّ أن عليهـم أن يطـوّروا أنظمـة داخليـة لـلإدارة تعـزز الوعـي حيـال المخاطـر المحتملـة التـي قـد يواجههـا الموظفـون وطـرق التعامـل مـع أيـة أزمـة أمنيـة فـي حـال حدوثهـا.

وسـيضمن المسـؤولون الإداريـون فـي وسـائل الإعـلام بشـكل خـاص أن تحافـظ المؤسسـة علـى النزاهـة المهنيـة لعملهـا التحريـري مـن خـلال عـدم السـماح بـأي شـكل مـن أشـكال الانحيـاز السياسـي فـي تقاريرهـا أو التأثّـر بنفـوذ سياسـي مـن أي جهـة مـن جهـات النـزاع.

فالمدراء الجيّدون سيطوّرون نظاماً للصحة والسلامة يحمي جميع الموظفين ويعترف بأن الصحافيين والأشخاص العاملين معهم يواجهون مشاكل خاصة تتطلّب انتباهاً خاصاً. ويجب أن يضمنوا أنهم والمحررين المسؤولين عن توزيع التكليفات والتنفيذيين داخل غرف الأخبار والصحافيين الميدانيين، على اطّلاع على السياسات والقوانين المرتبطة بسلامتهم، بما في ذلك خطة عمل الأمم المتحدة بشأن سلامة الصحافيين[186] وعناصر في القانون الإنساني الدولي [187] تؤمن الحماية للصحافيين.

كذلك يجدر بالمدراء أن يضمنوا إيلاء انتباه خاص للمسائل المتعلقة بالجندر أثناء تطبيق شروط السلامة. فقد أظهرت أبحاث جرت مؤخراً أن ثمة حاجة ملحّة إلى إيلاء انتباه خاص بالتحديات التي تواجه النساء اللواتي يكلّفن بمهام خطرة [188]. في الخلاصة يجب أن يكون خطر تعرّض الصحافيات للتحرّش والتنمّر والترهيب جزءاً من استراتيجيات السلامة في أية مؤسسة [189].

يجب أن تشكل هذه المسألة ومسائل أخرى جزءاً من البرنامج الداخلي لمعلومات السلامة الذي يتضمن إرشادات مفصّلة ونصائح لجميع الموظفين. ويجب أن تستند هذه المعلومات إلى تجارب المراسلين والمحررين الذين يعملون في الميدان. وبالفعل وضعت بعض الشركات كتيّبات داخلية تتضمن معلومات مفيدة لموظفيها.

---

[186] الأمم المتحدة، «خطة عمل الأمم المتحدة بشأن سلامة الصحافيين ومسألة الإفلات من العقاب»، United Nations, "Un Plan Of Action On The Safety Of Journalists And The Issue Of Impunity"، ١٢ نيسان/أبريل ٢٠١٢. تم الاطلاع على الرابط في ١٨ تموز/يوليو ٢٠١٧: http://www.unesco.org/new/fileadmin/MULTIMEDIA/HQ/CI/CI/pdf/official_documents/UN-Plan-on-Safety-Journalists_EN_UN-Logo.pdf

[187] اللجنة الدولية للصليب الأحمر، «كيف يحمي القانون الدولي الإنساني الصحافيين في حالات النزاع المسلح؟» How does international humanitarian law protect journalists in armed-conflict situations?، ٢٧ تموز ٢٠١٠. تم الاطلاع على الرابط في ١٨ تموز/يوليو ٢٠١٧:
https://www.icrc.org/eng/resources/documents/interview/protection-journalists-interview-270710.htm

[188] «المؤسسة الإعلامية الدولية للمرأة»، «سلامة الصحافي» Journalist Safety، ٢٠١٧. تم الاطلاع على الرابط في ١٨ تموز/يوليو٢٠١٧:https://www.iwmf.org/our-research/journalist-safety/

[189] المؤسسة الإعلامية الدولية للمرأة، ٢٠١٧، المرجع نفسه.

بعض الإرشادات يجب أن تشدد على:

• أن تكون العمليات الميدانية للشركة (المكاتب الفرعية والخارجية) ملائمة للغرض التي وضعت من أجلها مع قدرة على تنفيذ تدابير طارئة في حال وقوع إصابة أو وفاة أو غيرها من الأزمات التي تهدد الحياة.
• أن يحصل جميع الموظفين أو الصحافيين المستقلين أو المنسقين والمساعدين في الميدان على التدريب المناسب على السلامة وأن يطّلعوا على سياسة الشركة الخاصة بالسلامة قبل أن يتم تكليفهم بمهمة ميدانية. وقد يكون من المفيد أيضاً إعداد "كتيّب للمنسق الإعلامي" موجّه يضع الخطوط العريضة لسياسة الشركة والإرشاد للموظفين بعقود قصيرة الأجل.

• أن يخضع الموظفون الأكثر عرضة للخطر (الذين يسافرون إلى مناطق النزاع مثلاً) لفحص طبي، ويحصلوا على الإرشاد النفسي الدائم لضمان أن يكونوا مستعدين للمهام الموكلة إليهم.

• أن يزوّد جميع الموظفين وموظفي الدعم بالمعدات المناسبة للمهمة الموكلة إليهم من بينها أجهزة الاتصالات (الهواتف والاتصال بالأقمار الاصطناعية عند الضرورة) فضلا عن السترات الواقية والخوذات والوثائق الأساسية التي توضح هويتهم ودورهم ومسؤولياتهم.

• أن التأمين على الحياة والتغطية الصحية شرط أساسي لجميع الموظفين والمستقلّين ويجب أن يشمل موظفي الدعم في الميدان.

• أن يخضع الموظفون العائدون من مهام أو أحداث خطرة حيث كانوا عرضة للصدمات والإجهاد، بشكل منهجي وإلزامي لعملية استخلاص معلومات لمعرفة ما إذا كان الشخص بحاجة لإرشاد نفسي شخصي وسري.

المحررون المسؤولون عن التكليفات ومدراء غرف الأخبار

المحررون والتنفيذيون في غرف الأخبار مسؤولون بشكل أساسي عن تطبيق سياسة السلامة في الشركة. لذلك عليهم ضمان أن يوازنوا في عملهم اليومي بشكل حذر بين الأهداف التحريرية والمهنية والحاجة إلى حماية الموظفين. ويجب أن يكونوا مدرّبين على تحديد الإجهاد والصدمات التي قد تهدد رفاه الموظف الذي يعمل تحت إدارتهم.

بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يضمنوا:

• أن يتم إبلاغ جميع الموظفين وموظفي الدعم بأنه من غير المقبول أن يخوضوا مخاطرات غير مبررة في سبيل اللحاق بقصة صحافية أو صورة. يجب أن تكون الأولوية لسلامتهم دائماً قبل السبق الصحافي.

• أن يكون الموظفون أو المستقلّون المنتشرون في مناطق خطرة أو الموكلون بالتغطية من مناطق خطرة، على علم تام بالمخاطر المحتملة، وأن يكونوا قادرين على رفض أي تكليف بسبب وجود خطر محتمل دون الخوف من العواقب.

• أن تكون الإدارة مسؤولة عن مراقبة التكليفات الخطرة بشكل دقيق وأن تضمن أن يرفع جميع الموظفين تقارير بشكل دوري إلى رؤسائهم حول الوضع الأمني حيث هم.

• أنه في الوقت الذي يتم فيه احترام الحاجة إلى أن يكون الصحافيون على الأرض هم من يملي التوجيهات نظراً إلى أنهم أفضل من يحكم على الظروف الميدانية، يجب أن تكون الإدارة التحريرية مستعدة عندما يكون الوضع مناسباً لتوجيه موظفيها والمتعاقدين المستقلّين بالانسحاب إلى مواقع آمنة في حال أصبحت سلامتهم في خطر.

• أن تعطي الشركات تكليفات فقط لأشخاص تعرفهم أو تم التحقق من

قدرتهم المهنية على أداء أي مهام تشمل القيام بتكليفات قد تنطوي على مخاطر محتملة.

المراسَلة الأخلاقية

الصحافيون الذين يؤدون عملهم بشكل أخلاقي ومسؤول يزيدون حظوظهم بأن يكونوا بأمان أكثر من أولئك الذين يتقصّدون انتهاك القواعد الأخلاقية بقصد المبالغة أو الإثارة.

ومن المهم بشكل خاص ضمان ألاّ تتجاوز المراسَلة الصحافية حدودها نحو البروباغندا وأن تصبح وسيطاً ينقل التعصّب أو الكراهية الشديدة اللذين من شأنهما أن يزيدا من مستويات العنف.

لذلك من الأفضل أن يلتزم الصحافيون بشدة بأطر العمل الأخلاقي أثناء ممارستهم الصحافة، والالتزام بالحقائق وتفادي الشائعات والتكهّنات وإظهار الإنسانية والاحترام تجاه ضحايا العنف، وكذلك تفادي الانحياز لطرف دون آخر والابتعاد كلياً عن جميع أشكال خطابات الكراهية المصممة لإثارة المزيد من العنف. وعليهم أيضاً أن يصححوا الأخطاء التي يرتكبونها حال تكشفها.

على المحررين الذين يوزّعون التكليفات أن يضمنوا:

• أنّ يتم التحقق من جميع المواد المقدّمة من مناطق النزاع أو من الأحداث الصادمة بالكامل ودعمها قبل النشر، وعدم اللجوء إلى الإثارة بأي طريقة قد تعرّض المراسلين أو الفريق الميداني للخطر.

• ألاّ يعطي نمط التغطية تصوّراً بوجود تحيّز تحريري سواء كان سياسياً أو استراتيجياً لا سيّما إذا كان ذلك سيقود إلى استهداف فريق مراسلي الشركة على الأرض.

يمكن للصحافيين والمحررين تخفيف تأثير خطاب التعصب والكراهية عبر تحدّي البيانات الشائنة للسياسيين، والتحقق من صحة جميع ادعاءات الوقائع وتفادي استخدام صور تظهر العنف والوحشية بشكل واضح، وضمان أن تكون التغطية شاملة لجميع الأصوات الشرعية في أي نزاع.

وبالفعل وضعت شبكة الصحافة الأخلاقية أداة مفيدة جداً تتمثل باختبار من خمس نقاط لخطاب الكراهية الذي بإمكان الصحافيين والمحررين استخدامه ليساعدهم في اتخاذ قرار حول كيفية التعامل مع البيانات المثيرة للجدل والخطاب التحريضي [190].

ومن شأن تطبيق هذه الإرشادات والمعايير الأخلاقية أن تساعد الإعلام في تطوير ثقافة للسلامة في الإدارة وفي غرف الأخبار وعملياتها. كما سيضمن أن يؤدي الإعلام والصحافة الأخلاقية دوراً إيجابياً في مساعدة المجتمعات التي تخوض حروباً في التراجع عن العنف.

صحيح أن مهمة الصحافة ليست إحلال السلام وأن هذه مسؤولية جهات أخرى لا سيما السياسيين وقادة المجتمعات، إلاّ أن الصحافة الجيدة كفيلة بأن ترسي فهماً لجذور النزاع ويمكنها أن تقدّم فرصة للحوار الذي قد يقود إلى تغيير إيجابي.

---

[190] «شبكة الصحافة الأخلاقية»، «خطاب الكراهية» Hate Speech، ٢٠١٧. تم الاطلاع على الرابط في ١٨ يوليو ٢٠١٧: http://ethicaljournalismnetwork.org/en/contents/hate-speech-a-five-point-test-for-journalists

"هذا مشروع مذهل وجديرٌ بالاهتمام"

نعوم تشومسكي

"من المهم أن يكون الصحفي نزيها وشجاعا، وخصوصا في زمن الحروب، حيث يجد الناس صعوبة في العثور على الحقيقة. هذا العمل يقدم تجارب وشهادات جديرة بالاهتمام لصحفيين شبان انخرطوا في معركة إعادة الاعتبار للصحافة الحرة والمستقلة، ودفعوا ثمن تمسكهم بها. إنه عمل محفز لمزيد من الكفاح في سبيل الحرية في هذا العالم المليء بالاضطرابات، من يساعد الناس على الوصول للحقيقة يستحق التنويه."

توكل كرمان الحائزة على جائزة نوبل للسلام لعام 2011

"هذا كتاب مدهش بما فيه من مصادر تساعد على فهم التحديات المرتبطة بالعمل الإعلامي في الشرق الأوسط، وهي المنطقة التي شهدت في الأعوام الماضية اندلاع عدد من النزاعات، مع انتشار الإعلام الاجتماعي والأدوات التقنية الجديدة، الأمر الذي غيّر عالم الصحافة بشكل لم يحدث في أي مكان آخر في العالم. يسلط هذا الكتاب الضوء على التحديات والفرص التي نشأت في هذه البيئة الجديدة من العمل الإعلامي"

دوناتيلا روفيرا، منظمة العفو الدولي

معهد
الجزيرة للإعلام

AJMInstitute

+974 44897666
institute@aljazeera.net
http://institute.aljazeera.net/ar